



*Handwritten text, possibly a signature or a name, in a cursive script.*

*Handwritten text, possibly a date or a number, in a cursive script.*

# كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس التحرير: طاهر الطنجي

العدد - ١٤٩ - ربيع الاول ١٣٨٣ - اغسطس ١٩٦٣

No. 149 - August 1963

## مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب

التليفون : ٢٠٦١٠ ( عشرة خطوط )

## الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي : ( ١٢ عددا ) في الجمهورية العربية المتحدة جنيه مصرى - فى السودان جنيه سودانى فى سوريا ولبنان ١٢٥٠ قرشاً سورياً لبنانياً - فى بلاد اتحاد البريد العربى جنيه و ٣٠ مليم - فى الأمريكتين ٥ دولارات ونصف - فى أنحاء العالم ٣٥ شلناً

سعر البيع للجمهور : قطر والبحرين ٤٠ آناً ليبيا بتغازى وطرابلس ١٥٠ مليم ، الجزائر ٥٠ فرنكاً ، المغرب ١٥٠ فرنكاً

# كتاب الحلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع



# مبادئ في السياسة والأدب والاجتماع

---

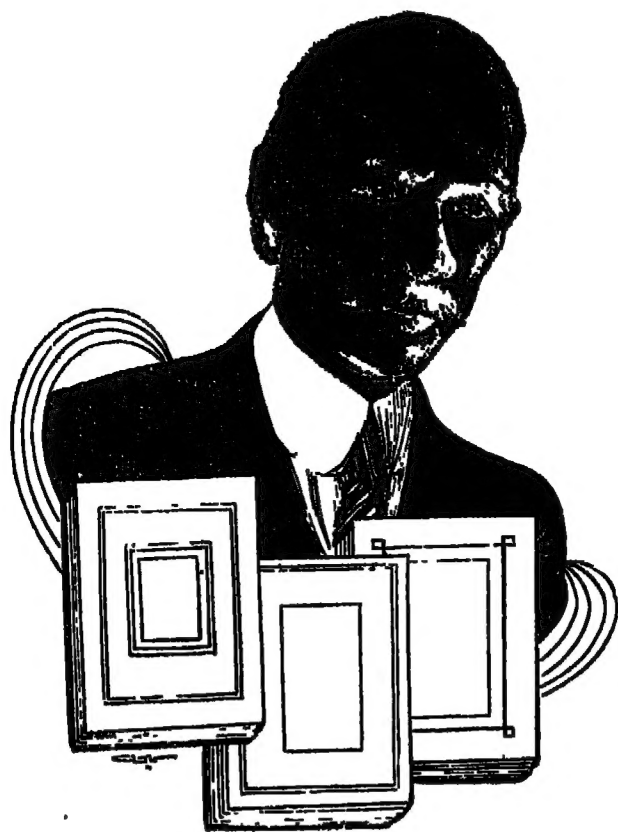
لأستاذ الجليل  
أحمد لطفي السيد

تقديم وتعليق  
طاهر الطنحجي

---

مقوقرة الطبع محفوظرة لدار الرهلا





## تقديم بفلم طاهر الطناحي

استوفى استاذ الجيل احمد لطفى السيد حياته  
المجيدة في هذه الدنيا قبل بضعة اشهر مضت . وقد  
عاش لمصر وللعروبة واللغة العربية والسياسة والادب  
والاجتماع ، وامتدت حياته الى ما اناف في عدد السنين  
على التسعين ، ولكنها كانت حياة خصبة ، ليست كحياة  
غيره من المعمرين الذين يطوون الاعوام تلو الاعوام ، ولا  
ينتجون شيئا ، ولا يقومون بعمل نافع لامتهم وبلادهم ، ولا  
يشغلون الناس بنوعهم في علم من العلوم ، ولا في فن من  
الفنون ، ولا يخدمون الحياة الانسانية خدمة باقية  
تضاف الى خدمات النوايغ والعباقرة الذين شادوا  
للفكر الانساني ، ولحضارة الانسان ومدنيته ، بناء عظيم  
الشان متين البنيان

ان احمد لطفى السيد لم يكن فردا في امة ، ولكنه كان  
رجل امة ، وصاحب مبادئ عاش لها زمنا سعيدا ،  
واداها لأمته وبلاده احسن الاداء . ولقد رأى قراء  
« سلهة كتاب الهلال » في كتابه « قصة حياتي » الذي  
نشرناه له في العام الماضي كيف بدأت حياته وكيف تعلم ،  
وكيف جاهد طويلا في الصحافة والسياسة والتعليم



وكيف عمل طويلا لنهضة الجيل منذ أوائل القرن العشرين حتى دعى بحق « أستاذ الجيل » وبقي هذا اللقب وقفا عليه طول حياته لا ينازعه فيه منازع ، لأنه أول من بشر بالمبادئ الديمقراطية ، وأول من وجه الشبيبة المصرية الى معانى الحرية والاستقلال ، واسس مدرسة فكرية جديدة تخرج فيها شبان ذلك الجيل الذين أصبح منهم أساتذة نوابغ لجيلنا الجديد نهضوا بالحياة السياسية والعلمية والأدبية نهضة مباركة ، وأحدثوا فى مجتمعنا العربى ثورة جديدة . . وكان «أرسطو» ذلك الجيل الذى تخرج فيه هؤلاء النوابغ

ومن المعروف عند علماء النفس وعلماء الاجتماع « أن المبادئ والأفكار هى امهات الأعمال » وقد كانت مبادئ لطفى السيد فى السياسة والأدب والفلسفة والأخلاق والاجتماع والتعليم هى أهم الدعائم الكبرى التى قامت عليها نهضتنا الحديثة منذ أوائل القرن العشرين ، وكانت هى المبادئ المثلى التى قامت عليها نهضات الأمم الراقية التى تعرف حقها فى الحياة وحقها فى الحرية والكرامة ، والتى ظفرت بشخصية قوية لا تعتمد على غيرها ، ولكنها تنبع من صفاتها ومقوماتها وتصدر عن أهدافها الحرة المستقلة ، وتجعل لها مكانة محترمة فى الميدان الدولى

وكان أول من حارب التبعية السياسية فى الوقت الذى كان زعماء الوطنية ينادون بتبعية مصر لتركيا ، وأول من دعا الى « مذهب الحرية » فى الشرق العربى . وكان على صواب حين فرق بين « الحريين » و « الأحرار » فى الجماعات والأفراد والأحزاب لأن الناس قد يكونون أحرارا أى ليسوا عبيدا لأحد ، ولكنهم ليسوا بحريين أى من دعاة الحرية كالمحافظين فى بريطانيا ، وقد يكون

الناس بطبيعتهم أحراراً ، ولكن حريتهم معطلة عن الاستعمال باستبداد حاكم مستبد ، أو سيطرة متسلط عليهم يكبت أنفاسهم ، ويعطل حريتهم ، لمصلحة حكمه وتوطيد سلطانه ، فلا تصبح حريتهم حرية ، بل تصبح قيداً في أيديهم ونيراً في أعناقهم ، لأن الحرية الملازمة للإنسان التي تجعل منه إنساناً حراً ، لا تسمى «حرية» إلا إذا كان ميسراً له استعمالها في فكره وقلمه ولسانه وكل شأن من شئون حياته في حدود القوانين .. فالمرء لا يكون حراً - كما قال لطفى السيد في بعض كتاباته - إلا بمقدار ما يملك من وسائل هذه الحرية ، كما أنه لا يكون حراً إلا بمقدار ما جاز له الاستمتاع بالحياة .. والحرية حياة ، والحياة لا تصلح ولا تفيد إلا بالحرية ، والحرية الناقصة حياة ناقصة ، وفقدان الحرية هو الموت .. !

وقد علم الشعب في كتاباته معانى الديمقراطية ، ومعانى الحكم الديموقراطى ، وحارب الحكم الشخصى والحكم القائم على المنافع الشخصية كحكم الممالك والأمراء المستبدين من حكام الشعوب ، وكتب في «الحرية» أكثر من خمسة عشر مقالا بعدة عناوين ، منها : « معنى الحرية » و « الحرية الشخصية » و « الحرية والأحزاب » و « الحرية وحقوق الأمة » و « الحرية ومذاهب الحكم » و « حرية التعليم » و « حرية القضاء » و « سلطة التشريع » و « حرية الصحافة » و « حرية الخطابة » و « حرية الاجتماع »

وكان أول من بشر « بالجامعة المصرية » في السياسة ، وفى التعليم .. !

ففى «السياسة» ، كان يدعو الى أن تكون مصر للمصريين ، لا أن تكون داخلة ضمن جامعة عثمانية ، وقد عرف عنه

رأيه في القضية المصرية ، وهو أن تكون مصر مستقلة  
استقلالاً تاماً ، لا تابعة لدولة أخرى ، وحارب فكرة الاعتماد  
في تحقيق الاستقلال المصري على تركيا أو فرنسا

وفي « التعليم » كان أول من دعا إلى إنشاء جامعة  
مصرية تقوم بقسطها في خدمة العلوم والآداب في  
العالم ، وتؤدي رسالتها الأصلية في خلق جيل جديد  
يخدم وطنه . وقد أعان على تحقيق فكرة الجامعة بإنشاء  
« قاعة محاضرات » في صحيفة « الجريدة » يلقي فيها  
محاضرات على شبيبة ذلك الجيل هو وبعض كبار العلماء  
والآدباء ورجال السياسة ، وكان يحضرها عدد كبير من  
طلاب المدارس العليا

وكانت الجريدة مدرسة لتخريج جيل واع جديد من  
المثقفين الذين أصبحوا فيما بعد من كبار الآدباء كالدكتور  
محمد حسين هيكل ، والشيخ مصطفى عبد الرزاق  
والشيخ على عبد الرزاق ، ومصطفى صادق الرافعي ،  
وطه حسين ، ومحمد السباعي ، واسماعيل مظهر ، وعبد  
القادر حمزة ، وتوفيق دياب

وكان أول من دعا إلى تقوية الوحدة القومية بين  
المسلمين والاقباط في مصر بتوحيد عنصرى الأمة ، حتى  
لا يجد المحتلون ثغرة سياسية ينفذون منها إلى استغلال  
الخلافا بين العنصرين لمصلحتهم ، وتحطيم اليقظة  
الوطنية

وكان أول من دعا إلى تقوية الشخصية الوطنية ،  
والنظر في الأمور السياسية من وجهة المصلحة القومية  
وحدها ومصلحة أبناء البلاد . . وقد عنى كل العناية  
بتدعيم الكرامة الشخصية والكرامة الوطنية . وقد

حفر الشباب الى الاخذ بأسباب التقدم ، والتلذذ ما استطاعوا من مناهل العلوم والفنون والاداب ، والاسهام فى الابحاث العلمية والؤتمرات العالمية ، وكان يحضهم على الصراحة والشجاعة . وكان هو شجاعا صريحا فى الدفاع عن الكرامة القومية ، وعما يعتقده من أفكار وآراء . ولم تكن هناك قوة تحول بينه وبين المجاهرة بمبادئه ونزعاته . ولو كانت تلك القوة قوة الحكومة ، أو قوة المستعمرين ، لو كان الوزير الذى يعارضه من أصدق أصدقائه !

وهنا نذكر حادثا وقع بينه وبين صديقه أحمد حشمت « باشا » وهو عم صديقه الحميم عبد العزيز فهمى « باشا » . وكان وقتئذ وزيرا للمعارف المصرية ، وقد اعد مشروعا يخول وزارة المعارف مراقبة معاهد التعليم الحر . وكان هذا المشروع يتضمن أمورا لم تصادف موافقة لراى أحمد لطفى السيد ، لأنها تنافي حرية التعليم ، فعارضها فى جريدته بعدة مقالات أغضبت حشمت باشا . !

ولم يكتف لطفى السيد بالكتابة معارضا لهذا المشروع ، بل ذهب الى اللورد كتشنر - المعتمد البريطانى فى ذلك الحين - لعلمه ان الوكالة البريطانية وقتئذ هى مصدر الموافقة على هذه المشروعات التى تقيد حرية البلاد . ولما لم يكن اللورد كتشنر موجودا ، فقد قابله المستر ستورس السكرتير الشرقى للوكالة البريطانية ، وأخبره أن اللورد كتشنر اطلع على مقالاته ، ويريد منه ان يناقش حشمت باشا فى المشروع . . وزاد المستر ستورس على ذلك ان اللورد كتشنر خاطب حشمت باشا فى هذا الموضوع ، فأظهر استعداداه لمقابلته فى الوزارة ومناقشته

## في اعتراضاته !

وفي اليوم الثاني قصد لطفى السيد نظارة المعارف وفاء بوعده ، واستبفاء لوعده حشمت باشا ، واستاذن في مقابلته ، فأخبره مدير مكتبه « رشدى بك » ان سعادة الناظر حشمت باشا يعتذر اليوم عن مقابلته لضيق وقته - وكان هذا الاعتذار غريبا - فسأله لطفى السيد أن يطلب منه تحديد موعد آخر ، فعاد يقول : ان سعادة الناظر لا يستطيع الان تحديد موعد لمقابلته ، فادرك مدير تحرير « الجريدة » معنى هذه الصيغة المألوفة لرفض المقابلة .. ذلك الرفض الذى لم ينتظره من صديق يكبره فى السن ، ولا يكبره فى المكانة الاجتماعية والعلمية ، ولو كان من الوزراء ... !

عاد احمد لطفى السيد الى مكتبه فى « الجريدة » غاضبا ، وشاء أن ينقل غضبه واحتجاجة الى الوزير الصديق بأسلوبه الخاص ، فكتب اليه خطابا تاريخيا حمل فيه حملة شعواء ، وألقى عليه درسا فى المبادئ التى يجدر بوزير المعارف أن يتبعها ، وأن يعامل بها الناس . وقد أطلعنى - رحمه الله - على هذا الكتاب الذى أبى أن ينشره فى كتابه « قصة حياتى » ، لأنه كان يرى أن حشمت باشا - وقد انتقل الى جوار ربه - لا يجمل أن ينتقده أو يذكره بسوء ، وأنه من الاحترام للأموات الا يقدم هو على نشره مادام حيا !

ولكننى وقد توفى لطفى السيد الى رحمة الله انشر للتاريخ جانبا من هذا الخطاب ..

قال لطفى السيد معاتبا حشمت باشا بعد سطور ذكر فيها وعده للورد كتشنر بمقابلته ، واخلافه لهذا الوعد بالصورة المؤلة التى لا تليق بمثله :

(( .. فلان كنت أردت أن تحط من كرامتي ، فقد  
أخطأت الفهم ، لأنه يستحيل أن يحط منها عمل غيري ،  
ولا أظن أن هذه الإهانة إلا لاحقة بشخصك ، وبفخامة  
اللوارد كتشنر الذي لولا أني اتبعت مشورته ، ولولا أن  
سسكرتيره أخبرني بوعده بمقابلتي لما اتعبت نفسي  
بزيارتك ... ))

ثم قال في عبارة قاسية :

(( .. ومن المحزن أن يكون مظهر قدرة الوزير حاجباً  
يمنع طلاب الخير ، ومبلغ حريته من العمل أن يرفض  
مقابلة من لا يشتهي مقابله ، فان اقصر الناس بقاءً  
لا يصحز عن التمتع بهذه الحرية وتلك القدرة .. ))

الى أن قال في تهكم وسخرية بالغة :

(( أوليس من المحزن أيضاً أن يكون العامل الأكبر من  
تقدير رجالنا التفاوت في الألقاب ، وأن تكون فكرتنا من  
الحياة الإنسانية سطحية ساذجة ، الى حد أن ينزل  
الرجل فيها عن شخصيته ، فيجب لا بدافع ذاتي ، بل  
عن غيره ، ويبفض لا بدافع ذاتي ، ولكن بالوكالة عن غيره  
أيضاً .. !

« والا ، فقل لي ياسعادة الباشا : مالى غير بيننا ما  
كان من المجاملة والمعاملة الآ.. غير أنك ظننت أن أبواب  
عابدين موصدة دوني .. !

« وهب أنها كذلك ، فهل يليق ؟ !

« على أن أبواب عابدين مفتوحة لي ، كما هي مفتوحة  
لك .. وإن كنت في شك من ذلك ، فاسأل بعض  
زملائك .. »

هذه سطور من ذلك الكتاب الخاص الذى يصور  
غضبة لطفى السيد لكرامته ، وهو يسعى فى سبيل  
الخير العام ، ويدافع عن الحرية . ولقد كانت مقالاته فى  
الجريدة على بلاغتها ووقارها تتضمن فى تقدها ايلاها  
بليغا ١٠٠ وحدث حوالى سنة ١٩٠٨ أن عين الانجليز  
المستر هيل ناظرا لمدرسة الحقوق ، ولم يكن هذا الناظر  
حائزا على شهادة الحقوق ، فصار يسافر كل عام الى  
فرنسا ليؤدى الامتحان فيها ، فكان لضعفه يرسل فى  
القانون الجنائى ، فاخذ لطفى السيد ينتقد تعيين المستر  
هيل ناظرا لمدرسة لا يفقه العلوم التى تلقى فيها ، ولكن  
الانجليز لم يدعنوا لمعارضته ، فاراد أن يحاربهم بطريقة  
ايجابية . فعمد الى انشاء فصل فى دار الجريدة لتعليم  
طلبة الحقوق مادة القانون الجنائى على أشهر المحامين  
المصريين . وكان من هؤلاء الطلبة محمد حسين هيكى ،  
ومحمد كامل البندارى وغيرهما . وقد سمعت الدكتور  
محمد حسين هيكى يقول فى ذلك : « لقد كان لطفى السيد  
يدرس لنا بعد خروجنا من مدرسة الحقوق على طريقة  
المشائين « أفلاطون وجماعته » . ويدلنا على الكتب التى  
نقرؤها وكان هو أكثر من قرأ فى هذا البلد قراءة قيمة  
منظمة ، فكانت احاديثه وتوجيهاته على أحسن ما تكون  
من السداد والفائدة لنا نحن الشباب فى ذلك الزمان »



ولقد كانت صحيفة « الجريدة » المدرسة الكبرى  
للمبادئ السياسية والادبية والاجتماعية التى بشر بها  
بين أبناء العروبة ، وكانت هى الوسيلة التى نشر فيها  
على الناس مبادئه وافكاره ، إلى ما كان يلقيه من خطب  
فى القاهرة والاسكندرية فى النوادى والمحافل العامة ،

حتى أثمرت هذه المبادئ ، وكان لها شأنها في الشرق العربي . وقد حادثته يوما وهو وزير الخارجية في إحدى الوزارات السابقة ، فسألته لماذا أطلق « الجريدة » وانصرف عن الصحافة الى ترجمة أرسطو ، فقال :

« لقد قبلت التحرير في « الجريدة » لأنشر فيها المبادئ المثلى التي آمنت بها لقيام حياة ديموقراطية سليمة ، فلما انتهيت من نشرها أغلقت « الجريدة » وانصرفت عن العمل بالصحافة ، لأننى لم أكن اشتغل بالصحافة محترفا ، بل كنت صاحب رأى وصاحب مبادئ ديموقراطية لأرشاد الأمة الى اسباب الرقى والتقدم »

وقد صدرت « الجريدة » في مارس ١٩٠٧ م ، وأغلقت في نوفمبر سنة ١٩١٥ م ، أى أنه ظل يدعو الى مبادئه نحو ثمانى سنوات وثمانية أشهر ، كان يكتب فيها معظم الافتتاحيات ، ويتناول فيها كثيرا من الموضوعات السياسية والاجتماعية . وكان الى جانب السياسة والاجتماع يتناول الكتابة في العلم والتعليم وفي الفلسفة ، والادب والطبيعة ، وكانت مقالاته وخطبه ومحاضراته مدبجة بأسلوب رفيع كأنها معدة لأن تكون فصولا لمؤلف من المؤلفات ، لا مقالات لصحيفة سيارة ، كبعض الصحف التي لا يعنى كتابها إلا بالأخبار ، أو بملء الأعمدة من هنا وهناك ، دون رابطة بين ما يروى من أخبار وأفكار ، أو كما يعبرون عنها بالدردشة والحاديث التي تجرى في المجالس ، ثم تنتهى بانتهاء هذه المجالس أو تمر مع مرور الايام ، لأنها في الكثير لغو من الكلام

ولقد يعجب القراء اليوم من صحف يعتنى محرروها بالكتابة عن أنفسهم او عن صديقاتهم أو اصداقائهم ، ويروون من أخبارهم واحوالهم الخاصة ما لا يهم القراء ،



كانما اصبحت هذه الصحف وسيلة للدعاية لهم ولجماعتهم و « شلتهم » لا وسيلة لخدمة المصلحة العامة ، ونشر المبادئ الصالحة والأفكار النافعة ، والمعلومات القيمة التي تفيد القراء في حياتهم السياسية والاجتماعية والادبية

ولهذا كانت صحيفة الجريدة - في الجيل الماضي - كغيرها من صحف ذلك الجيل ، مدارس لعامة لابناء البلاد يأخذون عنها مبادئ الوطنية ، ومبادئ الحياة الراقية ، والارشادات الموجهة الى المثل العليا . وقد كتب لطفى السيد في افتتاحية الجريدة يقول عن الصحف :

« الناس بطبائعهم اشتات في الرأي كما قيل : للناس عدد رهوسهم آراء .. وهم في البلاد الحديثة العهد بالرقى ينصرف كل منهم غالبا عن التفكير في الامور العامة الى تدبير حاجتهم الخاصة ، حتى ترشدهم الصحف كل يوم الى أن لهم وجودا عاما هو غير الاول ، وأن بهذا الوجود العام كمالات يجب ان يرقى اليه بعمل الافراد

» وعلى هذا تكون الصحافة هي الالة الكبرى للارشاد والرقابة .. وان أولى الجماعات بواجبات الخدمة القومية ، ومراقبة الاحوال العامة ، واقدرها على العمل لتكوين الرأي العام ، جماعة أولى الرأي

» وهم الذين نهوا ذكرا بملو الهمة أو بالعلم أو الفضل .. أولئك اذا انصرفوا عن الاشتغال بحاجات الامة من نشر التعليم والعمل لترقية الصناعة والزراعة والتجارة ، والاخذ بنصيب الرقابة العامة ، وقفت الامة لن التدرج فى مراقى المدنية الصحيحة ، خصوصا فى حالها النظامى ، وصار الامر فيها مفوضا الى رغائب الحكام ، يميلون بها حيث يشاءون

ثم قال عن خطة الجريدة ومبدئها فيما تنشره من

## بحوث وموضوعات :

« والجريدة المصرية بحثة .. غرضها الدفاع عن المصالح المصرية على اختلاف انواعها ، وارشاد الامة بأسرها الى منافعها الحيوية الصحيحة ، ونشر ما فيه فائدة مادية أو أدبية ، ونقد كل عمل له مساس من أى جهة كانت بتلك المنافع والصالح . سواء اكان هذا العمل عاما ام خاصا ، مهما كان مصدره ، ومهما كانت صفة القائم والامر به ، وبيان صالح ذلك العمل من فاسده ، وفول الحق فى الحالتين ، حتى يتكون بهذا رأى عام على اساس متين من صدق النظر وحسن التفكير ، يقول قوله بلسانها ولا تنطق هى الا عنه ، فيتأيد حينئذ جانب المنفعة للامة كلها ، ويصل هذا الصوت الصادر من نظر مجرد عن كل غرض الى الهيئة الحاكمة ، فيحل محل الثقة فيها ، وتتضافر الهيئات على خدمة تلك الصالح والمنافع ، لا فرق فى ذلك بين الاديان ولا تحيز بين الاجناس .. هذا مع نبذ الشخصيات وعدم الخوض فى المنازعات الدينية المحضة ، وألا تستأجر فى غرض ، وألا تستخدم لاحد مع التزام الاعتدال فى جميع الاحوال »

هذه هى خطة الجريدة ، ومبدؤها فى ذلك الزمان الذى اذاع فيها مبادئه على الناس فلم تكن « الجريدة » متجرا للالتجار بالحياة العسامة ، وكسب المال ، ولا أداة لهتك الاعراض ، وافشاء الاسرار العائلية ، ونشر الاخبار المثيرة للفضول ، لا المثيرة للفضائل .. !

ولم تكن وسيلة لاغراء الشباب ودفعهم الى مواطن الفساد ، ولا معرضا لاجسام الحسان ومفاتن الراقصات ، وغرام الممثلين والممثلات ، كتلك الصحف التى انشأها اليهود فى امريكا وأوربا وقلدها بعض الشرقيين من

الصحفيين لهدم القيم الاخلاقية والمبادئ الدينية واستغلال الافراد واجتماعات حبا في الثراء والغنى المحرم ١٠٠

ولقد كانت كتابات لطفي السيد وبهوثة تهدف دائما الى المصلحة القومية ، ولا تقوم على العواطف الشخصية ، لان السياسة كما عرفها العلماء هي تدبير شئون الامة ، والرجل السياسي هو الذي يعمل لمصلحة الامة بعيدا عن عواطف البغض والكراهية أو عاطفة الترحم الوقتي . ولذلك كان يرى الا تكون الاعمال السياسية العوبة في ايدي العواطف ، بل يجب ان تكون قاعدتها المنفعة لاننا في زمان لا يعرف في السياسة الا المنفعة ١٠٠

وكان يحمل على بعض الكتاب الذين تدفعهم عواطفهم الى الحماسة المطلقة دون النظر الى رعاية المنفعة وتوخي المصلحة العامة فيما ينقدون ويكتبون ، فتال في احدي مقالاته :

« رحماك يا ارباب الاقلام ، لا تغرروا بهذه الامة التعسة ، ولا تكونوا لازمان عونا عليها ، وأخلصوا لها النصيح ، وذروها في هذه الفترة هادئة تتكيف قوتها من الباقيات الصالحات ، لا من الكلمات الطائشات ، وأعطوا العتول حقا من حرية التفكير ، واللسن قسطها من حرية القول ، والنفوس قسطها من الجراءة ، وبينوا لها الفرق بين مواطن الانتقام ، ومواطن التكريم ، وبين انتقام الاشخاص ، وانتقاد الاعمال ، ولا تكن الاقلام في ايديكم كالمعاول يهدم بها بناء الاخلاق ، او كالحجب تستر بها نسياء الحق ، او السهام تهليل بها أعراض الاشخاص »

وكان من مبادئه في الدفاع عن القضية المصرية - في اول حياته السياسية - ضد مطامع الانجليز اتباع سياسة المسالمة لا الاستسلام ، لان سياسة العنف من الضعيف

للقوى لا تجدى ، ومعاندة الجرد من السلاح لشباكي  
السلاح ، المدرع بالقوة ، والمعتمد على العدة والسدد ،  
لا تؤدي الى الغرض المنشود ، ولذلك كان يقول :

« الانجليز بالامس هم الانجليز اليوم ، وهم الانجليز  
غدا .. وما زال اصحاب الحاجات يؤمنون قصر الدوبارة  
وما زالت الجرائد تنشر الكتب المفتوحة والمقالات الضافية  
.. عن مطائب الامة لعميد الاحتلال ، فلا يقع فى الوهم  
ان وراء الاكمة ما وراءها من تبدل الاحوال ، واحياء الامال ،  
وبوارق الاستقلال . وسياستنا مع الانجليز لا تخلو من  
أحد وصفين : اما سياسة عناد وعداء واما سياسة  
مسالمة لا استسلام

« ولا شك ان سياسة المعاندة لعقيمة ، اذ كيف يقبل  
المعاندة ( بفتح النون ) من المعاندة ( بكسر النون ) حسابا  
على اعماله ؟ .. بل كيف يرجو العدو من العدو اصلاحا  
لحالته ! فلم تبق اذن الا سياسة المسالمة ، والمحاسنة  
المقرونة بالمحاسبة »

وهذه السطور التى دبجها هنا لطفى السيد كانت للرد  
على بعض الجرائد التى حملت على تكريم اللورد كرومر  
حين خروجه من مصر ، وكان من الداعين لحفلة التكريم  
عدد من اعضاء حزب الامة التى تنطق باسمه « الجريدة »

وكان هو فى اول عهده بالتحرير يتبع أسلوبا يعنى  
فيه بالجوهر دون الشكل ، ويميل الى المحاسنة دون العنف  
والانسوة . وكانت الجريدة حين دافعت عن هؤلاء الذين  
يدعون لحفلة اللورد كرومر فى اول عهدها بالظهور ، اذ  
لم يكن قد مضى وقتئذ على اعتزاله منصبه غير أيام

على انه حين قرأ لطفى السيد خطبة اللورد فى دار  
الاوربا التى اقيمت فيها حفلة التكريم نهض مسرعا بالرد

عليها فى عدة مقالات رداً لا يقل عنفا عن الجرائد الاخرى ،  
ان لم يزد عليه قوة حجة وبلاغة منطق . ولذلك قال فى  
« قصة حياتى » :

« وكان من عادتي أن اكتب افتتاحيات الجريدة ، ولم  
يمض على صدورها غير ايام حتى انتهت مهمة اللورد كرومر  
فى مصر ، وخطب خطبته المشهورة فى دار الاوبرا وعلقت  
« الجريدة » عليها تعليقا لا يقل عنفا عن الجرائد المتصلة  
بالخديو عباس ، وسارت فى طريقها ، وعلى مبادئها تنقد  
أعمال السلطة الفعلية التى كانت للانجليز ، كما تنقد  
أعمال السلطة الشرعية - سلطة الخديو عباس »

وقد نهض لطفى السيد بعد ذلك بآرد على كتاب « مصر  
الحديثة » الذى ألفه اللورد كرومر وصدر بعد عام من  
خروجه من مصر ، بل تناول هذا الكتاب بالنقد البليغ ،  
وتشر عدة مقالات طويلة فى الجريدة بدأها فى ١٤ ابريل  
سنة ١٩٠٨ م بعنوان « الانجليز فى مصر » وشاء أن يكون  
هذا العنوان عنوانا لكتاب يطبعه فيما بعد ، ولذلك قال  
فى اول مقالة من هذه المقالات :

« هذا عنوان الكتاب الذى نحاول وضعه لبيان خطأ  
اللورد كرومر فى كتاب مصر الحديثة ، وبيان سياسة  
الاحتلال فى مصر والسودان ، وهو الذى وعدنا بترجمته  
الى الانجليزية ، وتوزيعه فى اوربا . وينقسم الى ثلاثة  
اقسام :

« القسم الاول - فى الاسلام ، ويشمل الكلام على مثار  
الخطأ فى فهم الدين الاسلامى عند الاوربيين الحسنى النية  
وبيان مقاصد غلاستون واللورد كرومر من الطعن عليه ،  
والكلام عن الديمقراطية الاسلامية ، وانها تفضل بنظامها  
كل ديموقراطية اخرى من الوجهة الاجتماعية والسياسية ،

والكلام عن المرأة والرق في الاسلام ، وما ظنه اللورد  
مغمزا ، وليس بسغمز

» القسم الثاني - الحالة الاجتماعية في مصر

» القسم الثالث - سياسة الانجليز في مصر والسودان

» وانا ننشر في الجريدة من هذا الكتاب ما يحتمل المقام  
نشره في الجرائد اليومية أو ما يكون للكافة مصلحة من  
نشره .. »

وكانت المقالة الاولى من انقسم الاول عن النظام  
الاجتماعي الاسلامي ، ومثار خطأ الاوربيين في فهمه وفهم  
الدين الحنيف . وقد رد على اخطاء اللورد كرومر واخطاء  
الاوربيين في هذا الموضوع رداً قويا مؤيدا بالبراهين في  
اسلوب رفيع يزيده العلم والمنطق والتاريخ قوة على  
قوة .. ا

ولم تكن المحاسنة والاعتدال سبيلا الى ضعف الحجة ،  
ولا سببا في السكوت عن الحق ، بل انه كان في اول  
عهد بالكتابة السياسية يتبع المحاسنة في المساجلات  
والمناقشات السياسية كاسلوب في المناظرة والحوار ، ثم  
اندفع في اسلوبه الوطني بقوة ممزوجة بالادب خاصم بها  
الخديو عباس وخاصم بها المستعمرين ، وصارت الجريدة  
لسان الامة كلها لا لسان حاكم واحد او لسان حزب واحد  
.. فاذا كانت جريدة المؤيد لسان الخديو عباس ، وكانت  
الواء لسان الحزب الوطني برياسة مصطفى كامل ، فقد  
اصبحت الجريدة بفضل لطفى اسيد جريدة الامة المصرية ،  
وجريدة مصر للمصريين ، وعنها اخذت الامة مبادئ  
الاستقلال ومبادئ الحرية والدعوة الى النهوض بالتعليم ،  
واصلاح الحياة الاجتماعية والادبية اصلاحا لا يناقض  
الدين ، ولا ينافي كريم الاخلاق

ولقد كانت الخطة التي سار عليها في سياسته ، ودعا إليها في بحوثه هي الكفاح باسم الأمة ضد الانجليز وضد حكومة الخديو التي كان يدعوها باسم « الحكومة الشخصية » وقد حمل على هاتين السلطتين حملات شعواء ، وخص سياسة الوفاق التي صادفت ظهور الجريدة بالنقد ، لأنها كانت على حساب الدستور وهضم حقوق الأمة . وكان دائما يطالب بحقوق الأمة وينبه الانجليز تارة والخديو تارة ثانية والوزراء تارة أخرى الى هذه الحقوق . وقد تخلل حملاته على هذه الجهات الثلاث دروس القاهها على « الانجليز » في حكم الشعوب ، وعاقبة الاستبداد والاستغلال للامم الضعيفة ، وعلى « الخديو » فيما يجب عليه من توخي المصلحة العامة فيما يتصل بالدستور ، وعلى « الوزراء » فيما يجب عليهم من احترام رغبات الأمة

أما الحياة الاجتماعية ، فقد عنى بها لطفى السيد عناية كبيرة ، ولم نر صحيفة أخرى عנית بالمجتمع المصرى ، وبالحياة المصرية كما عנית « الجريدة » فقد كانت تتناول بالاصلاح كثيرا من نواحي الحياة الاجتماعية في مصر - سواء فيما يتعلق بالفرد او العائلة او الجماعة ، وسواء فيما يتعلق بموظفى الحكومة ، ورجال التجارة والصناعة والزراعة - وكان يعنى بتقوية الشخصية الاجتماعية عناية خاصة ، فقد عاب على المجتمع المصرى ضعف الشخصية ، وقال عنه انه مجتمع فاقد الشخصية

وقد اهتم لطفى السيد بحياة المرأة المصرية وحقوقها الشرعية والاجتماعية اهتماما كبيرا ، وناصر « قاسم امين » في دعوته الى تحرير المرأة وأشاد بأرائه ووصفه بأنه فيلسوف مفكر ، وانه بكتابه « المرأة الحديثة » و « تحرير

المرأة ، قد اضاء للعراة ظلمات الحياة ، ورد اليها حقها في  
الانسانية واحترام الشخصية

وتناول لطفى السيد التربية والتعليم ، فشغل قلبه  
ونفسه وفكره بأصلاح التعليم ، واهتم به اهتماما لا يقل  
عن اهتمامه بالسياسيتين الداخلية والخارجية ، وقد قامته  
آراؤه في التعليم على ان الانسان خير (بتثديده الياء) بطبعه ،  
كما قال روسو ، وانه قابل للتربية والتهذيب . وان الغرض  
من التربية والتعليم هو تحقيق التوازن النفسى والخلقى  
فى الفرد والامة ، وان التعليم يحقق اكبر قدر ممكن من  
التشابه بين افراد الامة الواحدة ، وهذا التشابه يحقق  
الالفة ، والتضامن ووحدة الامة . وهذه الوحدة هي  
الطريق الوحيد للرقى والتقدم !

وقد خدم لطفى السيد اللغة العربية والادب العربى خدمات  
جلية ، وكان له فى هذا الميدان من الآراء والمبادئ ما حققتها  
الايام فيما بعد ، واخذت بها الاوساط الادبية واللغوية .  
ولا نكون مباهين اذا قلنا ان مجمع اللغة العربية قد اخذ  
بهذه الآراء - بعد مضي نحو اربعين عاما عليها - وقد دافع  
عن اللغة العربية دفاعا مجيدا . ودعا الى تطعيمها تطعيما  
يلائم التطور الحديث

اما الادب ، فقد عنى لطفى السيد بالادب الانشائى ،  
والتأملات الفلسفية اكثر من عنياته بالادب الوصفى ،  
وبعننى به ادب النقد والتاريخ . . وان كانت التجربة قد  
ظهر فيها من الكتاب الشبان من عنى بالنقد الادبى ونظم  
الشعر كالشباب طه حسين ، والشباب محمد حسين هيكل  
وعباس العقاد ، وعبد الرحمن شكرى . وقد كان لطفى  
السيد مشغولا بالسياسة والدفاع عن حقوق الامة  
والاصلاح الاجتماعى ، وكان نقده واسلوبه الإنشائي



الرفيع يتجه الى الحياة السياسية والاجتماعية اكثر مما يتجه الى الموضوعات الادبية البحتة ، ولكننا رأيناه حين ظهر كتاب « تاريخ آداب العرب » لمصطفى صادق الرافعي سنة ١٩١٢ م ، وحدث في ذلك الحين ضجة بين الادباء ، تناولوه بالعناية وقرر في بحثه النفيس عن هذا الكتاب مبادئ في الادب والاديب وعلم الاخلاق . وقد رسم حدود الادب وعلم الادب ، وحدود الاديب وعلم الاخلاق ، ورأى ان الادب وتاريخ الادب من اقوى مشخصات الامة التي تربط ماضى حياتها بحاضرها ويحدد ماهيتها ، ويميزها عما عداها ، فتستمر شخصيتها ، وتتسع بذلك دائرة المشابهات بين افرادها ، وتقوى روابط التضامن فيهم ، سوى ما يكسبه الباحث في الادب من رقة العاطفة وحسن الذوق ، والقدرة على جمال التعبير عما في نفسه من العواطف والافكار ، وحمل الناس على الاصغاء اليه وقبول مذاهبه قبولاً حسناً . فالادب في كل زمان هو الاداة الاصلية في شيوع المذاهب ، فمن الغفلة ان يغمط حقه بين المعلومات الانسانية الاخرى

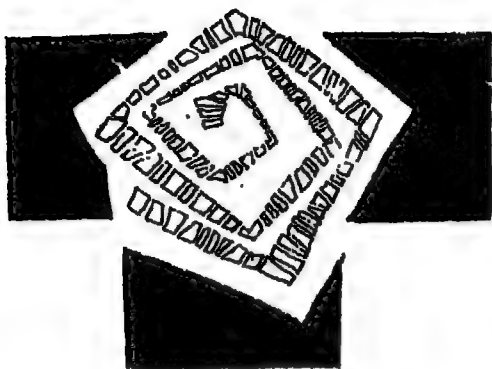
هذا ، وقد اخترنا في هذا الكتاب من مبادئ لطفي السيد هذه الفصول التالية التي نعتقد ان ما تحتوى عليه ما زالت - ولن تزال - مبادئ ثابتة في السياسة والادب والاجتماع ، وهي تلقي ضوءاً على جهاده الطويل في سبيل الحرية والاستقلال ، وفي سبيل اصلاح القومى والاجتماعى ، والسعى لرقى بلاده ، ورفعته امته الى ارقى منازل الحياة السياسية والاجتماعية بين الامم

ظاهر الطنحى



## الفصل الأول

# الأمة والحكومة



## مفهوم الأمة ومفهوم الحكومة

لا يظن القارئ أنا نشق عليه بأن ندخل به في وصف مركز الحكومة المصرية في نظر القانون الدولي ولا في اقامة الدليل على انها مستقلة استقلالاً نوعياً ، كما يقول بعض سناسة الانجليز ، او انها تابعة تبعية كاملة للحكومة جلالة السلطان كما يقول بعض علماء الحقوق من الفرنسيين . . بل نريد من هذا المقال ان نصف حال الحكومة وحال الأمة من الوجهة السياسية ، حتى اذا وضع مركز كليهما بالنسبة للآخرى سهل تحديد حقوقهما وواجباتهما كالتي هما نحو الأخرى

كان لمصر حكومة يعرف الناس جميعاً انها كانت مستأجرة بالسلطة دون الأمة . . وما كان لهذه قبل تلك الا الطاعة العمياء . ولم يكن مجلس النواب المصري في عهد الخديو اسماعيل ليفر من حالة استئجار الأمير بالسلطة ، ولا من حالة الأمة من الاستكانة والضعف ، بل كان أعضاؤه كأنهم موظفون في الحكومة . وكلنا يعلم بسبب انشاء هذا المجلس وسبب الفائه - جاء بعد ذلك دخول أوروبا في الشؤون المالية المصرية وشمل نفوذ التأثير في أمور أخرى أيضاً - وبقيت الأمة المصرية بعيدة عن أن يكون لها رأى حقيقى في إدارة البلاد أو شيء من الحياة

---

(\*) نشر بالعدد ١٢ من الجريدة في ٢٣ من مارس سنة ١٩٠٧

السياسية إلى عهد الخديو توفيق فظهر الحزب الوطني  
 بأيعاز في بادئ الأمر : ثم تلا في مقاضة وطاشي سبعة  
 عن القصد ، حتى أن أحد زعمائه قال لـ «محمد سلطان باشا»  
 يوم الدار (١) « ان الحزب الحر في إنجلترا عاضد لنا » فأجابه  
 الباشا : « انكم نبأ تفعلون تعطون مصر بأيديكم للانجليز »  
 فقال زعيم آخر : « لاناقة لى فيها ولا جمل » فأجابه  
 المرحوم اخمك عبد الففسار بك : « اذن فانركوا مصر  
 لأصحاب النياق والجمال » . ولا يزال بين ظهرانيها  
 من شهدوا ذلك في بيت سلطان باشا يوم دخله الثائرون ،  
 باسم يروونه إلى الآن

وبالجملة فلم يلق مجلس النواب وقتئذ على اخمك  
 الفشة ولا كبح جماح الثائرين على الخديو ، بل وافقهم  
 منهم كثيرون ، رغبة في منافع ، أو رهبة مما يجزىه الخلاف ،  
 وما ناز الثائرون لمصلحة البلاد ، ولكنهم ثابروا ليندفعوا  
 عن انفسهم البلاء ، وكان ما كان من الاحتلال الانجليزى  
 الذى هو باق الى الآن

من ذلك الحين وجد في البلد سلطتان احدهما السطة  
 الشرعية القديمة ، والاخرى السلطة الفعلية الجديدة (٢)  
 اتفقتا بادئ الامر ، ثم اختلفتا اختلافا ظهرت اثره ،  
 ثم زالت او خفيت . ولا تزال تخفى وتظهر بمناسبات  
 الحوادث . ذلك قول الحق الصراح عن حكاية الواقع  
 وهو ان الامة المصرية كانت ولا تزال بين هاتين السلطتين  
 لاحول لها ولا قوة ، تدفع بها الحوادث مرة ذات اليمين

---

(١) هو يوم اجتماع العربيين في دار سلطان باشا والد هدى  
 شعراوى ، وكانوا يجتمعون فيها حين كان سلطان باشا معهم  
 (٢) يقصد بالسلطة الشرعية حكومة الخديو ، وبالسلطة الفعلية  
 حكومة الاحتلال البريطانى في مصر مثلة لى عبيدها اللورد كرومر ، ثم  
 خلفاه

واخرى ذات الشمال ، فهي ضائعة بين السسلتين .  
ولم نزل بفضل احدهما نظاما سياسيا حقيقيا يجعل  
لها حياة امية مستقلة عن تأثير السلطة

كانت مصر ولا تزال مستقلة استقلال اداريا ، اعنى  
ان امراءها لهم الاستقلال الادارى فى داخل البلاد عن سلطة  
الباب العالى (١) ولكن هذا الاستقلال خاص بأشخاص الامراء  
.. فمساذا كان للامة معهم من الحق ؟ .. لا شيء ! بل  
رغبة الامير هى الكل فى الكل

وجدت السلطة الفعلية للاصلاح ولتهيئة الامة لان  
تحكم نفسها بنفسها ، وما نعملت من هذا التهيئة شيئا ،  
ولا وجد للامة معها نظام يدل على حياة سياسية او  
مهية لتلك الحياة السياسية .. فان قلت : الا ترى  
مجالس المديريات ومجلس شورى القوانين والجمعية  
العمومية ؟ .. قلنا : ما اشبه هذه المجالس بمجلس  
النواب فى عهد الخديو اسماعيل لولا الحرية الشخصية  
للفرد ، فان هذه المجالس مضى على وجودها نحو ربع  
قرن ولم تعمل عملا ما للبلاد ، ولا رأينا أية نتيجة  
من وجودها تدلنا على ان الحكومة تعتبر للامة معها  
شركة فى العمل او حياة سياسية .. على ان الذى نامله  
انه كما اهتمت الحكومة بالمالية ، والحرية الشخصية ،  
تهتم ايضا بالحياة السياسية ، حتى يتحقق بذلك تاهيل  
الامة لحكم نفسها

هذه المجالس الحاضرة كانت من يوم ان وجدت ولا  
ترال عديمة الفائدة من كل ناحية ، فلا الحكومة فكرت

---

(١) الباب العالى هو حكومة السلطان العثمانى كما كانت تسمى  
فى ذلك الحين

فى توسيع اختصاصها بالتدريج ولا ملت تلك المجالس من البقاء غير المفيد ، حتى ان اعضاء مجالس المديرية لم ينفذوا كل ما اعطى لهم من الاختصاص بنص القانون، بل قصر اجتماعهم على نظر اعداد المكعبات اللازمة لتنظيف الترع والموافقة عليها . . وكذلك الموافقة على انشاء سكة زراعية ، الا ما سمعناه مرة عن مجلس المديرية فى المنوفية ، فانه قرر قرارا من نوع الضرائب ولم ينفذ ذلك القرار . . فاما مجلس الشورى (١) فانه كان احيانا يعرض على الحكومة طلبات واقتراحات وقد تعب من العمل فأعرض عن كل شيء . . فلا تقل لى شيئا عن هذه المجالس ، فانى اكرر لك بانها ليست اشد تأثيرا من مجلس النواب فى عهد الخديو اسماعيل

عرفنا مبلغ حقوق الامة لا بالنظر الى الطبيعة ولا بالنظر الى القانون ، ولكن تلك حقوقها الظاهرة انها لم يكن لها فى الماضى وليس لها فى الحال ، شركة حقيقية مع الحكومة . . على ان لكل امة حقا طبيعيا فى ان تشترك حكومتها فى ادارة اعمالها الا ان يكون شكل الحكومة استبداديا صرفا

وهذا النوع من الحكومات تأتى به القوة وتذهب به القوة . . وعندنا ان كل حق بنى على القوة ، لا يسمى حقا مطلقا . . اذ القوة تنافى الحق ، تناقضه وتهدمه ، فلا يصح ان يكون الهادم للشئ موجدا له . . وعلى ذلك فانا نعى بالحكومة ، الحكومة التى تتبرأ من هذا الشكل وتميل بقولها وفعلها الى ان تكون مقيدة بالدستور ، وان

---

(١) مجلس الشورى والجمعية العمومية من اختراعات الانجليز كان لهما نوع من حرية الانتخاب ، وجزء من اعضائهما معين فى الجمعية العمومية ورأيهما استشاري صرف

لم تكنها بالفعل

حقوق الامة السياسية هي اشتراكها مع الحكومة في العمل العام . وهذا الاشتراك في مثل امتنا وحكومتنا ، يكفي لتحقيقه ان يحصل منه شيء تدريجي ، بمعنى ان يكون لمجلس المديرية حكم مع المدير في مديريته في مسائل معينة ، لا مجرد رأى عديم القيمة . . وان تكون مدة انعقادها تسع ان يتداولها الاعضاء فيما بينهم في كل امر فيه بارقة مصلحة عامة ، وان يجعل لمجلس شورى القوانين اختصاص بأن يكون رايه قاطعا في كثير من المسائل . ولا بأس من ان يكون رايه في بعض الامور على سبيل الاستشارة (١) بشرط ان الحكومة كلما رفضت طلبا من طلباته تبين له الاسباب وتسمح له بالمناقشة فيها ، فان لم تقنع بمناقشة فلها الامر النهائي بعد ذلك

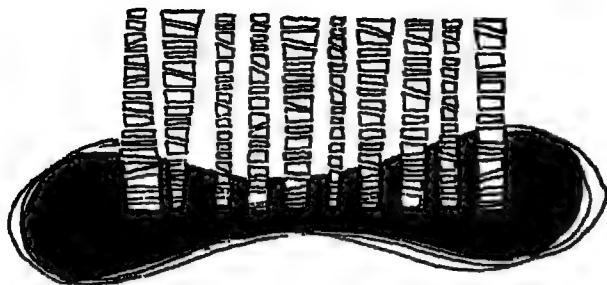
كذلك الامر في الجمعية العمومية . . بهذا يتحقق معنى المشاركة ما دامت الحكومة عازمة ان تؤهل الامة لتحكم نفسها بنفسها ، لان التأهيل للحكم لا يمكن الا اذا اخذ باسبابه ، واسباب التأهيل هي جزء منه ، فاما كون الحكومة تظن انها تترك الامة هكذا بعيدة عن كل سلطة وتظن انها ياتي عليها يوم تكون فيه كفؤا تماما لان تحكم نفسها بنفسها ، من غير عسف ولا تخبط، فهذا مستحيل الوقوع ، بل متى تأنس الحكومة من الامة هذه الكفاءة الا بالعمل ؟ ومتى يرى كبراء الامة ان لهم مكانة في نظر الحكومة فيخلصوا لها ويحبوها ، الا اذا ارثهم بوارق الامل في انها كما سمعت للخير المالي والحرية الشخصية

---

(١) هذا كان رايه يوم كانت الامة مسلوبة الارادة في كل شيء . وهو من باب « ما لا يدرك كله ، لا يترك جله »



تسمى ايضا الى الخير السياسى  
 الامة المصرية امة تحب السلام وانطاعة للقانون كما  
 تحب الاخلاص لحكومتها ، وهى تحترم السلطة الشرعية  
 ولا تنكر السلطة الفعلية . . فنظن انه قد حان الوقت  
 لان نسمع لها السلطان جميعا بان يكون لها حياة  
 مستقلة بالذات لكيلا تبقى ضائعة المركز بين السلطين ،  
 ولتفكر حقيقة فيما ينفعها من حيث هى امة مستعدة  
 لان تؤهل لحكم نفسها بنفسها ، ولتقوم بواجبات  
 الامم من السعى فى تحسين احوالها الزراعية والصناعية  
 والتجارية . . فان القيام بهذا يتوقف غالبا على اعتبار الامة  
 فى نظر نفسها ، وليزول الجفاء بينها وبين الحكومة ،  
 وتعاوننا حقيقة على القيام بالمصلحة العامة



## الفوز الصريح

قلنا ان الامة المصرية يجب ان تتخذ لها مركزا ثابتا وسطا بين السلطتين ، والا يدنى بها حب العبودية او يرمى حب المنفعة الى ان تنسى شخصيتها ، وتلغى بنفسها طائفة غير مكرهة تحت اقدام احد الطرفين (١) ، مع المحافظة دائما على احترام السلطة والقانون . هذا قول حق . . ولكن هل يرضاه سادتنا مرشدو الامة الذين نجد صحفهم محشوة بكلمات الاخلاص والوطنية ، والوطنية الحققة والاستقلال ، والحزب الوطنى الحر والجلاء ، ومجلس نواب فرنسا حقبة . . ومجلس نواب الانجليز حقبة اخرى (٢) ؟ . . لا تعرض لسبب وجود كل

---

\* نشر في العدد ١٤ من الجريدة المؤرخ ٢٤ من مارس سنة ١٩٠٧  
(١) المقصود بالطرفين هنا طرف السلطة الشرعية (الخدوي) ودلوف ، السلطة الفعلية (الاحتلال)

(٢) هنا اشارة الى خصومه السياسيين ، وكان في مصر ثلاثة احزاب : حزب الاصلاح على المبادئ الدستورية يمثلها الشيخ على يوسف وجريدته المؤيد وهو حزب السراي ، والحزب الوطنى وكان يلجأ الى فرنسا يستعديها على انجلترا مستغلا خلافهما على تقسيم مناطق النفوذ الامستعمارى في الشرق ، مع القول بالتمسك بعلاقتنا بالانراك ، وحزب الامة القائل بالاستقلال التام عن الجميع وخطته التدرج والتطور لا الطفرة . وقد انخس الانجليز من بعض نسماف الوطنية والمسترقين بطانة يناوئون بها هذه الاحزاب

صحيفة من هذه الصحف التى نعتيها والتى منها من يروج مصالح الاحتلال ، ومنها من ينفذ الارادات المستترة للمعمية السنية (١) . . . ولكننا نذكر للقارىء طرفا من آثارها فى الامة وفى الحكومة ونزن لها طرفا من مناقعها الصغيرة بما يقابله من مضارها الكبيرة، حتى ينتبه الدين لا يزالون على غير بينة من الامر

وقفت الامة المصرية فترة من الزمان موقف الحائر الدهش ، عطشى لمعرفة الصالح لها ان دوختها الايام وعاسرتها الليالى ، ترسف دائما فى اغلال الجور ، فظهر لها المرشدون ليرووا غلتها بفيضان افكارهم ، ويشفوا علتها بحكمتهم ، فتوجهت اليهم بكليتها توجه البريء السليم النية ، واعتمدت عليهم فى تقديمها اعتماد الأعمى على عكازه ، فما راعوا فيها ذمة ، ولا اخلصوا لها نصحا . . . يقبل أحدهم عليها فيفت فى عضدها ، بان يزين لها القعود عن ان تطالب بحقوقها . فتارة يجرح شعورها غير هيب يرميها جميعا أحيانا بعدم الكفاءة ، والاخرى بالانحطاط فى الاخلاق ، يزين لها ما يقع من غلطات، الاحتلال ، ويكسو بحكمته الزلل بكساء من السداد . كل ذلك ليرضى عنه عميد الاحتلال ، ويجعل له علينا سلطانا مبينا . ثم جاء بعد الآخرين يزفون لها البشرى بتحديد موعد الجلاء اعتمادا على جناب المسيو دولنكل (٢) الذى جاءنا جيئة مباركة ، اقام فيها مدة قصيرة

---

(١) يقصد بالمعمية السنية حاشية الخديو عباس حلمى الثانى  
(٢) سيامى فرنسى زار مصر سنة ١٩٠٧ م فاحتفى به الحزب الوطنى تنفيذا لسياسة استعلاء فرنسا على إنجلترا ، وكان لتناورات فرنسا فى مصر وغيرها اثر فى الاتفاق عقد بين فرنسا وإنجلترا سنة ١٩٠٤ استقلت فيه فرنسا بشئون المغرب واستقلت فيه إنجلترا بشئون مصر

أصاب فيها ما أصاب من حفاوة واجلال ، ونعم وفادة  
ودواع على صفاء الى الملتقى ..

فما لقينا بعد وما لقينا منه الا كلمة مجسامة ردا  
للزيارة وما الذى يدريكم ان المستر روبرتسون (١) يكون  
اشبه النواب بالمسيو دولنكل ؟ .. أخذ هؤلاء المرشدون  
يختلفون مع الاول فى المقدمات ويتحدون معه فى النتيجة ،  
يختلفون معه فى انه يدمو الى الاحتلال ، وهم يدعون الى  
الرجوع الى ما قبل الاحتلال ، والنتيجة واحدة : هى  
انصراف الامة بالطريقتين من التفكير فى تكوين ذاتها ،  
يختلفون فى تقدير الاشخاص من كبار الموظفين .. فمن  
اتصل منهم بعبادين كان عدوا لاول المرشدين ، عدوا  
للعقل والحكمة والحرية محبا للعبودية .. ومن اتصل  
بقصر الدوبارة (٢) كان عند الآخرين مارقا من الوطنية ،  
خائنا لبلاده

فهل يقول لنا الاول ما ذنب قضاة الاستئناف ان  
يرموا بعدم الاخلاق الا ما اقتضاه من القول ترشيح  
المستر بوند (٣) رئيسا للمحكمة ؟

وهل يقول لنا الآخرون ما ذنب فقيد انكحة والبلاد  
المرحوم الشيخ محمد عبده اذ يطعن عليه فى اخلاصه  
وطنيته الا منفعة الامة وتجربة طرق الاصلاح واتيانها

---

(١) عضو مجلس العموم البريطانى ومن الاحرار ظن فيه خير لمصر ،  
نخاب الظن

(٢) مقر المبدأ البريطانى وهو مقر السفارة الانجليزية الان  
بالقاهرة

(٣) قاض الجليزى رشع رئيسا لمحكمة الاستئناف الاهلية وكان  
لترشيحه فجة سياسية عظيمة شغلت صفحا السياسية فى ذلك  
الوقت زمنا ما

من ابوابها ، واعتقاده أن خدمة البلاد شيء والعبودية للمالك أمر آخر ، وأن الوطنية تقضى بحب الأمة وتكوين زعماء لها ينقبون عن مواطن المصلحة فيطرقونها . .

بل ما ذنب سعد باشا زقاوول الا مشروع مدرسة القضاء الشرعى (١) ، وما كان فيه المشروع من التردد بين الامضاء والاقضاء . . حتى نزعوا عنه رداء الوطنية الذى يلبسونه لمن يحبون ، وينزعونه ممن يكرهون . كل ذلك لارضاء المقامات التى يتصلون بها . ومع ذلك الاختلاف فى المقدمات نرى المرشدين المتعادين قد اتفقوا فى النتيجة . . وما هيه ؟ . . هى أنهم بما غمزوا وما لمزوا وما حطوا به من كرامة ، افلحوا أو كادوا يجردون الأمة من زعماء ترتكن اليهم . . اختلفوا فى الحملة على الحكومة ، اى على الوزراء . . فالفريق الاول يجعل « الحبة » من حسنات الحكومة « قبة » ، ويقلب سيئاتها حسنات . والفريق الثانى يجهد فى الحط من مقامها والتشهير بها فى غير موضع التشهير . واتفقوا جميعا فى النتيجة وهى تصغير مركز الحكومة فى أعين الناس ، حتى لقد كاد طرفا الحكومة والأمة يعمل كل منهما على شاكلته . وكادت تقل ثقة الأمة بحكومتها ، بل كاد وزراؤها يسأمون خدمتها الحقيقية . ولا ادرى ان كانوا سئموها بالفعل ، إلا أن تظهر الأمة معاونتها واعتدادها بهم فيأتوا بالمقابل وهو الاخلاص فى خدمتها

اختلفوا فى تقدير اشخاص الأمة أيضا . . فالذين لا يزورون قصر الدوبارة من أولى المقامات فى الأمة ؛

---

(١) مدرسة أسست لتخريج النضاة الشرعيين والموظفين القضائيين فى المحاكم الشرعية والمعلمين الذين يقبلون امامها ، وقد أقيمت الآن

لا نصيب لهم بالضرورة من اطراء الفريق الاول ، والذين يزورونه يعتبرون في نظر المرشدين الآخرين انهم باعوا وطنهم وتسللوا من قوميتهم ، ورموا بأقبح ما يرمى به الرجل الرقيق . وليس يدري أحد لهذا معنى أيضا ، لأن حضرات المرشدين يطلبون على صفحات جرائدهم من جناب اللورد كرومر أن يهبهم مجلسا نيابيا ، يشكون اليه تأثير الامة من الحكم والتنفيذ في حادثة دنشواى (١) ..

يطلبون اليه .. ويطلبون اليه .. اليس هذا اعترافا منهم بالواقع من سلطته الفعلية في مصر أو ليس صاحب السلطة يؤمه كل أصحاب الحاجات الخاصة والعامة ؟

---

(١) كان فريق من الامة يرمى كل من اتصل بالانجليز بالمروق من الوطنية ، ثم يلجأ اليهم في طلب الدستور ويحتجون لديهم على القسوة التي ظهر بها الانجليز في دنشواى . وحادثة دنشواى من الحوادث التي زعمت مركز لورد كرومر في مصر ، بل انها أخرجته حتى ذهب ما كان يدعيه من العطف على ذوى الجلايلب الزرقاء هيباء وطاحت به هذه الحادثة أبديدا . وملخص الحادث ان كثيية من الجيش البريطانى كانت في مظاهرة حربية أراد بها كرومر ان يظهر للمصريين قوة الجلترا الحربية فأخذت تخترق الدلتا . وخرج من معسكرها بجوار طنطا سبعة ضباط ليصطادوا الحمام الداجن حتى اذا كانوا في قرية دنشواى عارضهم الأهالى مدافعين لأن الحمام مملوك لهم وليس بريا ولا سيدا مباحا ، فاطلق أحد الضباط طلعا أردى امرأة وجرح آخرين فتألب عليهم الفلاحون لغالوا وهربوا ، فوجه أحدهم ميثا على أربعة أميال من القرية . وبلغ حق كرومر مبلغه فأراد أن يقتل جملة من أهل القرية بالرصاص من غير محاكمة ، ولكن لم تراه الظروف على ارتكاب هذا الجرم ، فتكونت محكمة مخصوصة حاكمة المتهمين من أهل القرية محاكمة مصرية ، وأصدرت حكمها بإعدام أربعة وبالسجن المؤبد لأربعة وبخمس عشرة سنة لثلاثة وبسبع سنوات لستة وبسنة وخمسين جلدة لثلاثة وبخمسین جلدة لخمسين وأخلى سبيل واحد ولثلاثين . وقد وقع التنفيذ في جرن القرية نفسها وعلى رأى من أهل الحكوم عليهم ، فكان هذا التنكيل في الواقع تنكيلا لا بالمصريين ولكن بالسياسة الانجليزية في مصر .. لأن هذه الحادثة كانت نقطة تحول ظاهر في الوطنية المصرية

وما الذى يدرهم ان من يزور قصر الدوبارة يطلب ما يطلبون أو مثل ما يطلبون ؟ قالوا بل اطلب حلال بالكتابة حرام بالمشافهة ، حلال لنا حرام على غيرنا .. الوزراء يذهبون الى هناك ، فهم غير صالحين ، الاميان يذهبون الى هناك فهم غير وطنيين .. ولم يبق من الوطنيين الا من لا يخرجون من بيوتهم أو من يتصدرون للارشاد ، نظن ان هذا القدر لا يكفى الوطن من بنيه اذا حكم على الجميع بمعاداته دون النزر اليسير

اما والله انى لترك هذه القضية لفطنة المرشدين ، يقضون فيها بالعدل .. وانعم بالقضاة العادلين ... اختلفوا فى طرق هذا التقدير وانفقوا فى النتيجة ، وهى تجريد الأمة من كبرائها وذوى عائلاتها . على أنهم أعلم منا بما يقول كبراء علماء الاجتماع ، ان الأمة انما تكون من العائلات وليس للفرد فى تكوينها الاجتماعى نصيب . اختلف طرفا المرشدين فى وجهة رعيهم بعضهم بعضا .. فالفريق الاول يرمى الثانى بعدم الحكمة وسوء القصد . والفريق الثانى يرمى الاول بالدخلاء أو بعدم الوطنية ، ولكنهم مع ذلك انفقوا فى النتيجة . وهى : انهم حطوا من كرامة رجال الصحافة الذين نفهم أنهم يتخالفون فى المبادئ أو فى وجهة الحكومة أو فى طريق الارشاد ، وربما احتاج الامر الى التعريض البعيد دون صريح اللفظ من الانتقاص . وكان من هذه النتيجة التأثير فى اخلاق الناس ، وخلطهم بين حرية القول وبين الشتم بما يشكو منه الآن أغلب عقلاء الأمة . اتصل كل فريق بسلطة ، فزين لها ما زين من المذهب ،

معرضاً عن كل ما يراد من جهتها (١) من غير السداد .  
 فماذا قال الفريق الاول يوم اقبل فضيلة الاستاذ الشيخ  
 حسونة النواوى من منصبه ؟ . وما الذى صنعه ذلك  
 الشيخ الجليل اكثر من قول ما يعتقد الحق حتى اقبل ؟ .  
 وما الذى قاله الفريق الثانى حين اقبل من منصبه حسن  
 باشا عاصم ، وكلنا يحس بلزوم انحرص عليه فى مثل  
 منصبه ؟ . وما الذى كان جناه اكثر من انه رأى الحق  
 ظاهراً فدافع عنه ؟ . على من تلقى تبعة تهمتنا بغير حق  
 بالتعصب الدينى الذى لا نزال نعتبراً منه الى الآن ؟ بل  
 على من تلقى تبعة التأثير فى حادثة العقبة (٢) من غير  
 موجب وهى التى جرت ما جرت خلفها ؟

لا أنكر على تلك الصحف فضلها علينا فى ترقية لغتنا ،  
 فانها كانت أكبر مساعد على ذلك . . لا أنكر عليها خدمتها  
 لنشر الحرية الشخصية بين الناس ، ولكننا لا نظن أن  
 أحداً يعترف لها بخدمة الافكار الا خدمة معكوسة كما  
 ذكرنا . أقرب شاهد على ذلك ما نحن فيه الآن من  
 الشغب والتحمس الذى لا نتيجة ولا اصل له . الا يكون  
 سببه أن بين سمو الجناب العالى « الخديو » وبين جناب  
 اللورد كرومر خلافاً جديداً شخصياً أو غير شخصى (٣) ؟

(١) أى من جهة السلطة

(٢) حادثة العقبة أو حادثة طابة . . أراد سلطان تركيا أن يمد  
 فرماً فى سكة حديد الحجاز من عمان الى العقبة . وكان اللورد  
 كرومر جاسوس يرتاد انحاء سيناءت حمايته يدمى « براملى »  
 Bramley ، التى بكتيبة تركية بجوار طابة فوقع بينه وبينها  
 نزاع قلبه كرومر الى نزاع سياسى على ملكية سيناء وبيده سِر ادوارد  
 حراى وزير الخارجية وارسل بلاغاً نهائياً لتركيا . غير أن العالم  
 الاسلامى كان فى هياج لمركز الخلافة فى هذا النزاع السياسى . ووقعت  
 هذه الحادثة فى سنة ١٩٠٦ وانتهت بضم سيناء الى مصر

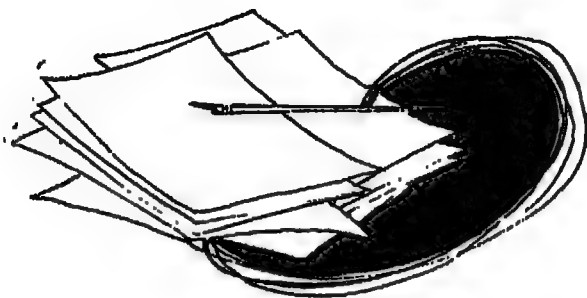
(٣) كانت السياسة بين كرومر والخديو عباس حلمى الثانى سياسة  
 خلاف الى أن غادر كرومر مصر وجاء بعده سِر الذى قورست لحصلت  
 سياسة الوفاق بينهما محل سياسة الخلاف ، ولكن على حساب الأمة



.. ان صح ذلك فما للكتاب وخدمة الرؤساء ؟ بل ما حاجة اللورد مع قوته ومنعة دولته بخدمة كاتب خلق قلمه ليعلم الناس حقوقهم ويصرفهم عن غير المفيد الى المفيد ، لا لينتصر لدى الرياسة والقوة ؟ بل ما حاجة الجناب اعلى ، وهو صاحب السلطة الشرعية ، الوارث لعرش الخديوية المصرية ، بقلم الكاتب ؟

اناشدكم الله ما حاجة كاتب القرن العشرين في أن يكون لقلمه سيد لا يخط إلا ما يرضيه ، وهو يسود الطروس مناديا بالحرية الشخصية ، مدلا على وجوب استعمال الحرية العقلية والشجاعة الادبية ؟

الامة المفصومة العرى احوج ايها الكتاب الى أقلامكم من خدمة السلطات ، فما عز كاتب اتكل على غير الله .. ولا ائمرت نصيحة أريد بها الظهور الشخصي أو خدمة غير الحق .. فلكل عمل من نية عامله نصيب .. وانما الاعمال بانيات ، ولكل امرئ ما نوى



## ماذا يجب على رجال الحكم ؟

أيحكم أحدكم باستمرار الشركة بين شريكين استحکم بينهما سوء الظن ، أم يقول أن عدم الثقة المتبادل صائر لا محالة الى ما لا تحمد عقباه ؟ وما الامة وحكومتها مهما كان شكلها الا شريكان اساس عملهما الثقة المتبادلة ، وموضوعه المال والطاعة للقانون من جانب الامة وحسن ادارة الاعمال من جانب الحكومة ، وثمرته سعادة الامة

نشعر كما يشعر الناس جميعا بأن الجفاء والتحرز للبلدين كانا دائمي الوجود بين الامة المصرية وبين الحكومات التي وليت امرها تباعا في القرنين الماضيين ، كانا قد تقلص ظلهما أو كاد في ربع القرن الماضي بسبب اقتراب الطرفين وتفاهمهما بفضل بعض الوزراء السابقين الذين كان يكثر تردد رجال الامة عليهم فيفاوضونهم في كثير من المصالح العامة . . بل كان هؤلاء اذا احسوا بأن الحكومة تشرع أمرا غير نافع خافوا عليها من الزلل ، فسارعوا الى عابدين أو الى سراي رئيس الحكومة يتظلمون أو يكشفون بما بدا لهم من الملاحظات ، وكان يتقبل منهم سمو الامير أو وزراؤه بقبول حسن ما شاءوا أن يقولوه لمصلحة البلاد

---

(\*) نشر بالعدد ١٩ من الجريدة الصادر في ٣٠ من مارس سنة ١٩٠٧

اما الآن فان الوزراء قد احتجبوا عن الناس وانصرف هؤلاء عن الاهتمام بالشئون العمومية . . اكتفى الوزراء بقسطهم من النفوذ القليل ، ورضوا بما ترميهم به الصحف من عدم الاشتغال بشيء في نظاراتهم ، ويظهر انهم تركوا كل مسئولية على المستشارين (١)

من الصعب جدا على المستشارين مهما طالت اقامتهم في مصر ، ومهما عرفوا لغة البلاد وعاداتها وأخلاقها ، أن يحلوا محل الوزراء المصريين بأن يكونوا صلة حقيقية بين أجناب العالي وعميد الاحتلال وبين الأمة . . فان الوزراء المصريين بما يكون لهم في الأمة من المعاملة والنسب والمصاهرة ومعرفة الناس في ادوار حياتهم الاولى ، اسهل على رجال الأمة مزارا واقرب اليهم مخالطة ، وابعد عن تهيب الناس مقابلتهم ليكاشفوههم بأفكارهم من المستشارين الانجليز

تحتجب الوزراء مهما كان سببه ، فانه على كل حال قد حل عرى تلك الصلة بين الحاكم والمحكوم وافضى الى الجفاء . اخذت الحكومة تعمل في ادارتها على ما ترى من غير أن تجعل للناس شيئا معها في الأمر ، ولو عن طريق الاستشارة ، الا في النزر اليسير وما يوجب القانون اخذ رأى مجلس الشورى فيه استيفاء لشكل النظام جهلت الأمة بفقدان الصلة المذكورة أسباب تصرفات الحكومة . . ولا شك في أن هذا النوع من الجهل يولد عادة شيئا من سوء الظن . وليس رجال الأمة بريئين من تبعة هذه النتيجة لانهم لم يهتموا بعرض أفكارهم في كل مشروع للحكومة على من يقوم به من رجالها حبا في العمل

---

(١) كان لكل وزارة في ذلك الحين مستشار انجليزي ، لا يستطيع الوزير المصري أن يبرم امرا في وزارته بلا موافقته

بالاشتراك واظهارا لاهتمامهم بشئون الامة ، ومعاونة  
الحكومة على الخير .. وذلك من التقصير بموضع لا يخفى  
على احد

فلو أن سادتنا الوزراء يرفعون عنهم بعض الشيء من  
تلك الحجب ، وينزلون قليلا من عرش الوزارة الى  
مستوى الامة يستبضعون منها حاجاتها من الاصلاح ،  
ويبلغونها اسرار تصرفاتهم العالية في امورها بما لا تعلم  
له نحوا ، ولو أن السلطتين ، السلطة الشرعية وسلطة  
الارشاد ، اتفقتا على أن يكون الوزير هو المسئول قانونا  
وفعلا .. وأن يكون المستشار هو المستشار . ولو أن  
الامة فطنت الى أن الحكومة ليست امة مستقلة عنها  
بمعزل ، بل هي حكومتها الواجب عليها أن تقوم على  
منافعها .. وأن من شأن الحكومة في الأمم غير الراقية  
أن تكون بمثابة الوصي . وكلما ارتقت الامة استحالت  
الوصاية شيئا فشيئا حتى تصبح وكالة صرفة ، وأن  
هذا التحول لا يكون الا بأن تضيف الامة الى تقدمها المالي  
والعلمي تقدما سياسيا أصله حب الوقوف على ماجريات  
العمل في الحكومة حتى تشارك فيه ..

لو كان كل ذلك لما وجد سوء الظن سبيلا الى التفريق  
بين الامة وبين الحكومة ، ولقام كلاهما بالواجب عليه

## الجفاريين الأمة والحكومة أسمايه ونتائج

يعلمنا التاريخ أن الأمة المصرية في ازمان بعيدة ما حكمت  
الا بالقوة القاهرة . ولم يكن للحكم العلمي في أمرها  
نصيب . . نريد بالحكم العلمي الحكم المنطبق على قواعد  
علم السياسة ، كما كان ذلك حاصلًا عند بعض الأمم  
المعاصرة لها كحكومات اليونان قبيل الميلاد . كانت قاعدة  
حكومة مصر هي الاستبداد من تلك العصور الخالية الى  
الآن . . فكان ما يشرعه الحاكم من القوانين وما يأتيه من  
الاعمال ملحوظا فيه مصلحة الحاكم بالذات ، وقد يكون  
منطبقا على مصلحة الأمة بالعرض ، أو من غير قصد . .  
كانت الحكومة دائما أجنبية تخالف الأمة في الجنس أو في  
الدين واللغة والعادات والأخلاق ، أو فيها جميعا . . كانت  
الأمة بذلك في غاية التحفظ والاحتراس من أن تخلص  
لحكومتها اخلاصاً حقيقيا ، كما كانت الحكومة أبعد من أن  
تستحق ذلك الاخلاص . غير أن الناس كانوا مضطرين  
لمصانة الحاكم يستقبلونه بشر كاذب وقلوبهم تلعه ،  
يظهرون له الطاعة بأقوالهم وأفعالهم ، ولكن قلوبهم عاصية  
كارهة ، يتحرون أرضاءه بالالفاظ ويمتدحونه في وجهه  
فاذا انصرفوا عنه وخلوا الى انفسهم دعوا الله وتمنوا لو

---

(\*) نشر بالعدد ٢٢ من الجريدة في ٢ من شهر ابريل سنة ١٩٠٧

شالت نعماته وتقلص سلطانه ..

بقيت هذه الاحساسات في الامة ازمانا طويلا متوارثة من الآباء ، فافسدت كثيرا من الانفس واضاعت الحرية العقلية ، والشجاعة الادبية التي هي طبيعة في النفوس ، وولدت تلك الاسباب جميعا سوء الظن بين الحاكم والمحكوم

تلك هي الطبائع التي يفرسها الاستبداد في النفوس ، فيحتاج اقتلاعها منها الى امد طويل في الحرية بجميع معانيها ، واخذ بالتربية الصحيحة ونظر في البراهين التي يجب ان تقدمها الحكومة للامة على اثبات حسن قصدتها، وانها تخالف الحكومات السابقة في مقاصدها من المشروعات

فلا يعجب أحد أن يرى الاسرة المصرية ، رجالا ونساء ، تبكي اذا اصاب الاقتراع احد ابنائها لخدمة العسكرية (١) وليس مصدر ذلك الجبن ، ولكنها عادة اصلها عدم ثقة الامة بالحكومة ، واعتقادها ان التجنيد هو في مصلحة الحاكم دون المحكومين ، ولو كان لهم قوة على الحكومة يمنعون بها بنينهم لفعلوا .. ولئن سألت أحدهم لماذا يبكي على ابنه المجند لعبر لك عن شعور مبهم لا يعرف مصدره، فيقول : انها لوعة الفراق وآلام البعد المنتظر هي التي تزدري عبراته .. كل ذلك نتيجة من نتائج الجفاء المؤدى الى سوء الظن

لا يعجب أحدكم أن يرى أكثر الناس في القرى يجتهدون في ان يحولوا بين متهم في جريمة وبين اثبات التهمة عليه .

---

(١) كانت الاسر المصرية الى ما قبل العهد الاخير تكرر التجنيد للجيش كان الجيش ليس منهسا وتعتبر الخدمة العسكرية لمصلحة الحاكمين لا لمصلحة البلاد

وليس كل السبب لهذا القيام ما تمليه العصبية القريية أو تفضيل الظلم على إقامة العدل ، بل هو اعتبار أن الحكومة وأعاونها لا يسعون لمصلحة الأمة فيقف الناس خفية في طريق أحكامها ، ولو تبين لهم أن ما فيه العدل . وتلك أيضا نتيجة من نتائج الجفاء . . نرى الناس يسهل عليهم جدا أن يدلوا بأموالهم الى الحكام رشوة أو عطية ولو كان الحاكم مشهورا بالعفة . وما سبب هذا : لا الكرم في غير موضع ، ولا المحبة ولكن في نفوسهم اعتقادا أصيلا أن الحاكم ينتصر للحق الا اذا أفاد مقابلا . . فليس ما يسمع الناس من حوادث الرشوة آت كله من عدم استقامة الحكام ، بل يشاركهم فيه احساس الفلاحين بأن غالبهم لا يصدقون أن الحاكم يقوم بالعدل لمصلحة المحكومين من غير أن يكون له هو أيضا نصيب من الكسب



تلك نتيجة أيضا من نتائج الجفاء . . ترى الناس يستاءون من أن تشرع الحكومة بعض المشروعات النافعة التي يمكن أن تثول عن سوء الظن بضرر خفي محتمل . ويرجحون الضرر المحتمل البعيد التحقق أو المستحيل على النفع الظاهر القريب . . فكنت ترى كثيرا من الناس يستقبلون مشروع بناء الخزان كما كان يستقبل الاعرابى البشرى بالانثى ، كاسف البال ، يتوقع من وراء هذا نتائج غير محتملة الوقوع . وليس كل السبب في ذلك القلة في الفهم أو الخطأ في التقدير ، وانما اكبر السبب هو اثر في النفس من آثار سوء الظن . . حسبنما ما ذكرناه من الاسباب العتيقة ، اسباب الجفاء بين الأمة وبين الحكومة ونتائج هذه الاسباب التي لا يزال بعضها بين ظهرائنا الى اليوم

كان من الواجب علينا من يوم أن وجد للأمة حرية

نوعية وإرادة جزئية قبيل الاحتلال الانجليزي ، أن نعمل عمل المجد الدائب لازالة أسباب الجفاء ومحو نتائجه وآثارها التي فعلت بأخلاق الناس ما لا ينكره أحد . ولكن جاءت الثورة العسكرية في غير وقتها وتبعتهاعلى أصحابها . ثم جاء الاحتلال فغير مجرد حصوله آمال الناس في التقدم ، وحول بارقة الفكرة التي كانت نشأت لحب الاستقلال الى اعتقاد عام في الامة بأن هذه الحكومة أو السلطة الجديدة ، هي أشبه بالحكومات الغربية القديمة، لا تعمل الا لامتهان الرعية واستعبادها

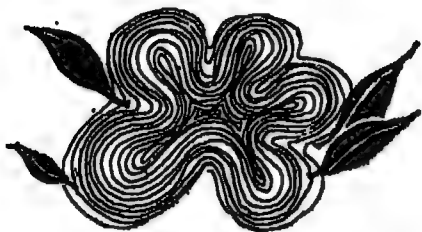
استفادت البلاد على يد الاحتلال بمعونة الحكومة الشرعية شيئا كثيرا من الإصلاحات المالية ومن الحرية الشخصية والمساواة بين الافراد والعدل . . ولكن ذلك لم يمح كثيرا من سوء الظن . وتبعة ذلك على الحكومة وعلى الامة ومرشديها ، فان الحكومة تختلف كثيرا على نفسها وذلك مما يجعل الامة في ريب من مقاصدها في مشروعاتها . ويظهر انها ظنت أن تكثير عدد الموظفين من الانجليز ، سواء كانوا مفتشين أو غيرهم ، قد يزيل هذا الجفاء ذا الأسباب العريقة في القدم بمجرد اقامة العدل أو شيء من المجاملة المتكلفة في المعاملة . . ولكن ذلك أنتج استقامة في الموظفين الوطنيين ، الا انه جعلها استقامة انفعالية أو بمباراة اخرى استقامة مقيدة بالمراقبة الضيقة الدائرة المستحكمة الحلقات التي هي أولى بأن تفسد على الموظف حريته واستقلاله العقلي ، من أن تكسبه اياهما . . فجعل الناس يظنون أن انجلترا تريد أن تبتلع مصر لا أن ترققها ، وتقوى مدنيتهما لتكسب محبتها وتكون هي أولى جميع الدول بالامتياز في بلادها ، كما يقول ساستها ، وكما كان يؤخذ من قول السير درومند وولف في مشروع المعاهدة سنة ١٨٨٧ . حسنت حال اعمال الري والمالية فقالوا : ان ذلك



لارضاء اصحاب القراطيس المالية فى اوربا . حسن حال  
العدل فقالوا ان العدل اساس الملك ، وبغيره لا يستتب  
أمر السلطان

وما كان ذلك من شأنه يهيج الانجليز ويجعلهم  
يظنون اننا ننكر الجميل ، لان هذا الجفاء القديم لا يزول  
بالاعمال التى يمكن تأويلها كما ذكرنا ولو عن طريق بعيد  
لغير مصلحة الامة لذاتها . . وان بيد الانجليز ازالة هذا  
الجفاء بمعونة الجنب العالى والامة

أما علاجه فهو اقناع الامة بالحس باصلاح حالتها  
التعليمية والسياسية بنفس المهمة التى اصلحت بها  
الاحوال المالية . أمر التربية واجب على الامة تقوم به من  
جانبها هى ومرشدوها كاصلاح الاسرة المصرية ، ولكن  
صلاح الحالة السياسية والادارية يتعلق بالسلطين معا . .  
وذلك بان يكون للوزراء نفوذ وصلة بالامة ، وان يتدرج  
ذلك من الوزراء الى الموظفين فى الاقاليم ، وان تكون المراقبة  
مقصورة على معناها ، وان تسمح السلطان باشتراك الامة  
فى عمل الحكومة بالتدريج حتى تصل الى المربطة التى  
تقصد الحكومة الانجليزية منجها اياها . وبذلك يحصل  
التعارف الكامل بين الامة وبين حكومتها ، ولا تعود  
احدهما تجهل مقاصد الاخرى . . فان من جهل شيئا لعاداه



## القول النقيض والقول الخواص

يقول ابن البلاد كلمة تخالف هوى بعض اصحاب الجرائد فيرمي بما اعتادوا أن يرموا به مخالفهم . ويقول الاجنبى الكلمة نفسها بالتمام فى وقت يناسب هواهم فيعدها كلمة « ذهبية » وينسى أنها كانت بالامس « نحاسية » أو اقل .. فما السر فى هذا ؟

كنا قلنا ما معناه : ان الامانى فى المسألة المصرية ليست بسيطة يمكن تحقيقها حالا ، وأنه من العبث الاستنجاد بالدول الأجنبية ، وأن التماس مداخلتها لا يفيد ، وأن الهياج يضر ، وأنه لا شيء أنفع للمصريين من اعتمادهم على انفسهم لتحصيل الكفاءة بالمجموع . وكل هذا ثابت فى كتاباتنا المتعددة والمتنوعة ، فقام بعضهم يتخربصون فى شأننا ويرموننا ويظنون ان هذا يحزننا ، كلا وانما يحزننا أمران : الاول - أن يضيع الرأى العام فى ضوء هذه الاهواء ، والثانى - أن تكون المناقشة قوضى الى درجة أن أحدهم يذم منك الشيء ويمدحه من غيرك . ان الشواهد لهذا كثيرة ، وآخر شاهد منها مقالة مسيو « فلورنس » وزير خارجية فرنسا سابقا فانه جاء فى نصائح للمصريين هى عين ما كنا نقول ، فلقبت هذه « ذهبية » .. ويعلم القراء ما كانت اعطيت كلماتنا قبل من الانقلاب

---

(\*) نشر بالمعد ٢٢ من الجريدة فى ٣ من شهر ابريل سنة ١٩٠٧ بعنوان « الفرق بيننا وبين الغريب »

يقول صاحب هذه المقالة : « ان الواجب على الشعوب كلها ان تضم اصواتها الى اصوات المصريين في النداء بتحرير وادى النيل والسعى جميعا الى هذا الغرض الشريف »

ونحن لم نقل هذا القول لاننا نعرف تلك الشعوب التى اوجب عليها الكاتب ما اوجب ، ونعرف كما يقول هو فى المقالة نفسها انه : « لا توجد الآن دولة من الدول مطلقا تريد اخذ هذا العمل على نفسها أو تقدر عليه » ويقول الكاتب : « لكن لا يسعنا كتمان ما فى تحقيق هذه الامانى من الصعوبات ، فان من الحق والجون اعتبار المسألة بسيطة يمكن تحقيقها حالا كما انه من العبث التغرير بالمصريين بمثل هذه الامانى الباطلة »  
فالى من يوجه هذا الكلام يا ترى ؟

ان هذا الكلام لو صدر منا ونحن أبناء البلاد لمانا اخواننا ( فى الطين والدين ) وقالوا انهم يريدون اخساد شعلة الوطنية وتنويمها ، وقالوا اننا انما نقصد فلانا وفلانا: فيا للعجب ! والى مرة يا للعجب ! ان الدين يظن ان يوجه اليهم هذا الكلام (لو قلناه نحن) هم الذين نشروه واطروه .. فما الفرق بيننا وبين الغريب ؟



يقول الكاتب : « المصريون يعتمدون على أنفسهم » وقدن اخطأ بهذا التعبير .. ولعله قصد ان يقول فلان ينبغي للمصريين ان يعتمدوا على احد الا على أنفسهم . نقول اخطأ لاننا لما قلنا يجب ان تعتمد على انفسنا قامت القيامة وقالوا اننا لا نريد لهؤلاء النفر من قومنا ان يستفيشوا « بروبرسون » فقلنا لهم افعلوا ما بدا لكم ، واستفيشوا ما شئتم ، ولكننا لسنا معكم من المستفيشين .

يبحث هذا الكاتب في الوسائط التي يجب على الأمة اتباعها لتحرير نفسها . . فذكر أولا الاستنجاد بالدول فقال انها واسطة برتاب في نجاحها . وقد أخطأ بالتعبير اذ قال « برتاب » والصواب أن يقال « يقطع بعدم نجاحها » الا أن تكون الجزء الاخير من العلة المركبة » ، وهذا يؤخذ من كلامه نفسه لانه قال : « فانت ان حاولت الاستنجاد بدولة وانجذتك ، فما يكون شأنك الا الخلاص من سيد ، والوقوع في رقة سيد آخر . وليس هذا مما يستحق التعب والجهاد »

وذكر ثانيا الثورة وهو لا يصوب الرأي فيما يقول : « لان الثورة ان خابت فما يكون شأن الأمة بعدها الا زيادة القهر والاستعباد وابعاد الامل في الوصول الى الغرض ، وان نجحت فماذا يكون حظ الناس بعدها وهي تقطر دما والاهواء والشهوات جميعا هائجة نائرة يكون حظهم الفوضى ، والفوضى تؤدي الى السقوط التام . ثم ذكر ثالثا واسطة اخرى فقال : « بقيت واسطة واحدة وهي ابطا في الوصول الى الغرض ولكن أكد نجاحا وهذه الواسطة هي تكوين رأي عام وطني وتفديته غذاء مستديما حتى يقدر ان يؤثر في اخراج العنصر الاجنبي شيئا فشيئا من وظائف العمل والحكم واحلال العنصر الوطني محله »

ونحن نرى هذا الرأي ونذهب هذا المذهب ، ولكن هل الطريقة في تكوين الرأي العام أن يقوم واحد أو اثنان برأي ، حتى اذا قام مئات من الأمة برأي يخالفه بعض المخالفة ، عدوا مارقين من الوطنية . . أفهكذا يتكون الرأي العام ؟

أهذه كل البلاغة : وهل هذه كل الحجج ؟ . .

يقول مسيو « فلورنس » ان المسألة المهمة في الموضوع هي انشاء روح وطنية لا روح عناد ولا اضطراب ، بل روح

تحترم أولياء الامر اذا لم يتجاوزوا حدود وظائفهم ..  
انه لقول نفيس « ذهبى » ، ولكن مثل هذا القول بالتمام  
قلناه نحن في مستهل جريدتنا فكيف قبول ؟ اننا نحن  
قلنا « ان أسهل سبل الاقناع واكدها في الوصول الى  
الفرض هو سبيل المحاسنة التى لا تجر الى ترك حق  
او تزيين باطل » فما كان من بعض الجرائد « الوطنية »  
الا اعدام هذا القيد ( التى لا تجر الى ترك حق او تزيين  
باطل ) وتسميه المحاسنة التى تكلمنا عنها محاسنة مطلقة .  
وبنت على ذلك سؤالاً طويلاً لا يرد فى مثله جواب ، ولم  
يكن من لزوم لاعادة هذا الماضى ، لولا ما احزننا من هذه  
الفوضى فى المناقشات والدعاوى ، وما آلمنا من نفوذ  
الاجنبى فى كل شىء حتى فى رأى بسيط يديه ، وحتى  
صاروا يدمون الكلام ان صدر من ابن البلاد ويمدحونه  
نفسه ان صدر من الاجنبى

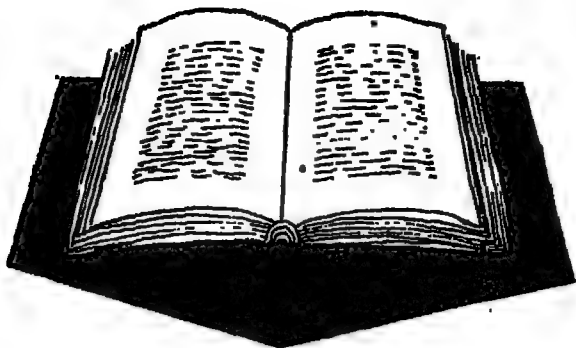
فهل بلغ الفرق بيننا وبينهم الى هذا الحد ، وهل  
نثبت هذه الفروق يوماً وننفيها يوماً ؟ فالى متى هذه  
الحال ؟ وماذا عسى أن تكون نتيجة هذه المقدمات ؟ ..  
ان الاستقلال الفكرى هو من جملة أمانينا ، فكم يالْم احدنا  
اذا لم يجد للاستقلال الفكرى اثرًا حين يرى قادة الافكار  
منا يستحسنون ويستتهجنون اقوالاً واحدة بعينها بالنظر  
لقائلها ، لا بالنظر اليها نفسها ؟!

فبالله كيف نرقى اذا كان استقلالنا الفكرى هذه  
درجته امام العيان .. الا فليتيق اخواننا الحساب ، فانه  
خير لهم ولهذا الوطن العزيز

نحن لا ندعى علماً كعلم « فلورنس » ولا مقاماً فى  
الوجود كمقامه ، ولكن يحزننا أن يتجسم الفرق بيننا  
وبينه الى درجة نحار معها فى تأويل ذم قولنا ومدح قوله

وهما سواء . . . ويحزننا الا نرى للاستقلال الفكرى اثرا  
فى عالمنا ، على حين ان اماننا مطالب غالية

ان الاستقلال الفكرى فوق كل شىء ، فيؤسفنا ان نراه  
مقضيا عليه الى هذا الحد . . . وعسى ان نراه يوما ما حيا  
يتجلى فتعرف به الاشياء كما هى ، ولا ينظر للغريب بعين  
ولا بن البلاد بعين غيرها



## مذهبنا ومنهجهم

ان الجريدة لم تنشأ لان تحابى السلطة الشرعية او  
الفعلية . ولا لان تعادى واحدة منهما ، ولا لان تنتصر  
لاحداهما على الاخرى . . بل انشئت لامر ارفع من ذلك  
واسمى . . انشئت لتنصر الحق الذى خسده كثير من  
الكتاب خدمة لاغراضهم الدائية ، ولتبين للناس الحقيقة  
التي يجتهد اغلبهم في سترها عن الامة طمعا في نعمة تتدلى  
اليهم ، او تهيا من قوة يتوهمونها في سبيلها او جريا على  
عادة رسخت فيهم . . ولكي توضح أن هناك مصلحة يجب  
ان تضحي في سبيلها كل المصالح ، ومقاما يلزم ان يكون  
ارفع المقامات واقدسها . . وهما مصلحة الامة ومقامها .  
وان فيها قوما يأمون لكل تصرف يضر بهذه المصلحة او  
يحط من ذلك المقام ، ويعملون على منعه والانتقام له مهما  
كان مصدره بكل الوسائل الشريفة التي اباحها القانون .  
ومؤسسو الجريدة يعلمون قبل انشائها أن هذا العمل من  
أصعب الامور وأدقها وأشدّها خطرا عليهم ، ولكنهم وطنوا  
انفسهم على ملاقة هذا الخطر من غير مبالاة . . لانه لا يمكن  
ان تخدم البلاد خدمة حقيقية الا اذا لم يبال اهل الراى  
فيها بالصعوبات التي تصادفهم في سبيل الجهر بالحق  
وأعلاء كلمته . .

---

(\*) نشر بالعدد ٢٥ من الجريدة في ٦ من شهر ابريل سنة ١٩٠٧  
تحت عنوان « عود على بلد : مذهبنا ومذهبهم »

ولقد يجد الظالمون انفسهم في هذه الخطة ما يروج بضاعتهم . ولكن الجريدة لا تحفل بسعيهم ، ولا تمسول في أداء مأموريتها على التلميح ، بل على التصريح ، لانها تعد الثورية في مقام البيان موارد لا تليق بشأن الاحرار .. ولا يصح الاعتماد عليها في كشف الحقيقة وتنوير الافهام ..

وبعد هذا يقول المؤيد (١) بأن بعض الشركاء شافهه بعدم الرضا عن خطة الجريدة . فما كان اغناه عن هذا السعي العقيم النتيجة ، الذي لا يضر الجريدة في شيء . ولو أن المؤيد وقف عند هذا الحد من التدرع للايقاع بالجريدة لما سمع منا قولا ، ولكنه سامحه الله يدعى أنا اشرنا بقولنا « الارادات المستترة » الى أن الجمعية العمومية كانت في قراراتها متأثرة بسلطة سمو الامير .. على أنا قلنا في كل موطن من مواطن ذكر الجمعية العمومية وفي التعليق على أقوال بعض الجرائد قولا صريحا بأننا نعرف شخصا أن رجال الجمعية العمومية الذين نعرفهم لم يكونوا متأثرين بأى سلطة مطلقا

نقول للمؤيد ان لكل مصرى حق الرأى على ما يصدر من رجال المعية السنية ( رجال الخديو عباس ) من الاعمال فيقوم يهدد ويتوعد ، ويقول ان هؤلاء الموظفين لا ارادة لهم ، انما يعملون كل شيء بأرادة سمو الامير .. يريد بذلك أن يستدرجنا الى أن يثبت علينا ما يظنه تهمة وهى القول بالرأى فى عمل الامير - له ما طلب - كأننا به يقول ان الملوك والامراء معصومون ، وأن تابعيهم من البطانة متى حلت فيهم هذه الارادات أصبحوا كذلك .. فلا يحل لاحد أن يتكلم عن الامراء الا بالاطراء والثناء ..

---

(٢) يقصد جريدة المؤيد للشيخ على يوسف ، وطالما وقمت بينها وبين صحيفة «الجريدة» مساجلات ، هى وجريدة اللواء لصطفى كامل



مذهب جديد في الاسلام ! .. يظن به المؤيد انه يرضى  
سمو الامير ، ولو اغضب ذلك العقل والدين والطبائع  
والناس أجمعين ..

رويدك فانه لا يستطيع احد ان يحط بكرامة المعية بحق  
او باطل بمقدار ما فعل المؤيد من اضافة التقديس  
والعصمة لها ، وجعل رجالها مجردين عن الارادة كما لا  
يستطيع احد ان يجهم وجه خدمة الانسانية بستر ما يجب  
في حق الامراء من حب الحق والعدل والانتصاف من انفسهم  
بمثل ما يقول المؤيد ..

هل يليق بورثة ابن عباس وابى حنيفة الذى جلس  
ليتولى القضاء فأبى ، ان يأبوا على انفسهم وعلى الناس  
الاجتهاد بالرأى في عمل الامير ويطأنه رغبة او رهبة ؟ أم  
يليق بورثة روسو في الارشاد الى الحرية والاستقلال ان  
يحدوا من استقلال الافراد في الرأى بالتهديد والوعيد ،  
وان يستببحوا الغرض الدائى في خدمة الامة ، وان يتصادر  
احدهم للاستجواب عن المسئول عن التحرير وغير المسئول  
كانه اقام في خياله محكمة الاراء ليصدر الاحكام على من  
يخالفه في الرأى .. لان شك بعد ذلك في أن من يقول هذا  
القول يستهين بأفكار الامة بأسرها ، ويظن انها من السداجة  
موضع يسمح له بأن يقول ما شاء من الايهام

على أن الامة المصرية يجب أن تكون أرشد من ذلك بكثير  
.. ويظهر أن هذا الاسبوع ، هو اسبوع جبروت الجرائد ،  
فما أشبه التيمس في وعيدها بالمؤيد في تهديده ، جرحت  
التيمس المصريين فى شخص اميرهم ، فما أبعد هذا عن  
غرض الانجليز فى كسب صداقة المصريين . ودافع المؤيد  
عن سمو الامير بما يقتضى انه لا يميل الى أن تكون اعمال  
بطانته موضع انتقاد باخلاص .. وما أبعد هذا عن ميل

## سمو الامير وتصريحاته

ان اميرا شريفا مسلما كاميرنا يدين بكثير من عرشه الى الاسلام وخلافة المسلمين لجدير بأن يقول كما قال عمر: « من رأى منكم فى أعوجاجا فليقومه » . ويغبط بأن يبيع لكل مصرى القول بالحق ورفع النصحية بالأخلاص

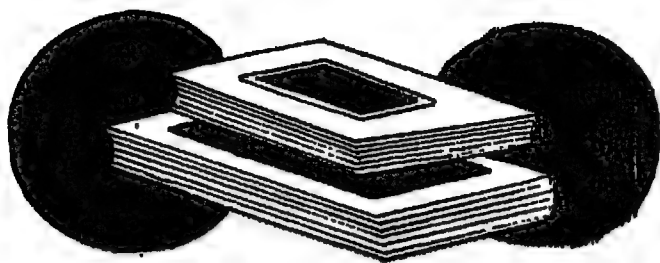
ان اميرا عاليا كاميرنا تربي تربية عالية عصرية سداها الحكمة ، ولحمتها الحرية ، يكره الاستبداد وطبائعه ويجب مشاركة أمته إياه فى العمل كما صرح للملأ ، ويقبل تحت رعايته الجامعة المصرية التى تخرج الفلاسفة وعلماء الاجتماع ، لجدير بأن لا يقبل أن تكون أفراد حاشيته مسلوبى الإرادة كما وصفهم المؤيد

فمتى بطل مبدأ المؤيد من هذا التقديس القديم ، تقدم للقارئ المبدأ القويم وهو الذى نعتقده ونقول به . ان الامير صاحب السلطة الشرعية مصدر القوانين ، يجب على كل فرد ومجموع أن يحترمه احتراماً تاماً ويطيع قوانينه سرا وعلانية ، كما يجب أن يذيع الكتاب عنه أعماله المبنية على الحق والعدل ليأمن الناس فى حكمه ، وتزداد طاعتهم للقوانين وثقتهم بمصدرها . . وأن يرفع اليه كل منهم النصيحة ومواطن ألم الناس (ان كان) نصيحة لا يخالطها رغب فى تقريب ، ولا رهب فى اقضاء . بذلك يؤسس الحكم على الحرية ، وتنفلد قوانينه بالرغبة دون الرهبة . . وفى ذلك سعادة الحكام والمحكومين

ومن الناس رجال قلدوا بعض الكتاب ، فأصبحوا يقولون ان الحق لا يصح أن يقال منا على أنفسنا . . ويظنون أن هذا ضرب من ضروب السياسة ، كما أنه يجب على كل فرد منا أن يكون سياسيا يستر عيب نفسه وذويه وأمته والادارات الوطنية ويكشف الستر عن عيوب الغير

وادارات المملكة للانجليز .. ولا يعلمون ان الحق المتعاقب بالمبادئ والاعمال العامة يجب أن يقال دائما ، لاسيما اذا كان وجهه غير خاف على المطلعين كما لا يعلمون ان السياسة ليست من اخلاق الامم ، وانها مع ذلك لا تخالف قول الحق في شيء . ان اتباع ما يذهبون اليه هو الذى يقضى بالاخلاق الصحيحة الى البوار ، وان في العمل به تحقيقا للتهمة الموجهة عاينا كل يوم من الانجليز والاجانب ورمينا بعدم الكفاءة

فالواجب علينا عمله تلقاء هذه الآراء ان نصرح بالنقد نصريحا ، سواء في ذلك اعمال المحتلين او اعمالنا .. فانه آن للعقول ان تفك من قيود الوهم ، فقد أضناها القيد ، وان تعرض ما عندها على سوق الأفكار ، حتى يبين الصالح من الفاسد .. فان حياة الباطل في غفلة الحق عنه



## تقديس الحكومة بناي الكرامة والاستقلال

لبعض الهنود تمثال يعمل به يده ، فاذا هب من نومه  
في الصباح لا ينطلق لعمله الا اذا قدم لذلك آله الذي  
صنعه بيده آيات الجمد والشكر .. وهذه هي صلاة  
الصبح عندهم

اطن اننا لا نملك انفسنا من الابتسام لهذا القصص ..  
ولكننا اذا رجعنا الى انفسنا وجدنا أننا نعمل كل يوم أعمالا  
مضحكة تكاد تكون في أصلها كعمل ذلك الهندي وان كانت  
صورتها أقل جفاء

الحكومة وكيلة عنا .. نحن نصبناها للقيام بأعمالنا ،  
نحن الذين نرزقها بأموالنا ، وتدفع عنها بأولادنا .. ولكننا مع  
ذلك نقف من أفرادها موقفا يقرب من موقف الهندي أمام  
تمثاله ، وان اكبارنا للأفراد العالين منها كالنظار ومن دونهم  
يتطرق دائما لأكبار ادنى المستخدمين حتى اعسكري النقطة ،  
فانه في نقطته لا يسا كسوته الرسمية تراه محفونا دائما  
برجاء من حوالبه رجاء يكون في مواطن كثيرة بالغا حد

---

(\*) نشر بالعدد ٤٥٤ من الجريدة في ٢ من سبتمبر سنة ١٩٠٨ بمبتوان:  
« دوضوا انفسكم على الاستقلال »

العبادة ، لان العابد لا يعمل لمعبوده الا خشوعا ورجاء ..  
فهل يمكن بعد هذا ان تضحك من الذى يقس ما  
صنعت يداه ؟

ان هذا الاحساس الذى يدفعنا الى المبالغة فى تمييز  
أفراد الحكومة فى الاجلال على أفراد الامة ، هو الذى يبعثنا  
دائما عن نيل الاستقلال ، بل هو الطابع الذى يختم به  
فى عنق الفرد المحكوم بالحكومة الشخصية علامة على أنه  
لا يزال يحس بعبادة البسالة ، عبادة القوة التى هى قوام  
الحكومة الشخصية

يمكننا ان نقول ان هذا الاحساس قد تقلص ظله ،  
ووجدت فى مصر أمثلة تدل على ان الامة تتخلص منه، ولكن  
لا يمكننا ان ننكر مع ذلك أن طلاب الرتب والنياشين من  
وجهائنا ، وطلاب الارتزاق فى خدمة الحكومة من شبائنا،  
والمغائب فى طمع الارتقاء من موظفينا ، لا يزالون يقفون من  
رجال الحكومة ذلك الموقف المضحك المعيب ، موقف الهنـدى  
من صنمه .. على أن هذا لا يمنع من أن لدينا رجالا فى  
الامة لا يفرقون بين زيد وهو حاكم ، وزبد وهو محكوم،  
ويأخذون من الحكومة حقهم ، ويعطونها حقها ، ويعتقدون  
أن الحكومة فى مجموعها وأفرادها ليست الا وكيلا نصبته  
الامة ، لان الامة هى الكل فى الكل ، ومقامها فوق كل  
مقام

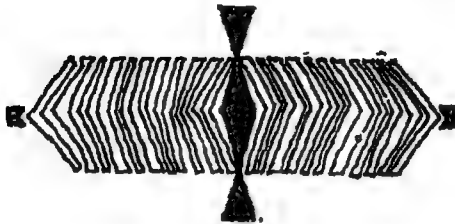
ولكن هل يلىق بذلك البعض من أعياننا وموظفينا —  
ونحن على باب الدستور — أن يكون هو الحجة الحية علينا  
للذين يرموننا كل يوم بضعة الاخلاق ، وعبادة السلطة ،  
والقفلة عن فهم معنى الحكومة النيابية ؟

والموظفون فى كل بلد مظهر الطبقة الراقية فى العقل  
والعلم ، فاذا كان الموظف المصرى يتوكل فى مستقبله على

مجرد الخضوع للرئيس ، ويعتمد في تنفيذ عمله على اذلال افراد الامة الذين تسوقهم الصدفة اليه في مكتبه . . اذا كان هذا الموظف يلك له أن يكون عابدا لمن فوقه معبودا لارباب الاعمال عنده ، فلا شك في أن وجوده عار على مصر والمصريين ، بل على الانسانية بأسرها . . اذا كان بقاء ذلك الموظف في الخدمة سيكون حجة على قومه بالضعف والمهانة ، فاحر به أن يرى سف التراب أكرم له من ذلك البقاء الدنس المضر

الاعيان هم رؤساء الامة الطبيعيون ، هم رؤساء العائلات ، والامة لا تتكون من الافراد بل تتكون من العائلات . . فاذا كان احدهم يرى ان الرتبة لا تأتبه الا من عبادة فير الله والخضوع لغير القانون ، فان رتبته انما تكون مميزة له عن اشراف الناس لا عن سركتهم . . بل تكون شارة له انه يدوس بقدميه شرف امته وشرف الانسانية . ومثل ذلك العين حقه ان يتواوى ، من المصريين الذين يعوق بعمله سيرهم الى التقدم ، ويمعن خصوم الامة عليها . وما هذا على نفس الحر بقليل

نسوق هذا القول لا لمثل جديد وقع بين ظهرائنا . . لا قدر الله . ولكن لبيان انه يجب علينا أن نروض انفسنا من اليوم على الاخلاق الدستورية فانها هي التي ستجىء لنا لا محالة بالدستور في وقت قريب



## الفصل الثاني

### مخن والاستعمار



## تواكلنا وتوكلنا

إذا كان حل المسألة المصرية ، أو استقلال مصر ، أمرا  
أوروبيا محضاً كما قال لورد كرومر ، فلا شك عندى فى  
أن جميع الاعمال التحضيرية التى تؤدى حتما الى الاستقلال  
هى بيد المصريين ، ومن اعمالهم الذاتية التى لا دخل لأوروبا  
فيها . . المصريون هم الذين يقومون بتعليم أنفسهم وترقية  
احوالهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ثم لا يكون  
من عمل أوروبا بعد الا الاعتراف لهم بالاستقلال . المصريون  
يقومون بوضع المقدمات المنتجة للاستقلال ، وأوروبا تعترف  
بذلك الاستقلال . . فعمل أوروبا لنا لا يمكن أن ينتظر  
مطلقا قبل أن نفرغ نحن من القيام بواجبنا الوطنى  
الاقდس ، الذى هو استجماع كل الاسباب المؤدية  
للاستقلال

غير أننا فى الماضى قد أخطأنا فى تقدير الواجب علينا ،  
والقينا مسئولية العمل لاستقلال مصر عن عاتقنا الى عاتق  
غيرنا . . فعلقنا آمالنا فى أول الامر بالاستانة ، أى بحكومة  
جلالة السلطان صاحبة السيادة علينا ، وبتينا ننتظر نتائج

---

(\*) خطبة ألقيت فى نادى حزب الأمة بسراى البارودى وكانت  
بشوارع غيط العدة بجوار باب الخلق ونشرت بعدد الجريدة رقم ٣٦٢  
الصادر فى ١٧ من مايو سنة ١٩٠٨ بعنوان « الحالة الحاضرة »



ما يعمله لنا الاتراك ٠٠ فلم نفل من وراء ذلك شيئاً ، حتى أن الانجليز أنفسهم قد عرضوا شروط الجلاء سنة ١٨٨٧ وحفظوا لانفسهم امتياز الدخول في مصر اذا جرى فيها من الحوادث ما يدعو لدخول دولة اجنبية ٠ ولكن فرنسا التي لم تكن تطفأ نار مطامعها في مصر الى ذلك الحين ، ولم تكن خمسة الاعوام التي مرت على الاحتلال كافية لجعلها تنسى أسفها على عدم مشاركة الانجليز في الدخول الى الاسكندرية ، والتي كانت صاحبة النفوذ الاول في مصر قبل الثورة والتي تعرف أن حصول انجلترا على امتياز في مصر من شأنه أن يقضى على نفوذها فيها - قد زينت للباب العالي عدم قبول الشروط الموضوعة للجلاء ، فظلت المسألة على ما كانت عليه

أنسنا وقتئذ من غيرة فرنسا الظاهرة على مصالحنا ، وطمعنا في مساعدتها أيانا على نيل استقلالنا ٠٠ فولى جماعة منا وجوههم شطر باريس ، وما جئنا من وراء ذلك الا وعودا من بعض النواب الفرنسيين قد ذهبت بها الايام غير أن حبل الرجاء ما زال معلقا بحكومة فرنسا حتى قطعه نهائيا الاتفاق الفرنسي الانجليزى سنة ١٩٠٤ ٠٠ عند ذلك تقطعت بنا الاسباب ، ولم نشأ أن نقصر مجهوداتنا على العمل لاستقلالنا في داخل بلادنا ، بل تطوح بعضنا الى لندن ، وصرنا نعلق الامل في نيل الحكومة الدائمة والاستقلال النوعى ، مرة على وزارة الاحرار وأخرى على أعضاء البرلمان ، وثالثة على حسن الشهادة في حقنا من المعتمد البريطانى في مصر

تواكلنا وتوكلنا في استرداد حريتنا القومية على جاذبية المعتمد البريطانى ، أو على أخلاقه الشخصية وعظم تأثيره في وزارة أمته ، كما تتوكل الرعية الضعيفة في إقامة

العدل بينها على الاخلاق الشخصية للملكها المستبد . ونحن  
 فى هذا لم نلاحظ انه اذا كانت تركيا وفرنسا لم تعملوا  
 شيئا لاستقلالنا ، فان انجلترا التى ما احتلت بلادنا الا  
 لمصلحتها - هى للعمل لمصلحتنا أبعد كثيرا من تركيا  
 وفرنسا . صرنا نعلق الامل بمعتمد جديد يجرى فيشهد  
 لنا لا علينا ، ويوفى بعهود أمته فى انالتنا الحكم الدستورى  
 تدريجيا ويمحو سوء التفاهم . وبالجمله كان يؤمل كثير  
 هنا أن هذا المعتمد الجديد مبعوث وزارة الاحرار الجديدة ،  
 سيجعل لنا من بلاده ما يستطيع نقله من حرية قومه ،  
 وينقل الينا هيكلا من هياكل الدستور ، ويربط بحذقه  
 وحسن نيته ثقة أوربا المالية بنا ثقة أكيدة يقيض منها  
 الذهب ، وتسعد بها البلاد . . كل ذلك كنا نعتبره الخنازل  
 لمطالبنا المجردة ! ! مضطكات مبكيات ؟ !



أجل كان اللورد كرومر يسير فى سياسته على ضرب  
 من الاستئثار بالسلطة تقتضيه مصلحة الاستعمار : انهاء  
 فى الحركة الاقتصادية يأمن به الأوروبيون على مصالحهم  
 فلا يحركون ساكنا فى المسألة المصرية ، وضغط شديد  
 على التعليم فى مدارس الحكومة وإبقائه عند حد يضمن  
 عدم نبوغ المصريين وتقدمهم فى العلم ، واعتبار الموظف  
 المصرى دائما آلة فى يد الموظف الانجليزى حتى يفقد  
 البقية الباقية من ملكة الحكم ، وليس سوى فى العبودية  
 أمام الانجليز الرفيع والوضيع والموظف وغيره ، واعتبار  
 الأمة برجالها كمية عاطلة تنهيا لا تبصر مرثيا ولا تعترف  
 بجميل ، وإذاعة الاخبار عن تعصب المصريين واضطرابهم  
 فى جميع أرجاء العالم حتى يبرر تصرفه فى مصر على ما  
 يشاء . . تلك هى سياسة اللورد التى يكون من جرائها  
 القضاء على كل رجاء مصرى فى الاستقلال

جاء السير الدون غورست (١) تستقبله الأمة بما ذكرنا من الآمال في تغيير سياسة سلفه تغييراً جوهرياً . . . وها هو ذا قد أقام بين ظهرائنا عباً كاملاً تفشت في خلاله الأزمة المالية تفشياً هائلاً ، فلم يشأ أن يمد يده لمساعدة الأمة بأية صورة من الصور ، رغماً من الحاح جميع طبقات الأمة . ثم رمانا آخر العام بتقرير يبين فيه سياسته ، فلم نجد مخالفة مطلقاً بينها وبين سياسة سلفه . . . بل كان تقريره وتقرير سلفه مكتوبان بقلم واحد . نعم يوجد بين سياستهما فرق واحد ، هو اتفاق بينه وبين صاحب السلطة الشرعية (٢) على صورة لم تعهد لها مثيلاً في أيام سلفه . . . وقد إيدى بما ذكره في تقريره اذ يقول :

« ومهما يكن قد تم من الأعمال الحسنة ، فالفضل للخيديو ونظاره على معونتهم الصادرة من صميم الفؤاد ، واتفاقهم على العمل بالوئام والاخلاص مع البريطانيين الموظفين في الحكومة المصرية »

هذا هو كل الفرق بين السياستين . . . ولكن ماذا نجنى نحن الأمة من هذا الوفاق ؟ . . . لم نجن شيئاً مطلقاً ! بل قد يشغل على نفوسنا أن نحتمل أن أميراً يكون موضوعاً لمذح أو غيره في تقرير قنصل حكومة محتلة بالفعل لا بالقانون ، خصوصاً أنه ليس من البعيد أن يظن الناس بحق أن الأمير راض تمام الرضا عن سياسة هذا المعتمد الجديد الذي يقضى فيها على كل أمل في الاستقلال . ولم يظهر له عمل ألى الآن من الأعمال التي من شأنها ترقية

---

(١) المعتمد البريطاني الثاني بعد كرومر وكان رجلاً ضعيف الراى  
خامل الذكر  
(٢) الخيديو عباس حلمى الثانى

حال البلاد من أى نوع من انواع الرقى . نعم ان مدته لا تزال قصيرة ، ولكن تقريره يدل على نية ابقاء الحال على ما هى عليه ، حال على أسوأ ما تكون عليها بلد من البلاد التى تطمح فى الاستقلال

كنا قطعنا الامل من المعتمد القديم ، وليس عندنا أدنى دليل يدل على أن المعتمد الجديد يترك محالثقتنا فى انتقال نظامنا الى حال أحسن

رأيتم أن الانجليز هم الانجليز ، وان السير الدون غورست مع اتفاهه مع السلطة الشرعية اشد خطرا علينا من اللورد كرومر باختلافه معها . . فعلى من يكون اعتمادنا فى بلوغ الاستقلال . . ؟

على انفسنا ، على أعمالنا ، على تضامننا ، على أن تكون امتنا كما قال صولون (١) : « خير الامم أمة يتاثر فيها جميع الافراد للالهانة التى تقع على واحد منهم » . . يطالب جميعهم على السواء بتعويض الالهانة بنفس الحدة التى يطالب بها من وقعت عليه شخصيا  
تلك هى الأمة المتضامنة الافراد التى يدخر لها المستقبل السعادة القومية عاجلا او آجلا . .

من أجل أن يكون عملنا مفيدا لبلادنا ، يجب علينا أن نتفق بادىء الامر فى النظر الى حالتنا الراهنة وتقديرها تقديرا حقيقيا ، لا مبالغا فيه ، ولا متجاوزا فى الحكم عليه . حد الحقيقة ولو كانت مرة تؤلم عواطفنا ، فانا اذا لم نحتمل مرارة الحقيقة التى تظهر لنا النقص الذى يجب علينا سده ، لا يمكننا أن نحتمل المشاق التى تعرض لنا فى سبيل استقلال بلادنا

---

(١) Solon سياسى ابنى قديم

هنا يجعل بى ان أقول ان بعض الناس يخطيء كثيرا في هذه الحقيقة ، ويظنون ان اشهارنا لنقص اجتماعى او سياسى او تصدينا لنشر تصرف منتقد صدر من سلطة اهلوية ، كل ذلك يقيم علينا الحجة باننا غير اهل للحكومة الاستقلالية .. ولكنهم نسوا ان ستر عيوب الامة عنها ، اقرار لها على ماهى عليه من التأخر وصرف لها عن اصلاح ذاتها .. وذلك هو الذى جر علينا الى الان أسوأ النتائج فالواجب علينا لقاء ياسنا من كل مساعدة خارجية عنا ، ان نقف تمام الوقوف على حالتنا الحاضرة بجميع أنواعها سياسية واجتماعية واقتصادية

### حالتنا السياسية

كان يجب ان يكون الفرق بين حكومة محمد على وحكومة سمو الخديو ، كالفرق بين مبادئ الربع الاول من القرن الماضى وبين المبادئ الحالية للقرن العشرين . كان لحكومة محمد على شبيهات فى الحكومات الاوربية المتقدمة وقتئذ ، ولسكن حكومتنا الحالية ليس بينها وبين حكومات أوربا حتى الصغيرة منها شبه ما

كان يجب أن يكون الفرق بين حال امتنا فى عهد محمد على وبينها الآن ، كالفرق بين جهلها وفقرها فى ذلك العهد ، وبين معارفها وثروتها اليوم .. ولكن امتنا لا تزال تحفظ شباها كبيرا من صورتها فى اوائل القرن الماضى فيما يتعلق بحالتها السياسية ..

لا انكر ان حكومة اليوم فيها نظم قضائية ونظم ادارية ، ولا ان امتنا اليوم فيها اناس متعلمون ، ولكن الحكومة والامة لا تزالان تحفظان من صورتهم القديمة أسوأ العلاقات بين الحاكم والمحكوم .. تحفظان مبدأ الاستبداد ،

استبداد بالرأى من جانب الحكومة ، وطاعة عمياء من جانب الأمة .. فما أشبهنا اليوم بنا أيام الظلمات الاولى من القضايا المسلمة أن شكل الحكومة ينم دائما على مبلغ الأمة من درجات الاخلاق ، عاليها وسافلها .. لأن الحكومة ليست في الحقيقة الا عرضا من أعراض الأمة ، فكيفما تكون الأمة تكون حكومتها

فهل بقيت امتنا على ما كانت عليه من أخلاق الذل من أوائل القرن الماضي الى الآن ، حتى تمكنت المبادئ الاستبدادية من النمو والبقاء فيها ؟ .. وهل يكون الفرق بين مصر الامية وبين مصر المتعلمة ، فرقا قليلا جدا ، بحيث أن المبادئ الاستبدادية لا تزال تجد من نفوسنا أبوابا مفتوحة لقبولها وأسكانها في القلوب مسكنا مباركا حتى بقيت حكومتنا استبدادية لا أثر فيها لسلطة الأمة ، ولا ظل فيها للدستور ؟

.. ليس العلم بخواص الاجسام وتصريف الماء ومقاومة المواد وفقه القوانين ، هو كل مقومات الامم .. وليس هو الموجد للأخلاق العامة التي يكون من نتائجها الثقة المتبادلة بين الرجل والرجل ، والتضامن بين العامل والعامل ، ونصرة الحق والشجاعة الادبية في ابداء الراى والاستقلال الذاتى الذى يجعل الحر يأبى أن يكون عبدا للسلطة مهما كانت قدرتها على نفسه وعلى ماله .. تلك الصفات التي هي من أركان الاستقلال العام ..

لكي يمكننا الحكم على أن تلك الصفات العالية هي الغالبة في الأمة ، يجب علينا أن نرقب عن كثب ميول الراى العام فيها .. ولا شيء يوقفنا على ميول الراى العام الا الجرائد

## السلوك السياسى

الجرائد مرآة الراى العام تظهر عليها صورته الكاملة . . يظهر عليها شكله ولونه ، بل هى مقياس درجات الاخلاق ومظهر المعلومات فى الامة . ترى فيها المطامع التى تنحجب فى ادمغة الافراد ، والعواطف التى تنطوى فى الصدور . . فما اصدق هذه المرآة الصحفية فى تحصيل صورة الراى العام ، فان رأيت جرائد الامة تتجنب الانتقاد على أعمال سلطة من السلطات ، أو تخشى عظيما من العظماء ، أو تتخبط فى الاراء السياسية على غير هدى من العلم ، أو تكون مريضة الدوق فى طعوم الحوادث ، فاحكم بان الراى العام لا يزال يحسب للسلطة حسابا لا يتفق معه حب الاستقلال الداتى حبا كاملا مستائرا بجميع حواس الامة وملكانها على صورة تنفجر فى الحال عن الاستقلال الفعلى العام

من ينظر الى الراى العام فى زمن محمد على يجد أنه كان متجانس الاجزاء متماسك الجسم . . مركزه كاذب حقيقة . . الا انه كان قويا فى خطته ، وكانت محكمته نافذة الاحكام . يخيل لى أن أول مادة صدر بها قانونها هى هذه المادة أو ما فى معناها :

« يجب على المصرى منفردا ومجتمعاً أن يدارى الحاكم الاكبر ومن دونه ، وأن لا يغرر بنفسه فينقذ عملاً من أعماله »

وبقية قانون الراى العام او قانون السلوك السياسى  
للأمة كان محررا على هذا النمط : تحذير من الوقوف فى  
وجه الاسد حبا فى الحياة الخسيسة ، أو خوفا من العقاب  
الصارم الشريف .. ضعف وهوان باسم الطاعة .. نفاق  
وتملق باسم الاخلاص .. اعتبار ان شكل الحكومة انما  
هو قضاء من الله لا مرد له ولا مخفف لويلاته الا هو

حقيقة أن ذلك القانون قد باد جسمه ، ولم يبق منه  
الا رسمه .. وهو هذا الذى لا تزال تلاحظه اذا أمعنت  
النظر فى خلال حديث من يحدثك فى السياسة من بعض  
سياسى المصادفة الذين لا يزالون يدعون : « ربنا يولى  
من يصلح » وتلك هى الجملة التى تختتم بها عادة المناقشات  
السياسية فى المنادر (١) . ولا يظنون لشدة تواضعهم أن  
الواحد منهم هو جزء غير منقسم من الإرادة العامة للأمة ،  
التي يجب أن يخضع لها كل عظيم ، وأن مقامها فوق كل  
مقام

ذلك هو الشبه الباقي بين الراى العام قصير النظر فى  
النصف الاول من القرن الماضى ، وبين الراى العام عندنا  
اليوم .. هذا الراى العام الجديد الذى هو الآن مزيج من  
تلك الآثار القديمة ، ومن أشعة النور التى نفذت الى  
عقولنا ، والفيض الروحى الذى انتشر فى قوانا بفضل  
التعاليم المدنية الحديثة وانتشار الحرية الشخصية الى  
درجة ما ، ذلك المزيج الذى لم تتجانس اجزأؤه تمام  
التجانس الى الآن ، يظهر أثره فى الجرائد بصورة جليلة  
ظاهرة .. تريد احداها أن تقضى على عادة من العادات

---

(١) قاعات الاستقبال فى العهد القريب ، واحدة مندرة ، ولعالمها  
محرقة من « منظره » أو « منظره » مكان الانتظار وجلس الفسوف مع  
صاحب البيت للحديث والنظر فى مختلف الشؤون



التي التصقت بالدين وليست منه . ولكنها تخشى ان تثير  
على نفسها ثائرة بعض الفقهاء

تريد احداها ان تحمل على خطي عام مضر بالاجتماع ،  
ولكنها تخشى ان يرفضها المشتركون فيها . او يتهموها بانها  
دسيسة انجليزية . . تريد ان تنقد عملا من أعمال السلطة  
الشرعية ، ولكنها تخشى غضب جمهور غير قليل من الناس  
لا يلبثون ان يقولوا انها انجليزية ايضا . او معادية للسلطة  
الشرعية . . تريد احداها ان تنتقد عملا من أعمال الحكومة  
او الادارة الانجليزية فلا تخشى شيئا من الجمهور ، ذلك  
لان الجمهور او الرأي العام بجهته القديمة لا يسمح بالظن  
فيما افه من العادات الاولى ، وبجهته الحديثة ، جهة  
المدنية والعلم . . كله آذان لسماع الظن بحق في الانجليز  
او في شخص بعينه ليس من العادة تقديسه والخوف منه

\*\*\*

قد يفهم مما ذكرت ان الرأي العام في بلدنا لا يزال يفهم  
الاستقلال فهما ناقصا على صورة غير مستكملة جميع  
الحاسن ، وان هذه الحكومة الحالية على استبدادها هي  
الحكومة المناسبة للأمة . . كلا . . بل اقول ان حالتنا  
الحاضرة هي حالة استثنائية ليست الأمة فيها امام  
حكومتها فقط ، بل امام حكومتها زائدا عليها حكومة اجنبية  
اخرى قد اخل وجودها بالتوازن بين قوة الأمة وقوة  
حكومتها . . وصير مجهودات الأمة الى الاستقلال متضاعفة  
اضعافا كثيرة . فاذا كان يجب علينا عند عدم وجود  
الاحتلال الاجنبي ان نصرف مجهودا واحدا لنيل الاستقلال ،  
فانه يجب علينا الآن ان نصرف مجهودات كثيرة مع وجود  
هذا الاحتلال الثقيل . .  
من اجل ذلك كان شكل حكومتنا الحالية لا يعطى

صورة الامة تماما ، لاختلال التوازن بين القوتين .. ومن أجل ذلك كنا مظلومين ..

ولكن القوى لا يمكن أن يكون قويا الى الابد ، والضعيف لا يمكن أن يبقى ضعيفا الى الابد .. بل أن الرأي العام عندنا على ما فيه من بعض العوج وما يثقله من تلك الحكومة المزدوجة ، قد أظهر قوة شديدة في بعض الحوادث ، فاضطرت الحكومة الى أن تجري خلفه فيها ، مثل مشروع النفي الإداري وغيره (١) .. فكلما زاد الرأي العام قوة في التأثير ازدادت الحكومة ضعفا في استبدادها ، حتي يحصل اتوازن بين القوتين ، ثم تزيد قوة الرأي العام بحكم الرقي الطبيعي فتظهر سلطة الامة بأجلى المظاهر وأقواها ..



وانا يسرنا أن الرأي العام عندنا قد أخذ يزداد قوة وتماسكا لبركة هذه الحركة السياسية الجديدة .. ذلك الشعور الذي خرج من جوف الامة يستصرخ عزائم أفرادها الى الرقي العلمي والسياسي .. ذلك الشعور الذي يملأ أعيننا نورا لتنظر الى المستقبل ، ويملا قلوبنا ثقة بالرجاء في المستقبل ، ويهز أعصابنا الى أن نتضامن لسعادة المستقبل .. تلك الحركة الجديدة التي ابتدأت بالمجاميع السياسية أو الاحزاب السياسية ، وكان أولها ظهورا الى عالم السياسة هو « حزب الامة » الذي ولدته حاجتنا الى الاشتغال بأحوالنا السياسية بطريقة معينة محدودة ، وبرنامج مكتوب منشور ، ودعوة واضحة نشرت في الضحى تنادى بسلطة الامة

---

(١) قانون سن للمحافظة على الامن العام ، وكان قانونا اداريا سلب فيه التهمون كثيرا من ضمانات القانون العام متلجا لحالة الامن وكان قد اهتم امره الى درجة مخيفة

يحسن في هذا الموقف أن أرد على جماعة اليائسين الذين ينظرون لهذه الحركة السياسية الجديدة بأجفان متكسرة تشف عن عدم الثقة ، فإذا دعوا الى الدخول في حزب سياسي ابتسموا نك عن استهزاء ، وان رضوا بالدخول مدوا اليك يدا فاتية النشاط ، ما اعتادت أن تبسط الا الى منفعة شخصية .. أولئك يظنون أن هذه الحركة صناعية صرفة ، وان القائمين بها انما هم يقلدون أبناء الامم المتقدمة وأن أمثنا بعيدة عن هذه الحركة بعد ما بين الساكن والمتحرك .. ان هؤلاء يكادون ينكرون قوانين الارادة سواء الطبيعي التي تسير عليها الظواهر الطبيعية ، ويكادون يظنون أن أمة غفلت عن الاشتغال بسياستها يوما ، يجب أن تغفل دهرًا ، أو أن تغفل الى الابد .. خطأ على خطأ .. الا يعرف هؤلاء الفرق بين الحركة الصناعية وبين الحركة الطبيعية ؟

الا يعرفون أن الطبيعة لا تسمح لشيء بالبقاء فيها الا اذا كان منها .. اليكم دليلا حسيًا على أن هذه الحركة طبيعية « حزب الامة » هذا الحزب تألف من سراة البلاد وأعيانها وطائفة غير قليلة من كتابها واذكيائها للمطالبة لامتهم بحقوقها والعمل لرقيتها وسعادتها ، وان كنت لا أنكر أن سيرهم في ذلك كان بطيئا وان عملهم بالنسبة لما يطلب منهم قليل نظرا لما صادفوه في سبيلهم من العقبات المعروفة ، الا انهم لم يهنوا أمام السلطات ، بل زادوا تشددا في مبدئهم وتقدما الى غرضهم . فلو كانت هذه الحركة صناعية لكان قد فشل أعضاء هذا الحزب في اجتماعهم ، وتقوضت أركان أملهم في بلوغ الغاية التي انيها يقصدون أكثر من هؤلاء اليائسين بعدا عن الحق ، أولئك الذين يقولون ان هذه الحركة الجديدة هي مظهر من مظاهر التعصب

الدينى او « البان اسلامزم » (١) . ولكن هؤلاء يعلمون  
كما نعلم أن المصريين أبعد الناس عن هذه التهم وأبراهم  
منها ، وإنما هم يشيعون ذلك كلما احتاجوا الى صرف انظار  
أوربا عما يجرى فى مصر من التصرفات الانجليزية . وقد  
كنا ظننا أن هذه التهمة قد رحلت عنا برحيل جناب اللورد  
كرومر ، فاذا بها تتجدد على نفمة أخف من الاولى على لسان  
وزير الحربية الإنجليزية فى مجلس النواب فى الشهر  
الماضى

انهم يريدون بهذه التهمة أن يحولوا بيننا وبين جاذبية  
الاحرار الاوربيين ويخلعوا بها قلوب الاجانب أصحاب  
المنافع فى مصر . وبهذه الطريقة يعزلوننا عن كل مدد  
سياسى ومالى ، حتى تزول كل رقابة على تصرفاتهم فى  
مصر

ولا شك عندى فى ان التهم التى يتهمنا بها الساسة  
الانجليز من انحطاط الصفات عن المستوى اللازم لكسب  
الحكومة الذاتية والتعصب الدينى وكره الاجانب .. الخ  
.. كل ذلك ليقتنعوا امتهم والعالم الاوروبى ، وليحاولوا  
اقتناعنا نحن أيضا ، باستحالة اجابة مطالبنا فيما يختص  
بالحكم الذاتى (٢)

انهم ليحسبون بضعف حجتهم فيقولون « ومع ذلك

---

(١) Pan-Islamism أى الجامعة الاسلامية ، وقد كثر الكلام  
فيها حينما ، وروج لهذه الدوى المستعمرون .. ونادى بوجوب دعا  
نفر من صنعايم من المصريين ، ليكون طريقهم الى انهم انما مصيبة  
الدينية

(٢) يقصد بالحكم الذاتى على الدوام الاستقلال ، وهو غير  
« الحكم الذاتى المحلى » وهو ما اقترحه بعض الانجليز كاللورد  
دوفرين

فانا نعطيه تدريجا» .. قول حسن لو صدقت السياسة  
وابتدأوا في تدريجنا اليه ، ولكنهم لم يفعلوا الا نقيض  
ذلك

### المنظمات

دونكم نظمات سنة ١٨٨٣ وما كان ينويه الشوارع  
المصرى وقتئذ من ترقية الامة تدريجيا ، ودونكم  
نظمات اليوم . اسمحوا لى أن أعرض لكم صورة  
النظامين لتروا بأنفسكم اننا نتاخر في روح التشريع وفي  
تنفيذ القوانين عوضا عن ان نتقدم ، كما هم يعدوننا كل  
يوم ..

ان قوانين سنة ١٨٨٣ تحصر السلطة دائما في شخص  
الجناب العالى « الحديو » ووزرائه ، الا انها كانت مع ذلك  
ترمى الى تنفيها اربع قواعد معقولة يؤدى تنفيذها  
بالزمان الى الحكومة الدستورية ، وهى على ما رايت  
بالاستعراء :

- ١ - ليس للاحتلال سلطة على الناظر في نظارته
- ٢ - كل سلطة تؤخذ من الحاكم الادارى الى الحاكم  
القضائى هى كسب للامة
- ٣ - كل ضمانات تعطى للحاكم القضائى هى تقدم نحو  
الحرية والاستقلال
- ٤ - كل توسيع في منطقة الانتخابات هو ظفر نحو  
الحكومة اللاتية

بناء على هذه القواعد كان كل ناظر عاملا حقيقة لا  
حكما ، غير مشارك في اعمال نظارته ، ولا راضخ الا للقانون  
الاصلى في تشكيل الوزارة وسقوطها .. اخذت اغلب  
اختصاصات الحكام الاداريين الى القضاة ، احيط

القضاة جميعا بضمان عدم العزل وعدم النقل وعدم  
الاذعان الا الى القانون ، وكان العمدة يعين بانتخاب  
الاهالى ومحض ارادتهم

لو نفذت كل هذه القواعد التى كانت روحا للتشريع  
بالضبط وحسن النية ، لكنا قد وصلنا اليوم الى الحكم  
الذاتى المطلوب « الاستقلال »

ولكن كل وزير مصرى قد رعى فى نظارته بمستشار ،  
عين ليستشار وليس له من التنفيذ شيء ، فاذا هو فى  
العمل كل شيء . والناظر مهما كان علمه ومهما صحت  
رغبته امام هذا المستشار المدرع بقوة الاحتلال ليس الا  
مرءوسا ، رضى الناظر بهذا الاعتداء او لم يرض . .  
فالنتيجة دائما ان الاحتلال يكتب شيئا وينفذ غيره

محيت ضمانة القضاة الابتدائيين ، وضربت عليهم  
المراقبة الشائنة بكرامة القاضى . . رضى القضاة او لم  
يرضوا ، فالنتيجة تقهقر فى التشريع

جعل للحكام الاداريين اشراف على التحقيق الجنائى ،  
وجعل لنظارة الحفائية حق نقل قضاة الاستئناف فى  
المحاكم الجنائية - رضوا او لم يرضوا - فالنتيجة ان  
التشريع سائر الى الوراء

جعل انتخاب العمدة ، عمد البلاد « واسمهم كاف فى  
اظهار اهميتهم » بمحض ارادة الداخلية بوساطة لجنة  
ادارية ، واصبحوا يعاقبون على الاهمال بالحبس - رضى  
العمدة والامة او لم يرضوا - فالنتيجة ان التشريع سائر  
الى الوراء

على ذلك يظهر لكم بالعيان اننا فى جميع نظاماتنا  
الحكومية نتقهقر الى الوراء ، ولا شيء عبقنا من ذلك

يسير الى الامام حتى ولا الوعود .. فان وعودهم ان  
لم تكن تتقهقر كثيرا عن ازمان غلادستون (١) فانها على  
الاقل ثابتة في مستو واحد ، ولا فرق الا في كيفية ادائها



قال اللورد دوفرين « ان الحكومة الذاتية المحلية  
أحسن وسيلة للاعداد وانتهميد لما يقرب من النظام  
الدستورى » ، قاعدة حسنة مقبولة ووعد ينمى الرجاء  
.. كررها اللورد كرومر ، وقال بها السير الدون غورست  
في تقريره الاخير

وقد رأيتم ان العنصر الوطنى فى الحكومة ينزل عن  
السلطة شيئا فشيئا ، والعنصر الانجليزى يأخذ السلطة  
شيئا فشيئا ، والنظام البيروقراطى الذى تسير  
عليه الحكومة الان يميل الى تركيز السلطة او حصرها  
فى شخص الرئيس الانجليزى دون الاهلى . ولو علمتم ما  
للقضاة الانجليز فى المحاكم الاهلية من الرقابة على زملائهم  
المصريين والاثر فى مستقبلهم ، واضفتم ذلك الى ما ذكرته  
لكم من تأخر التشريع فى روحه وفى تنفيذه ببعض امثلة ،  
لعلمتم ان تخفيف المراقبة عن بعض المديرين لا يجىء  
بالنتيجة المقصودة من تشجيع العنصر الوطنى وتمويده  
الاستقلال وملكه الحكم ! هل بعد ذلك يصح انقول بأن الادارة  
الانجليزية تسير على ما وضعه اللورد دوفرين من المبادئ  
لانالة المصريين الحكم الذاتى والدستور ؟

قال السير الدون غورست : « ان نظام الامتيازات  
الاجنبية اصبح لا يطابق الدرجة التى بلغتها الحضارة فى

---

(١) رئيس وزراء انجلترا فى اوائل الاحتلال ، ومن الذين قطعوا  
المعاهد بالجللاء بل قال بعد امتزال الوزارة انه يعتقد ان زمن الجللاء  
حان مثلا زمن بعد

مصر « (١) . . قول حق لا شبهة فيه . ولكن اذا كانت حضارة الأمة بلغت مبلغا لا يجوز أن يكون فيها طبقات ممتازة ، فكيف يسوغ أن تبقى فيها حكومة استبدادية بكل معاني الكلمة ومن كل وجه ؟

سلب نفوذ الحكام الوطنيين بقوة الاحتلال وغصب حقوق الأمة بقوة الاحتلال . . كل ذلك يكون منطبقا على تقدم مصر في الحضارة - في نظر السير الدون غورست - ولكن الامتيازات الاجنبية هي وحدها التي لا تنطبق على حضارة مصر !!

\*\*\*

مهما يكن من القرائن التي تحدث بها السير غورست لاثبات دعواه من أن مصر بعيدة جدا عن الدستور ، فلقد ألزم نفسه الحجة بأنها قد تقدمت في المدنية الى حد أنه أصبح من المحرم أن توجد فيها طبقة أوروبية ممتازة . ولا شك في أن الميل الى التسوية بين المصريين وبين النزلاء الاوروبيين في المعاملات والقوانين ، يقتضي بطبيعة الحال أن المصريين يستحقون الدستور أو الدستور الناقص على الأقل ، ونعني به توسيع اختصاص الهيئات النيابية الحاضرة ، اللهم الا أن نكون نحن انفسنا لا نميل الى الدستور أو التوسع في الحكم الذاتي كما رواه عنا المعتمد البريطاني . وليتنى أدري من هي تلك الطبقة التي تميل الى عدم التوسع في الحكم الذاتي بعد أن بح صوت الجرائد بطلب الدستور وقررت الجمعية العمومية مرلين

---

(١) قيل هذا الكلام في سنة ١٩٠٨ ، ولم تبلغ الامتيازات الا بمعامدة « مولترو » ولم يكن الانجليز صادقين في هذا الكلام ، وانما كانوا يهددون به دول أوروبا كلها كلما أرادوا أن يعزلوا احتلالهم لمصر ، تنقيذ سياستهم الاستعمارية



نعم طلبنا الدستور بطريقة تدريجية متواضعة على قاعدة أنه لا يمس مصالح النزلاء الاوربيين ولا امتيازاتهم، فقابلته حكومتنا بالرفض (١)

قدما لها مشروعا لتوسيع اختصاص مجالس المديريات (٢) ، وسعينا بكل ما فى استطاعتنا من طرق الاقناع لدى الوزارة ، فأخذت الحكومة تمحو وثبتت من مشروعاتها الاول ، وأخرجته بعد ذلك خاليا من القاعدتين اللتين أسسنا مشروعا عليهما ، وهما وضع أساس سلطة الأمة ، وتمليك تلك المجالس الانتخابية ادارة التعليم الاهلى من غير قيد ولا شرط

وقد مضى على ذلك سبعة أشهر تقوى الحكومة انها تستشير اعيان البلاد والمديرين واللجنة المنتخبة من مجلس الشورى لتعديل القانون النظامى . . الأناة فى التقنين مطلوبة ، ولكن الحكومة التى تعدل قانون الجنايات فى يومين ، ثم تضع قانونى العقوبات وتحقيق الجنايات بأسرها فى أيام ، لا يمكن أن يفهم من تسويقها هذا إلا كسب الوقت وانتظار أن الراى العام تبرد حدة عليها وتفتر أعصابه المتوترة ، فتخرج قانون توسيع الاختصاص (٣) فى فرصة مناسبة خاليا من كل توسيع جوهري

يؤكد هذا الفهم أن السير الدون غورست مع علمه بالضرورة بأن حزب الأمة ومجلس شورى القوانين يحضران

---

(١) هذه احدي نتائج الاحتلال الانجليزى : الذلال المصريين ومعاربتهم بالجاليات الاوربية التى استنزفت دماء هذا الشعب واستغلت موارد أرض القراعة لمصلحتهم دون المصريين  
(٢) مشروع تقدم به حزب الأمة للحكومة  
(٣) اختصاص مجالس المديريات

مشروع توسيع اختصاص الهيئات النيابية الحاضرة ،  
قد قال في تقريره انه لا يسمح بأى توسيع جوهرى  
فليس من السهل على ذى النظر الصحيح تلقاء تلك  
المغالطات وذلك التسويف والتعنت من جانب الحكومة  
والوعود المختلفة ، ان يحكم بأن فى نية الانجليز حقيقة ان  
يعطونا من حقوقنا الا وعودا نتغذى بها .. وهيهات ان  
تكون الوعود هى كل ما نطمح فيه من الحكم الدائى  
ولكن وزارتنا مع كل ذلك راضية بالوقوف فى المركز  
الذى وجدت فيه من يوم تنصيبها ، لم تخط مع الراى  
العام خطوة واحدة الى الامام .. وانى مع ما أعظم من  
ذكاء كل منهم وقدرته على العمل وطهارته ، أجدنى  
مضطرا الى التصريح بأن الوزارة الحالية مع ماضيها  
الطويل فى الاستسلام للسلطة ، لا يمكنها بعد ذلك ان  
تقوم بما تطلبه منها الحال الحاضرة من التقدم الى الامام  
.. وعلى ذلك لا يمكنها ان تكون بمجموعها حائزة لثقة  
الامة

### الامة فوق الحكومة

تلك هى حالتنا السياسية .. تلك هى الحال السيئة  
التي يجب علينا العمل على تغييرها بكل ما نستطيع  
بالطرق السلمية المدنية ، اعنى بها انماء العواطف السياسية  
وتحسين الحال الاجتماعية والاقتصادية

قلت لكم فى صدد كلامى ان مهمتنا شاقة جدا  
وطويلة ، وان حالتنا الاستثنائية تقتضى مجهودات كثيرة  
كنا فى غنى عن الكثير منها لولا هذا الاحتلال  
الاشتغال بالحال السياسية قد يكون فرض كفاية ..  
ولكن حالتنا الحاضرة تجعل التفكير فى تقدمنا السياسى

فرض عين على كل منا

نعم أصبح فرض عين على كل منا أن يعتقد بسلطة الأمة ، وينشر حوله في دائرته - واسعة كانت أو ضيقة - هذا الاعتقاد ، وأنه مما لا يحتاج فيه الى علم أو الى فلسفة ، بل هو أمر معروف هدى اليه الشرع الشريف وقضت به طبيعة التمدن الانساني . لا يتكلف الداعي اليه الا أن يلتفت نظر من حوله الى أن رأى الجماعة فوق رأى الواحد ، وأن قدرة الأمة فوق قدرة الحكومة بالضرورة ، وأن الحكومة وكيلة للأمة ، وأن مقام الأمة فوق كل مقام . . هذا الاعتقاد اذا جعله كل منا ايمانه السياسى وطبقه على الحوادث التى تقع امام عينيه صباح مساء ، وعلى كل تصرفات الحكومة يوما بعد يوم ، بلغنا بقوة هذا الايمان الى ما نطلبه من تغلب قوة الرأى العام على قوة الحكومة . . هناك يصبح استقلالنا النوعى حاصلًا فعلاً وحتمًا

اعملوا على ذلك وليعلم كل منكم أن ارادته الفردية قوة هائلة لا تقاوم ، اذا كانت متحدة مع ارادة قومه . . وان الارادة العامة للأمة هى مجموع الارادات الفردية ، فان كانت هذه مريضة أو ضعيفة أو مخالفة بعضها لبعض فى تحقيق الاستقلال ، كانت الارادة العامة ضعيفة على نسبة اقوى التى تتكون هى منها

ان الرقى السياسى لا يقصر على اعتقاد المذاهب السياسية والدعوة اليها ومحاولة تطبيقها فى جميع مظاهر الحياة العامة . . بل ان له ركنا آخر لا يتحقق بدونه وهو الرقى الاجتماعى

اشعر انى أسرفت تصرفا فى وقتكم وحسن استماعكم،

الا انى مع ذلك استمبحكم كلمة على حالتنا الاجتماعية  
التي هى ركن كبير من اركان رقينا السياسى

### حالتنا الاجتماعية

يقولون ان الاستقلال بعيد علينا لان الاستبداد قد  
حلل كثيرا من صفات الحكم فى انفسنا ، وهذه الحجة  
تريدنا تمكنا من انهم يرتكبون فى معاملتنا طرق المغالطة ،  
لأنه اذا كان الاستبداد مفسدة الطبع والاخلاق ،  
فاستمرار الحكومة استبدادية ، انما هو استبقاء لعلة  
الفساد وازافة فساد الى فساد

لا انكر ان حالتنا الاجتماعية تدعو الى العمل لرقية  
على ماهى عليه الآن ، ولكن الانسان بأصله الحر لايلبث  
ان يرجع حالا الى صفات الحرية متى زال عنه الاستبداد  
موضوعات التعليم او برامجه وطرائقه فى مصر ، بعيدة  
عن ان تصل بنا الى الرقى الاجتماعى المطلوب ..

لاجل أن يكون التعليم مفيدا ، يجب أن يكون الغرض  
منه تسليح الناشء للقيام بوظيفة رجل ..

ولكن الغرض من التعليم عندنا هو انماء القوى الالية  
أو القوى التى يقوم بها الانسان .. آلة مضبوطة نوعا  
للدخول فى تركيب الماكينة الكبرى ، ماكينة اعمال  
الحكومة

ليس فى برامجنا من العلوم الاخلاقية وعلوم التربية  
والاجتماع شىء .. وليس فى منازلنا كذلك من مبادئ  
التربية الا قليل مما يصلح لتقويم الاخلاق على ما تقتضيه  
مصلحة العمران الحديث

أما طريقة التعليم فهي طريقة « الكتاب » (١) العقيمة .. يعلم الأستاذ التلميذ أو يلقيه مافى الكتاب ، وهذا لا ينمى من الملكات الا ملكة الحافظة او ملكة التقليد . ولكن الملكة المفكرة ، ملكة الابداع والاختراع ، ملكة الادراك والتفكير ، ملكة الدوق السليم ، ملكة العالم والكاتب والسياسى والفيلسوف .. هذه الملكة تبقى دائما طفلة تتطفل فى حركتها اليومية على المحفوظات وآراء الغير ، تستعير منها ما تشاء من المعلومات وتنشرها الى الخارج .. واقفة عند وظيفة النقل

أما الطريقة المفيدة فهي أن ينصرف الأستاذ عن الكتاب ويقبل على التلميذ فيوحى الى روحه ما يكملها ويعدها للقيام بالواجب عليها فى الحياة

الاساتذة عندنا لا يشترط فيهم شيء ، بل تكفى الجنسية الانجليزية لان يكون المرء استاذاً فى المدارس الثانوية . وهى وبعض الشهادات من أى نوع أو فى أى علم ، قد تكفى لان يكون الشاب استاذاً فى مدارسنا العليا .. ولكن هى السياسة ما دخلت فى التعليم الا أفسدته !

لذلك توجهت الآمال الى « الجامعة » (٢) التى نرجو الا يكون ما يقولونه عن مداخلة الحكومة فى ادارتها الا

---

( ١ ) « الكتاب » يضم الكاف وتشديد التاء واحد الكتائب وهي المدارس التى ورثناها من مصر المماليك وقد سبقنا الإشارة اليها وكان تعليمها أوليا قاصرا ، ومملوها جهلاء بأمور الدنيا . ومن لوازم الاحتلال الانجليزى المضحكة انه عندما علت الصيحة بضرورة تكوين جامعة مصرية ، صاح كرومر - المصلح الاكبر عند الانجليز - يقول أن الاكثار من الكتائب خير لمصر من إنشاء جامعة .. فالظر كيف يكون سوء القصد ، وكيف يكون اصلاح اجنبى مستعمر

(٢) الجامعة المصرية التى أسست بجهود الامة ، وكانت بهذا الاسم جامعة أهلية ، وهى الان جامعة القاهرة

من قبيل المداخلة السطحية البعيدة عن برنامج التعليم وطرائقه . وهذا الذى حققه لنا بعض العارفين ، ولكن لنا من رقابة الصحف والرأى العام ضمانة كبرى تضمن لنا عدم المداخلة المضرة

اقول ان حركة الجامعة ونهضتها من أشرف ما وجد في هذا البلد من النهضةات ، بل هى اكبر فائدة وأعظمها ضمانا للتقدم الحيوى المطلوب . . لذلك وجب أن ينظر اليها دائما بعين الرعاية والارتياح ، وأن تلقى من عظماء الأمة كل اقبال ومساعدة

كما اننا نؤمل في سياسة ناظر المعارف وفي اخلاص اصحاب المدارس الخصوصية أن يدققوا في انتقاء الاساتذة ويغيروا طريقة التعليم العقيمة الى الطريقة المفيدة للبلاد ، وأن يجعلوا تعليم البنات - أمهات المستقبل وينابيع اتربية - احسن مما هو عليه الآن ، وان كان قد خطا خطوة تبشر بحسن الاستقبال

### الوحدة القومية

ليس كل ما يلزم لترقى حالنا الاجتماعية هو التعليم واصلاحه ، بل هناك أمران آخران لا يصح اغفالهما . . أولهما : العلاقات العائلية التى يجب على الكتاب أن يصلحوها بكل ما لديهم من أساليب الانتقاد . والثانى : هو الفضائل العامة التى يدخل انماؤها والحث عليها فى واجباتهم أيضا ، وهى العذل والكرم وحسن العشرة والشجاعة

اسمحوا لى أن اقول ان هذه الصفة الاخيرة كثيرا ما تظهر عندنا مقرونة باعتبارات أخرى كارضاء القوى وحب الانصاف بالادب . . الخ ، مع أن الشجاعة الادبية هى من أمهات الفضائل العامة ، فلا يمكن لامة أن ترقى الا

إذا. نمت فيها هذه الفضيلة ، وقال كل ما يعتقد من غير  
مبالاة ولا مجاوزة لحدود الادب وحسن العشرة

ان توحيد طرائق التربية والتعليم وتخليص الروابط  
العائلية من الادران التى لحقتها فى العمل وانماء الفضائل  
العادية والصفات الفاضلة الاجتماعية .. كل ذلك من  
شأنه ان يوسع دائرة المساهبات ويضيق دائرة الفسوق  
بين الافراد . هنالك تظهر « الوحدة القومية » ظهورا  
جليا ، ويبلغ التضامن القومى مبلغا يجعل الراى العام  
أقوى من ذلك بكثير ، فتضطر الحكومة دائما الى اتباعه  
فى كل ميوله ورغباته

على قوة الراى العام يتوقف النجاح السياسى دائما ..  
فلا تياسوا من رفض مطالبنا فانها ستجاب

### الحالة الاقتصادية

علة من علل النجاح أن يكون لنا فى سوقنا المالية  
صوت يسمع .. غير أننا لا نزال الى الآن نشارك فى  
الحركة المالية على الوجه الانفعالى لا الوجه الفاعلى ،  
نتأثر بحركة السوق ولا نؤثر فيها .. لا نصرف الامور  
المالية ولكننا موضوع تصرفها ، كان اموالنا واعمالنا  
انما هى لتكون محل استغلال الاجنبى . لا ينبغي ان يفهم  
مما اقول أننا لا نعترف بالخير الكثير الذى عاد على مصر  
بسبب كثرة المصارف الاجنبية فيها .. كلا فانى اعتبر  
وجودها ضروريا جدا لنا . ولكنى أرى أن بعد المصريين  
عن مجارة الاجانب فى فتح البنوك وتاليف الشركات  
المالية ، كل ذلك يبعد المصريين عن الاستقلال الفعلى (١)

---

(١) كان تاسيس بنك مصر اول وضع عملى فى تنفيذ هذه السياسة

ولقد استفدنا من هذا الامتحان الصعب ، امتحان  
الازمة المالية (١) درساً يجب أن ننتفع به في اصلاح  
حالتنا ، وأن نجتهد في تأليف البنوك والشركات والبيوتات  
التجارية حتى لا نكون في بلدنا غرباء أو معولين على  
الاجانب في المسألة المالية

بمناسبة الازمة المالية يسوءنى أن أصرح بأنه رغمما  
عن اعتذار السير الدون غورست في تقريره عن عدم  
المداخلة لانفراج الازمة (٢) ، فإن شواهد الاحوال تدل  
على أن يد السياسة لم تكن بعيدة عن العمل لاطالة  
عهدهما . حقا ان الازمة المالية انما جاءت بها الى مصر  
تلك الشركات التى كان لها رءوس اموال أغلبها من  
الوهم ، وتصرف لا يخلو من فساد الذمة والاستهانة  
بحقوق المساهمين . ولكن السياسة قد وقفت أمام تلك  
الشركات موقف الذى لا يعنيه من أمرها شيء ، بل  
جاءت السياسة بأعمال وتصريحات كان من نتائجها اطالة  
عهد الازمة

كل حكومة متمدنة تجعل نصب عينيهما حماية  
المساهمين ، بأن تجعل للشركات قوانين أساسها مراقبتها  
عن قرب . . الا الحكومة البريطانية فانها فى غنى عن ذلك  
لأن للمساهمين جمعية تحميمهم وتراقب اعمال الشركات  
وتقاضيهما عند الضرورة

---

(١) ازمة سنة ١٩٠٧ وما بعدها ، وكانت ازمة صارمة  
(٢) لما اعتدت الازمة «١٩٠٧» وضجت الامة وضافت بها لرها ،  
كف الانجليز يدهم من العمل على تخفيف وطأها وتركته الثروة  
المصرية لها للاجانب واليهود ، والامة الفقيرة ذليلة ، والشعب  
العريان خاضع . وذلك ما توخاه المستعمرون الذين يقولون انهم  
مدنوا مصر وأخذوا بيدها



أما حكومتنا فلم تفكر في وضع مراقبة على هذه الشركات مطلقا . . بل تركت لها العنان تأكل من غير رحمة وتفشو من غير حدود . وربما كان عذرها في ذلك الامتيازات الأجنبية . ولكنها لم تطرق الباب كما طرقت في قانون البورصة (١) وحصلت على موافقة الدول من غير اعتناء

لم تقف الحكومة عند هذا الحد ، بل غلت يدها عن ان تخفف اضرار هذه الشركات التي نشأت عن افعالها وتفريطها . تهتم الحكومة بتربيتنا اهتمام ملتهب القلب مروع الفؤاد على مصلحة الأمة ، فالصقت لذلك اعلانات شتى على محطات السكة الحديد تحذر فيها السياح من ان يعطوا « بقشيشا » لصغار المصريين ، لان ذلك يعودهم على الكسل . . رحمة فائقة ، عناية كاملة ، اشتغال باهم الامور الحيوية للأمة !! ولكن ما بال الحكومة لا تنشر كلمة واحدة تحذر فيها المساهمين من الشركات التي لم تراقبها !

وفوق ذلك فان الحكومة لم تترك الازمة المالية على حالها ، بل كما قلت لكم ، لم تبعد عنها يد السياسة . . فانها امتنعت عن مساعدة السوق بالمرة كما تساعد كل حكومة السوق المالية في بلادها ! . . لم تقف السياسة عند ذلك ، بل صرح وزير الحربى الانجليزى بعدم امكانه تقليل الحماية في مصر لأسباب من شأنها أن تقلل الثقة المالية في السوق المصرية . اظهر دليل على ذلك أن المالبين الفرنسيين لم يثقوا بالسوق المصرية الا بعد

---

(١) قانون بورصة العقود ، وكانت الامتيازات حاللا دوله ووافقت عليه الدول صاحبة الامتياز بمقدان امتص الاجانب دماءنا سنين وأموالنا

تقرير المندوب الفرنسى الذى وصف حال مصر على ما هي عليه . . فكان من وراء ذلك الموافقة على فرض أربعة ملايين من الجنيهات للبنك العقارى (١) . . ومع ذلك فان المليون والنصف الذى فتح اكتتابه في لندن للبنك الزراعى (٢) لم يغط الى الآن . . كل هذا يدل على انه اذا كانت يد السياسة لم تباشر اطالة الازمة ، فانها سببت باعمالها وتصريحاتها تلك الاطالة

ومع ذلك فانه لو كان لاهل البلاد بنوك اهلية ، لما امكن أن تغلو الشركات في العبث بحقوق المساهمين ولما طالبت الازمة الى هذا الحين

اذا كانت تلك هي حالتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية على ما وصفت لكم وصفاً وجيزاً ، أرجح أن يكون مطابقاً للواقع ، وأتخشم انى أكون مع هذا غير مباليخ في التقدير ، واذا كانت كل معونة خارجية للاستقلال يستحيل أن تأتى إلينا عفواً من غير أن تكون نتيجة لازمة لأعمالنا ، حق علينا أن نفهم أن العلة في استقلالنا ليست علة بسيطة بل علة مركبة من نظامنا السياسى ونظامنا الاجتماعى ونظامنا الاقتصادى ، وان هذا التقدم أو التملن أو الاستقلال المنشود يتوقف على

---

(١) البنك العقارى المصرى الذى بلغ رأسماله الان بضع عشرات من ملايين الجنيهات المصرية امتصاصاً من دم المصريين

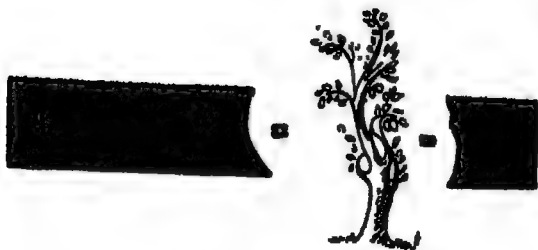
(٢) بنك أراد الانجليز ان يقاموا به نفوذ البنك العقارى المصرى لانه فرنسى ، ودعمهم في ذلك حماية الزارع المصرى ، وقد امتنع هذا البنك على حقاره من دماء المصريين ثدرا عظيما . وكانت اقساطه تحصل مع الاموال الرسمية ويقيضها حياة الحكومة ، كأنها كان هذا البنك جزءاً من وزارة المالية او وزارة الاوقاف . . بل كانت اقساطه يسجل بها بمقتضى اوامر حجوز ادارية - كأنها جزء من ضرائب الحكومة - لا يحكم الله أيها الانجليز !

كل حائل على نوع واحد من أنواع المنظمات الثلاثة ،  
بمقدار توقفه على النوع الآخر بالسواء

نسمى لانماء الاعتقاد بسلطة الأمة ونطلب حقوقنا  
السياسية .. نطلب ما أستطعنا ان نطلب . وليكن طلبنا  
لاهورنا على أولى الامر واقربها لارتياح نزلائنا الاوربيين  
وهو الطلب الثانى للجمعية العمومية « توسيع اختصاص  
الهيئات النيابية الحاضرة توسيعا جوهريا » ليكن ذلك  
الطلب اكثر ما نلح فيه من الطلبات لنصل به الى المجلس  
النيابى المنشود

ولكننا مع ذلك يجب علينا ان نسير فى ترقية الحالة  
الاجتماعية والاقتصادية بنفس الحدة ، وبمقدار الخطوات  
التي نخطوها فى مطالبنا السياسية . ولا يئسنا ما  
نشاهده من تصرف الانجليز .. ذلك التصرف المبني فى  
ذاته على قاعدة « ان الحق للقوة » وان كان لا يجبر  
احد من ساسة القرن العشرين ان يعضد هذه النظرية  
التي ظهر فسادها

وانى شديد الاعتقاد بأنه سيأتى يوم يقوى فيه الراى  
العام بخدمة رجال الأمة وبظلم الحكومة ، فيكون بيده  
الحق والقوى المعنوية .. قوة التماسك والاعتقاد .  
وقتلد تصبح مصر للمصريين





## الفصل الثالث

# الرأى العام



## الرأي العام هو وقانونه ..

لا يخلو امرؤ مهما انحطت درجته في قومه ، وانطفات في قلبه نار الغيرة على مصالحهم ، أن تجول بخاطره صورة ما يظنه المنفعة لقومه من حيث جمعيتهم وشكل حكومتهم . ويرجو الا تحقق هذه المنفعة العامة التي سيصيبه هو أيضا منها نصيب .. قد يصيب هذا المفكر وقد يخطيء ، اذا كان قياس المنفعة معروفا ، مجمعا عليه . أما والمنفعة أمر اعتباري صرف ليس له حقيقة ثابتة ، بل هو ما يحسبه الانسان نافعا بحسب ما يعتقده ، لا بحسب الواقع ، فلا خلاص لنا من القول مع « سبنسر » : « كل منا يعلم حق العلم ما يلزمه ، وكل منا هو دون غيره ، الذي يحكم حكما حقيقيا على وجود منفعته »

على ذلك اذا كان الرأي العام للامة ليس منطبقا على الحق والعدل في ذاتهما ، فانه على الاقل منطبق على الحق والعدل على الوجه الذي به تفهمهما الامة وتحتملهما . فيجب أن يعتبر الرأي العام هو الحق الذي يجب اتباعه ، والقانون الذي يجب تنفيذه ، سواء راق ذلك في عين لورد كرومر ، أو لم يرق . وسواء وافق مصالحته

الاستعمارية ، أو لم يوافقها .. فانه اذا جاز له أن يخطئ الشرقيين بجرأة في معتقداتهم بجميع اشكالها ، ويسفه آراءهم في كل ما تتناوله ، فان هذه القاعدة التي صدرت بها هذا المقال ليست من بنات افكارنا الشرقية ، بل هي آخر مذهب ذهب اليه علماء السياسة الغربيين في أمر الرأي العام . ولو كان للورد أن (١) يحتقر آراءنا بحجة أنه من قوم سلطتهم المقادير على ادارة بلادنا مؤقتا ، فاني لا أخاله ينهض لتسفيه آراء علماء السياسة الغربيين

تكون الرأي العام الحديث في مصر من زمن اسماعيل باشا ، وان كان في ذلك الحين ضعيفا جدا لجداثة سنه من جهة ، ولقوة الحكومة الظالمة من جهة اخرى .. الا أن ضعفه لم يمنعه من النمو والارتقاء يوما قيوما ، تبعها لقواعد الرقي التدريجي ، فكانت كل حادثة من الحوادث السياسية ، من شأنها أن تقوى ساعده وتشيد عضده للبقاء ، حتى صار اليوم على ما نراه عليه

وان من الجهل بالاحوال المصرية ، أن يقال ان الرأي العام اليوم ، هو غير الرأي العام قبل الاحتلال ، فاني لا أرى فروقا اليوم بينه وبين قبيل الاحتلال ، لا في مشخصاته ، ولا في موضوعه .. فان المصريين من يوم أن بدأوا في التعليم على الطريقة الغربية ، أخذوا يطمعون في أن يكون لهم حكومة دستورية متمدنة ، وأخذوا يتذمرون سرا من احتكار الشراكسة للوظائف العسكرية ، ويرون أن أبناء مصر هم أحق من غيرهم بخدمتها ، وأنه ما دامت العائلة المالكة مصرية نصبت بسعى المصريين ، فلا معنى لأن تكون قوتها غير مصرية ..

---

(١) وهو في هذا المقال يرد على خطبة لورد كرومر في مجلس الاعيان

تربي هذا الرأي وترعرع حتى بلغ أشده إبان الفتنة  
العراقية التي انتهزها الانجليز سببا لاحتلال بلادنا . ولم  
يقل الى اليوم رجل حسن النية ، ولا لورد كرومر نفسه ،  
أن هذه المطامع التي كان يشف عنها الرأي العام في زمن  
اسماعيل ، هي مطامع غير مشروعة . بل لا يوجد شخص  
أكثر احتقارا لبنى آدم ، ممن ينكر على قوم حبههم للدستور  
وسعيهم اليه ، أو ينكر على أبناء بلد حق الاستئثار بخدمتها  
دون غيرهم ، أو بعبارة أخرى ، امتعاضهم من رؤية الاجانب  
يحملون عنهم أوزار واجباتهم الوطنية ، التي هم أولى بالقيام  
بأعبائها



بقي هذا الرأي العام المصرى لضعفه تقذف به حوادث  
السياسة الى اليوم ، الا أنه مع ذلك لم يتحول يوما واحدا  
عن محوره الذى كان يدور عليه زمن اسماعيل . أما  
ظهور هذا الرأي ظهورا جليا أمام أعين الاوروبيين ، فإنه  
لم يبتدىء الا مع حرية الصحافة المصرية ، التي لم تنتشر  
فى مصر الا فى عهد الاحتلال الانجليزى ، وصار انتشارها  
أعم فى أزمنة سياسة الخلف (١) لانه ان صح ما سمعناه  
كان لورد كرومر يحمى حرية طرف من الصحافة ، وسمو  
الامير يحمى الطرف الآخر . وبذلك كان اعتداء احدى  
السلطتين على الصحافة المعارضة لها ، ان لم يكن مستحيل  
النتيجة ، فإنه كان عاجزا عن القضاء على حريتها فى  
معارضتها أو الانتقاد عليها

لست أنكر أن الصحافة عندنا كانت فى وقت ما ضعيفة

---

(١) يقصد بذلك الخلاف بين المرش « السلطة الشرعية » ،  
والانجليز « السلطة الفعلية »



منحازة الى بعض أغراض ذوى النفوس ، كما كانت كل صحافة فى العالم ، وهى بذلك تؤدى صورة الراى العام ناقصة عما هى عليه فى الواقع . ولكنى أنكر أنها خلقت رأيا عاما كاذبا ، كما يدعى كرومر ، أو كما يدعى أولئك الوجهاء المشرقيون الذين يسند اليهم هذا الراى

لا اظن ان جنابه يستطيع أن يقول من اليوم ان الراى العام المصرى كاذب ، أى منحرف عن حقيقة مصلحة البلاد ، ولذلك لا يجوز الجرى وراءه فى آرائه ، لان الراى العام وحده هو صاحب الحكم الاخير على منافع قومه ، سواء أصاب من حكمه الحقيقة ، أو لم يصيبها . غير أننا نظن أن لورد كرومر أراد أن يهون من مقام الصحافة المصرية أمام زملائه النبلاء ، حتى لا تتخذ حملتها عليه دليلا على عدم رضى المصريين عن سياسته ، وبرهاننا على أنه لم يقم بالواجب عليه من توثيق عرى الروابط بينهم وبين قومه ، فقال بأن الصحافة أوجدت رأيا عاما كاذبا ، وأسف على أنه كان من أنصار حرية الصحافة فى الشرق . فماذا كان ذنب هذه الصحافة المصرية ، التى هى البقية الباقية للمصريين من ميراث الحرية الذى ورثوه عن أبويهم : آدم وحواء ؟

هل حملت الصحافة على الانجليز بشيء لم يعترف به لورد كرومر ؟ انما قالت الصحافة ان الادارة الانجليزية تقف فى سبيل العلم والارتقاء العقلى للمصريين . هذا كل ما يدور عليه انتقاد الصحافة للادارة الانجليزية . والصحافة لم تخترع هذا القول ، بل اخترع هذا المذهب لورد كرومر ، اذ كان يشحن ميزانية المعارف بمئات الألوف ، ثم يبنى بها مدارس بنفقات باهظة ، بعضها يقع على نفسه قبل أن يتم بناؤه ، وبعضها ينقع فيه اليوم . ثم يصرف كثيرا مما بقى لشبان انجليز ، وكل اليهم خلق

الملكات العلمية لا انماؤها ، بوصف مفتشين أو مدرسين ،  
وإتية هذا الباقي يصرف على التعليم ، والذي لا يصدق  
هذا من الانجليز ، ليتكلف فتح عينيه على تصرفات الانجليز  
بنظارة المعارف فى عهد الاحتلال

على أن لورد كرومر قد كفانا مؤونة الاثبات على سوء  
نية الانجليز بالتعليم العام فى مصر ، فانه يقول بالامس  
فى مجلس الاعيان بميله الى الوقوف فى التعليم فى الهند  
عند حد التعليم الاولى والصنعاى والزراعى . . . يصرح  
بذلك ، ولكنه لا يجرؤ فى القرن العشرين أن يقول : ألا  
فاقفلوا كل معهد علمى فى الهند ، ليبقى هؤلاء الجهلاء  
عبيدا لنا الى الابد . اذا كانت تلك هى ميولـه ومقدار  
عنايته بالعلم فى مستعمرة انجليزية ، فلا بد أنه كان ينوى  
ذلك فى مصر التى يريد أن يجعلها كذلك مستعمرة لابناء  
التيار . وقد دل تصرفه فى المعارف على أن تلك الفكرة  
ما كانت تبارح ذهنه يوما واحدا فهل يستطيع أحد أن  
يظن بأن الراى العام المصرى ، كان يعتنق مذهب اللورد  
كرومر فى الجنائية على العلم ، ولكن الجرائد هى وحدها  
دون جميع المصريين ، هى التى ترغب فى تعليم الامة  
المصرية !

كنا كلما قال قائل فى البرلمان الانجليزى من النواب  
أو من الاعيان كلمة تهيج خواطر المصريين أو تعجرح  
شعورهم ، أشفقنا من جرائها على السياسة المصرية ،  
وحسبنا لها حسابها . . . وتكنا بحمد الله وبمساعدة جناب  
لورد كرومر ، قد أصبحنا نعرف دخيلة مقاصد الانجليز  
بنا ، فام يعد يرجينا فى برهم بوعودهم تصريح بوعد  
جديد ، ولا يقنطننا من استقلالنا تهديد ووعيد ، ولا يغير  
مجرى الراى العام فى مصرنا شكل من أشكال سياسة  
الوفاق والخلاف ، فان الذى كان يدعى بالامس أنه الركن

الشديد لحرية الصحافة ، ويعمن علينا بها كلما أعجزه  
الامتنان علينا بشيء من الدستور ، أصبح ينادى بالويل  
على تلك الحرية الصحفية ، ويزعم ان وجهاء الشرق  
لا يريدونها

وليئتنا ندري لماذا يحترم اللورد رأى أولئك الوجهاء فى  
حرية الصحافة ، ويفتخر بأنه لأرغم أولئك الوجهاء على  
الاذعان الى مبادئ الحرية والمساواة ؟ وأن الذى كان يدعى  
بالامس ان تقصير الادارة الانجليزية فى أمر التعليم العام  
لا يعد تقصيرا ٠٠ وان عد تقصيرا ، فانما سببه وجوب  
انفاق الاموال المصرية فى تحسين حالها الاقتصادية أولا ،  
ثم يلتفت بعد ذلك الى التعليم ٠٠ قد اصبح يقول اليوم  
ان الغرب غرب والشرق شرق ، وأن تعليم الامم الشرقية  
تعلما عاليا ، من شأنه ايجاد القلائل السياسية !

اذا كانت نية الانجليز بنا قد وضحت على هذا الشكل  
الذى لم يبق بعده مطلب لمستوضح ، واذا كانت هذه هى  
سياسة الاستعمار الاوربى كما تشف عنه مقالة ذلك  
الكاتب الصريح والسياسى الفرنسى الكبير الميسو « لانيسان »  
جاكم الهند الصينية السابق ، فاحر بنا أن تستوى عندنا  
تصريحات الانجليز فى برلمانهم بأن الاحتلال مؤقت  
وتصريحاتهم بما يفسر بأن الاحتلال باق الى ما شاء الله ،  
وشاءت الاطماع الاستعمارية ، الا أن يكون هناك وسيلة  
للمتمدين غير التربية والتعليم !!

الآن يجب علينا ثلاثة ذلك أن ننظر لجميع المشروعات  
الانجليزية بالنظر الدقيق ، والا تتخدر أعصابنا بسياسة  
الوفاق الجديد (١) فإن لورد كرومر فى خطبته « القصيرة  
المتينة » قد أماط اللثام عن مقاصد هذه السياسة الجديدة  
٠٠ ولا ينبئك مثل خبير !

---

(١) بين الخديو والانجليز

## الرأى العام قوة

تنقل اخبار الحوادث كل يوم امثلة جديدة من شأنها ان تزيد ايماننا بقوة الرأى العام ، غير انى مع ذلك ارى ان انتفاعنا بتلك الامثلة قليل فى جانب كثرتها ، ضئيل فى جانب عظمتها ، فما سبب هذا يا ترى ؟ هل نحن فى مذهب التقليد جامدون على ما ورثناه ؟

كلا . . ان الحس يشهد اننا فى غاية السرعة من التقليد تظهر المودة فى باريس ولندن ، فتصل لنا فى البسريد الاول ، وما هو الا اسبوع واحد حتى تجدنا - رجالا ونساء - قد لبسنا ما يلبسون من الازياء والالوان . لم يظهر « الاتوموبيل » فى أوروبا حتى ملأ شوارع القاهرة جريا وصياحا ، الى غير ذلك من امثلة التقليد فى المحسوسات والمعنويات ، تدل على انها ليست هى ملكة التقليد التى تنقصنا ، فما بالنا اذن لا نقلد غيرنا فى العمل على تماسك الرأى العام ، ليكون له من القوة ما يناسب عدد افراد الامة وحال ثروتها ومقدار اطماعها من الرقى السياسى ؟

اليك هذا المثل القريب القوى ، مثل قيامة الرأى العام الالماني على جلالة الامبراطور غليوم ، ذلك الرجل الذى قل أن يوجد لله شبيه بين ملوك الارض جميعا فى صدق وطنيته واخلاصه لقومه واجهاد ملكاته فى أن يحصل لامته على سيادة البر والبحر ، وترويج مصنوعاتها

في أداني المعمورة وإقاصيها .. يكتب ويخطب ، يفكر ويعمل ، فإذا قام وسط الطلبة خطيبا ينتقد خطة التربية أو طريقة التعليم ويشجع القائمين بأمر العلم ، تراه في اليوم الثاني في عرض البحر يكتشف منارة بحرية أو في وسط جيشه ينتقد نظاما حربيا .. حتى لقد كان الناس يظنون أنه لا يفهم معنى الراحة ولا تمر بخاطره فكرة الترف ولا خاطر النعومة التي هي من شعار الملوك في هذه الأزمنة .. نسي ذلك الملك العظيم أنه الإمبراطور ، نسي ذاته حبا في قومه ، فرأى الرأي العام الألماني يعضده في كل ما يقول ويفعل ، ونأهيك ما صرح به لمولاي « عبد العزيز » في ابتداء الإزمة المغربية ، مما يدل صريح الدلالة على أن الإمبراطور يمثل الرأي العام الألماني . ولكنه لفرط محبته لمصالح ألمانيا ، نسي أيضا أن قوة الرأي العام التي تعضده كلها نطق لمصلحة ألمانيا ، هي عينها قوة الرأي العام التي تخسذه أن قال كلمة واحدة في غير تلك المصلحة . ولم يجر بخذه أن خدماته الطويلة التي لم يوفق غيره لمثلها لن تكون له شفيعا أمام قوة الرأي العام يوم يحاسبه حسابا شديدا

\*\*\*

كنت من عشر سنوات مع جماعة من الألمان المتعلمين يدور بيننا الحديث في المسائل السياسية ، فكانوا يقولون إمبراطورنا فعل كيت وكيت .. إمبراطورنا ينوي كيت وكيت . أن تصرف الدول في مسألة كذا لا يرضى إمبراطورنا ، فكان لفظ إمبراطورنا يقع في سمعي وقعا خاصا به لأنه كان مطردا في أحاديثهم ، بحيث يمكنني أن أقول أني لم أسمع أحدهم يخطئ مرة واحدة فيقول حكومتنا أو مجلس الرشتاغ أو الوزارة .. الخ ، من

الالفاظ التى نجدها مستفيضة على لسان الانجليز والفرنسيين والنمساويين أيضاً . وكان غريباً عندى أكثر من ذلك ، أن أصحابى الالمان هؤلاء ، لا يدكرون الامبراطور الا بنوع خاص من المحبة والاجلال

كنت اتخيل أن مذهب الاحرار « الليبراليزم » لا يزال ناقصاً بعض اجزائه فى المانيا على الرغم من انتشار مذهب الاشتراكية فيها ، انتشاراً يخشى عليها من الافراط فيه . وكنت اظن بمناسبة تصريحات جلالة الامبراطور لمولاي « عبد العزيز » وفى كل فرصة من أوقات مؤتمر الجزيرة ، أن هذا الامبراطور قد سحر الراى العام الالمانى فجعله يؤمن الصواب وانحطاً بلسان الامبراطور ، بحيث انه يجب الا يفهم يوماً ما أن الامبراطور يجوز عليه الخطأ كما يجوز على كل بنى حواء ولكننا الآن نرى العالم كله يمد أعناقه ليرى عن قرب قوة الراى العام الالمانى المدهشة ، وليسسمع ذلك الصوت العالى ، صوت اجماع امة كبيرة كهذه على تخطئة ملكها الكبير

سمعنا أن الاحرار الانجليز كانوا ينتقدون فى البرلمان على زيارة جلالة ملكهم لجلالة قيصر الروس . ولكننا ماسمعنا أن الاحرار والمحافظين والامبراطوريين والاشتراكيين ، يتفقون على كلمة واحدة ويصرحون بصوت واحد متجانس النغمة والرنين ، كما حصل ذلك فى جلسة الرئاستاغ التى فتحت فى الساعة الثالثة صباحاً ودرجة الحرارة تحت الصفر

بل ما سمعنا قبل اليوم أن الوزير يحكم على تصرف ملكه الذى هو ( وحده ) صاحب الحق فى تعيينه ، بمثل ما حكم به السياسى الكبير البرنس « ديبلوف » على الامبراطور كان كل ذلك ونقلناه للقراء حتى أمس . . . وعلمنا منه

ان قوة الراى العام الالمانى قد اظهرت تماسكا شديدا فى اجزاها ، من شأنه ان يجعل الامبراطور يرضى باستبقاء وزيره الاكبر فى منصبه بعد هذه المخالفة الصريحة، ويقره على كل ما طعن به على حديثه فى الرشستاغ ، ويقولون بعد ذلك ان قوة الراى العام وحدها من غير حاجة الى قوة مادية ستغفر الدستور الالمانى من اليوم ، لتأخذ من الامبراطور تلك الاختصاصات التى كانت تاركة له اباهما ما دام يتصرف بها حسب ما يتفق مع ادارة الراى العام .  
نظلم انفسنا اذا أردنا - ونحن حديثو العهد بالعلم والمدنية - ان نتشبه بالالمان فى حريتهم القومية وتماسكهم فى الراى ، ولكننا نسرد هذه الوقائع لنعود بها للجواب عن سؤالنا الاول : لماذا نحن لا نقتل غيرنا بتقوية الراى العام عندنا مع ملاحظة حالنا من القوة والضعف والعلم والثروة، وما يثقل من الاحتلال والسلطة الشخصية ؟ لماذا ليس تقليدنا فى ضم اجزاء الراى العام متناسبا مع تقليدنا للاوربيين فى ألوان الطعام والمشارب وانواع الملابس واللدائد؟ قللة وطنية ، احتقار لانفسنا .. ذلك هو السبب فى تخاذلنا عن جعل قوة الراى العام متناسبة تماما مع اطماننا العقلية والسياسية

ادخل الى اى مجلس من المجالس ، فى دوار العمدة ، او فى سراى الوزير ، او فى مكتب المحامى ، او فى عيادة الطبيب او فى زاوية النيوبار أو السبلنددبار (١) ، حيث كنت من هذه المجالس تجدنا نتكلم فى السياسة .. نسب ذاتنا وامتننا ، نرمى انفسنا بالضعف والعجز ، نرمى اخلاقنا بالفساد ، نرمى عادتنا بالقبح ، نرمى رجالنا بعدم الثبات ، نرمى موظفينا بفساد الدمة . ولو اطلعت علينا

---

(١) نيوبار ، واسبلنددبار ، مقهيان كانا مشهورين بالقاهرة

في هذه الحال لاعتقدت اننا لسنا مصريين ، لولا العمم والطرايش . فاذا كتب منا كاتب او خطب خاطب ، استحي أن يحصل ما يدور في تلك المجالس على السنة الدين هم جذع الراى العام في الحال ، ومنبت اغصان الراى العام في الاستقبال



كل شيء في الملكات الانسانية يقوى بالتمرين والاعتباد .. الاستعداد يستحيل أن ينقص أمة بأسرها ، ولكن الذى ينقص الأمة هو تمرين ملكاتها وتعويد أفرادها على القوة والثقة بالنفس . لا فرق بين البدوى في شجاعته والحضرى في جبنه ، الا أن الأول معتاد على ملاقات الموت كل يوم ، والثانى معتاد على الاتكال على البوليس .. لا فرق بين العالم في شجاعته الأدبية والجاهل في ضعفه وعدم ثقته بنفسه ، الا أن العالم قد علم بمقدار الحياة فاستهان بها .. علم بأن الحقيقة هي أعلى ما تضحى له الملكات والراحة بل والحياة أيضا .. علم بأن علة الخلقة هي خدمة الحق ، ومن لم يخدم الحق لم يقم لله بواجب الخلقة .. علم بأنه لا لذة للرجل الذى يدوق طعم اللذائذ، اشهى من لذة فناء ذاته في خدمة نوبه .. علم ذلك كله فهانت عليه أعراض الحياة . وأما الجاهل ، فلا يعرف طرفا من نفسه ، حتى يثق بها

مادامت ملكة قوة القلب والثقة بالنفس هي ملكة ينميها التمرين والاعتباد أيضا ، وجب علينا ألا نصرف الوقت في السخرية من أنفسنا ، لأننا اذا اعتدنا ذلك فقدنا بالزمان كل عامل من عوامل احترام الذات ولحقنا الفناء حتما .. علينا أن نروض أنفسنا على أن يعتبر كل منا نفسه انسانا مخلوقا لحقوق يتقاضاها من هذا



الوجود ، اعتبارا ممزوجا بفضيلة التواضع التى هى  
مرآة لجميع الفضائل

اما اذا قلدنا الالمان مع عدم اغفال الوسط الذى نحن  
فيه ، وقلدنا الانجليز والفرنسيين مع ملاحظة البعد  
بيننا وبينهم ، وذلك بتمرين ملكائنا على القوة والثقة  
بالذات حصلنا آخر الامر من الراى العام على قوة تناسب  
أطماعنا تماما . . هنالك نحصل على ما نريد من غير  
عناء كبير ، بل من غير سؤال ولا استنجاد . . على قوة  
الراى العام يتوقف نجاحنا فى طلب الدستور



## الاضطراب في الرأي العام

لا شك في أن نشر المبادئ الخفيفة الوزن ، وتقرير الخطط لغير الممكنة ، قد زاد حالتنا اضطراباً على اضطرابها الاول . . أفلم تكفنا الحوادث المحيطة بنا داعياً الى محاولة الخروج من هذا الاضطراب ؟

نريد أن نخرج من هذا الاضطراب المعنوي الذي تمشى في جميع علاقاتنا وروابطنا ، فأبلى جذتها وذهب بمتانتها وتركها رثة غير صالحة لتأدية وظيفتها الطبيعية ووظيفتها - كما تعلمون - هي صلاحيتها للاعتماد عليها في جميع أعمالنا الخاصة والعامة . وليست آثار ذلك قليلة بيننا . . كلنا يشكو من عميله ، يشكو من رئيسه ومرءوسه . . يشكو من محالفه ومحاربه على الخدمة العامة ، بل كلنا يشكو من زمياله ومن صاحبه ، وأقل ما تدل عليه هذه الشكوى العامة ، هو أن الثقة بين الافراد قد انتزعت أو كادت ، والثقة هي كل شيء

نريد أن نخرج من هذا الاضطراب المعنوي الذي جعلنا نتردد أمام العمل لخير بلادنا ، فانه اذا كانت علاقات الاسرة والصحبة والمعاملة ضعيفة كما وصفنا ، فان علاقاتنا العامة أضعف . ومتى كانت علاقاتنا العامة أي

علاقانا القومية ضعيفة ، وثقتنا بعضنا ببعض بالية كان رأينا العام مضطربا ، أعجز من أن يعبر تماما عن مصلحة البلاد . . . وأبعد من أن تكون آثاره سعادا علينا . وليست هذه النتيجة نتيجة نظرية ، بل الواقع الملموس في بلادنا هو اضطراب الرأي العام في الحكم على كثير من مسائلنا الحيوية

لست في مقام البحث في أسباب هذا الاضطراب ونتائجه في العلاقات الفردية ، ولكنى اكتفى بالبحث فيما يخص الرأي العام من هذا الاضطراب وخطئه في

الحكم على بعض المسائل ذات الاهمية في مصر لست أكرر أن الرأي العام في مصر أظهر قوة في بعض المسائل ، ولكنى مع ذلك لا أزال أعترف بأن كثيرا من المقدمات الخفية أو المشاعر الامية التى يبنى عليها الرأي العام حكمه مقدما ، غير منطبقة على مصلحة مصر

الرأي العام معذور لانه لا اختصاص له في الابحاث الدقيقة ، ولا وقت عنده لادامة التفكير . . . فان أخطأ فمعظم المسئولية راجع الى من يقدمون له المقدمات غير الصحيحة أو غير النافعة ، لان قواد الرأي العام كأنهم لم يهتموا بعد الى تحديد مطالب الامة بصورة واضحة . . . ولئن اهتموا الى بعض المطالب ، فانهم لم يهتموا لها شعور الناس بطريقة بيئة خالية من التناقض

\*\*\*

الرأي العام يحكم بشعوره دائما وفي كل امة تقريبا . . . لذلك كانت وظيفة خدام الرأي العام أو قادته ، تنحصر دائما في تهيئة الشعور القومى الى قبول المبادئ الصالحة للامة

أما اذا اختلط على الكتاب المقاصد بالوسائل والاسباب

بالنتائج ، أو اذا هيئوا الشعور العام الى تقيض مطالب  
الامة ، فأخلق بالرأى العام أن يتردد ويضطرب وينشق  
في الحوادث الهامة ، ويكون حكمه عليها مخطئا ، منافيا في  
كثير من الاحيان لمصلحته

خذوا مثلاً على ذلك : المقصد الاكبر ، أو مقصد المقاصد  
للامة المصرية ، هو الاستقلال .. هو الحرية السياسية  
.. هو الحرية العامة .. هو تمتع الامة بحريتها التي  
وهبها الله لها بالفطرة . أقول مع السرور ان الرأى العام  
المصرى مجمع على ذلك بوجه ما . وقادة الرأى العام  
يقولون به صباح مساء ولكن كثيرا منهم من لا يقيم وزنا  
للقومية المصرية في تربية شعور المصرى . يقول ان مصر  
ليست وطننا للمصريين فقط ، بل هي وطن لكل مسلم يعيش  
في أرضها سواء كان عثمانيا أو غير عثمانى ، فرنسيا أو  
انجليزيا ، صينيا أو يابانيا .. على ذلك تكون القومية  
المصرية أو الجنسية المصرية معدومة ، ومتى انعدمت  
القومية كيف يفهم الاستقلال ؟ .. وادنى مراتب  
الاستقلال الاختصاص بالحقوق الوطنية في مسطح من  
الأرض محدود بحدود جغرافية معينة ، الا أن تقولوا معى  
ان صاحب هذا الرأى يريد الفرض ولا يريد المقسمة  
.. يطلب الاستقلال ، ويهىء شعور العامة الى تقيضه  
اليس هذا المذهب يجر حتما الى القول بأن الاستقلال  
هو غير الاستقلال ، وأن استقلال المصريين بمصر ،  
نعناه ملكية مصر على الشيوع لجميع مسلمى الكرة  
الأرضية ؟ أى ان مصر وطن محدود مملوك الحقوق  
« قانونا » من المسلمين والمسيحيين عن طريق  
الاختصاص .. ثم هو مع ذلك وطن مملوك الحقوق  
لجميع المسلمين غير المصريين !!

يظهر لنا أن الذي أوقع هذا المذهب في التناقض ، هو محاولة جعل التخالف في المعتقدات الدينية أساسا للعمل في السياسة الدنيوية . وهذا مذهب خطر .. وقد أبنا خطره في كل ظرف من الظروف المناسبة ، وقلنا مع القائلين ، بأن المنافع الحيوية هي وحدها التي يصح اتخاذها قاعدة للأعمال السياسية ، وأنا نعتقد اعتقادا جازما بأن جعل المنفعة أساسا للعمل في السياسة ، مذهب لا ياباه الدين الحنيف .. يعمل الناس في الحياة لمنافعهم كما يشاءون بشرط ألا يحلوا محرما ولا يحرموا حلالا ، ويتأدبوا بأداب دينهم الآمرة بالمعروف والنهي عن المنكر . ونحن لا ننكر أن بعض السياسة الأوروبية قد استعمل الدين في بعض الأحيان الماضية سلاحا يخدم به السياسة ، ولكنه سلاح يوشك أن يكون خطرا على حامله ، أكثر مثله على خصمه .. فمن النافع والضروري معا جعل المنفعة هي الأساس الوحيد للعمل في السياسة ، دون التخالف في المعتقدات الدينية ، وتحديد الوطنية المصرية كما حددها قانون البلاد ، أعنى أن الحقوق الوطنية في مصر هي لمن يعترف له القانون بالمصرية ، دون غيره من سائر الأجناس غير أن ذلك المذهب على تناقضه يوافق أمزجة العامة ، أكثر من مذهب القانون المصري ، لأن أصحابه يكسونه كساء من الدين يجعله سائغا عند البسطاء ، وأن كان العمل به مناقضا لكل التناقض لما تطلبه الأمة من الاستقلال .. بل يناقض الصيغة المصرية المقدسة ان « مصر للمصريين »

لأننا في أن تربية شعور العامة على هذا النحو يجعل الرأي العام ضعيفا مضطربا في مقصده العالي ، وهو الاستقلال .. يجعله عاجزا عن التمييز بين مصلحته

بوصف أنه مصرى ، وبين واجباته بوصف أنه مسلم  
ذلك مثل من أمثلة الخطأ الذى يقع فيه العوام تبعاً  
لقواد الراى العام



مثال ثان : من قادة الراى العام من يطالب بجلاء  
الانجليز عن مصر حالا ، من غير معدلات لهذا الجلاء ..  
كان الانجليز جاءوا ليخرجوا منها بمقالة او مقالات تكتب  
في صحفنا المصرية . هذا يعينه ، أدى الى ان القائلين به  
يقطعون كل علاقة مع الانجليز ويتجاهلون سلطتهم الفعلية  
في البلاد .. يقيمون القيامة على كل رجل مصرى يلتهب  
لوكالة البريطانية ، لاي سبب من الاسباب .. ينحون  
باللائمة على النظار اذا حضروا الاحتفال بعيد ملك الانجليز  
ويرون ذلك خيانة للوطن . فكان المفهوم أن الذى يقول  
ذلك ، يقضب من مجيء الوفد العثماني لتقديم التحية  
لملك الانجليز يوم عيده ، بالوقوف الى جانب العلم الانجليزى .  
فهل حصل ذلك ؟ أم الذى حصل انهم أخذوا يحثون الناس  
على الترحيب بصاحب السمو السلطانى رئيس الوفد ،  
ويدلونهم على مواطن جيثاته وروحائه ، ليقيموا له  
المظاهرات التى كان يابها ويتوقاها هو نفسه .. يكون  
مفهوما من جانبهم الاحتفال بالوفد العثمانى ، اذا كان  
قد جاء للاحتجاج على الاحتلال . ولكن كان يفهم من  
جانب الذى يقول بالجلاء او المحتج يوميا على الاحتلال  
أن لا يحتفل بممثل الاحتلال . ليس الاحتفال بالوفد  
العثمانى احتفالا بملك الانجليز من جميع الوجوه ؟

ولئن وقع فريق الراى العام المطالب بالجلاء حالا  
في هذا التناقض فليس عليه مسئولية عظمى .. انما

المسؤولية العظمى على الدين كانوا يقودونه الى ههنا  
التناقض المضحك

مثال ثالث : كلنا متفق على وجوب انماء الفضائل  
الاجتماعية في بلادنا حتى نجنى ثمارها المفيدة ، واطورها  
التضامن الذى يتوقف عليه كل عمل عام . تضامن المصرى  
مع المصرى ، واحترام المصرى للمصرى ، وثقة المصرى  
بالمصرى . ولكن من كتابنا من لم يترك مصرينا من اولى  
المقام المتين فى الثروة او فى العلم او فى الخلق ، الا شهر  
به لادنى شهوة . والشبان من طهارة قلوبهم وبراءة  
نفوسهم ، يصدقون بغاية السهولة قدح الجرائد فى اخلاص  
رجال البلاد او فى كفايتهم المتنوعة . حتى نتج عن  
ذلك اننا اصبحنا والحمد لله ، نكاد نكون مجردين عن  
وجود رجال مسئولين ، يمكن الثقة بهم من غير تظنن  
ولا شكوك

فاذا وجدت الراى العام قليل الثقة باخلاص  
الاشخاص القادرين فى البلاد ، الذين كان من حقهم ان  
يكونوا كاسبى ثقته ، فلا تلم الراى العام بل أعدده ،  
فان قاداته هكذا علموه ، ولم يتركوا لله من اهل البلاد  
موضع ثقة

\*\*\*

مثال رابع : من اولئك الكتاب من يسرف فى التعبير ،  
فيسمى الانجليز - وهم قابضون على السلطة الفعلية فى  
البلاد - أعداء ، ويكرر ذلك فى الكتابات . وقد قلنا لهم من  
قبل ان انعلاء الانجليز وأولئك الكتاب انفسهم ، يعلمون  
معنى هذا العدا للفظى او الافلاطونى الذى لا يهيج طائرا ،  
ولا يحرك ساكنا . ولكن الاحداث من العسوام الذين لم  
يستطيعوا تقدير مصر يأخذون هذا اللفظ على

أشد معانيه ، وربما أدى ذلك الى أعمال صبيانية - كما حصل - تؤخر مصر في طريقها الى الرقى المنشود ، وتجعلها تفقد نهائيا بقية الامل في المستقبل ، فيموت فيها الشعور بالقومية ، اذ لا حياة الا بالامل

فاذا كانت فرصة ظهر فيها الرأى العام منشقا على نفسه في فهم معاملة الانجليز في مصر ، فالمسئولية راجعة على المسرف في اللفظ ، الذى يخطئ قلمه مكبا على وجه من غير دليل ولا احتياط

على أن رقى البلاد متوقف على فهم الرأى العام لوجوه المصلحة بطريقة واضحة . . لا اقول فهمه للمسائل الدقيقة ، بل لأمهات المبادئ العامة الضرورية للرقى ، حتى تصبح هذه المبادئ شاغلة محلا من شعوره ، فيؤمن عليه من الخطأ في الحكم على الحوادث الكبرى ، كما في البلاد الأخرى

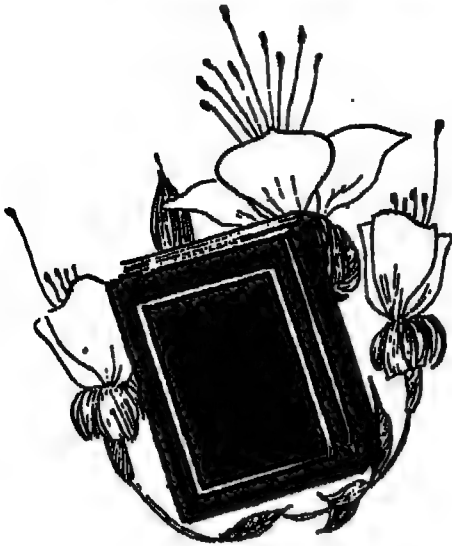
وعندنا أن الوقت الحاضر مناسب جدا لتحديد اغراض الامة من حياتها المستقبلية ، والوسائل المشروعة النافعة لنيل تلك الاغراض . وعلى الشبيبة المصرية يقع جزء عظيم من واجبات تحديد المقاصد والوسائل على وجه مستقيم خلو من التناقض ، كافل السير الى الامام في ترقى البلاد





الفصل الرابع

إلى السَّيِّبَةِ



## الحج الامام

منا من يدرس حالتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، بتتبع الأشخاص أولى المظاهر منا في اعمالهم واقوالهم ونتائج افكارهم والطرق التى يسلكونها لبلوغ اغراضهم ، ومقدار ثباتهم على المبادئ فى سياستهم والتضحيات التى يجودون بها لترقية وطنهم ، وكيفية معاملاتهم المالية وغبنهم فيها أو ربحهم منها ، وقصودهم عن محاولة اظهار كفاءتهم التجارية والمالية . . ثم بنعم نظره فى الشعبية المصرية ، فيقدر مالها من الكفاءات المتنوعة بالنسبة لما سيثقل به المستقبل كاهلها من الواجبات ، ويرقب حال الاسرة المصرية ووقوفها عن التطور الى حال تتفق مع التطورات الاجتماعية الاخرى . ثم يطيل النظر فى كل هذه المسائل تفصيلا واجمالا ، فيدخل الى نفسه اليأس من صلاحيتنا عاجلا الى ما نطلبه من الاستقلال ، وهو لا يحفظ هذه النتيجة السوداء لنفسه ، بل وجود بها كل يوم على خلطائه ومجالسيه كلما قرا فصلا عن سلطة الأمة ، أو رأى مظاهرة تؤيد القول بسلطة الامة . . واقل ما وجود به لسانه الطاهر على قومه، أن الصحف مخرفة، تصوغ أقيسة مقدماتها من الخيال ، وأن هذه امة لا تنفع، وإذا كان من عادة هذا اليأس المجاملة فى القول ، ادخل

نفسه في عداد من يرميهم بالصفار. والقعود عن اعلاء كلمة الوطن ، فيقول هؤلاء قوم لا سبيل الى اصلاحهم وأولهم أنا

منا هذا المفكر اليائس الذي قصر نظره عن النظر في ماضي الأمم ، وضاعت نفسه عن الصبر ، وخلت أقيسته من كثير من المقدمات العلمية ، وأثبتت على ظاهر من الحوادث الافرادية التي تحصل في كل أمة ، مهما كان مركزها من الرقي . منا هذا ، ومنا صنف آخر هم ساسة الصدفة أو ساسة « المناظر » وهم لنكد الطالع كثيرون



تسال أحدهم عما اذا كن رشع نفسه للانتخابات الجديدة في مركزه فيجيبك : « ذا كلام فارغ » . أى انتخابات أرشح بنفسى إليها ، وإى مجلس تريد أن أحضر فيه ؟ أنا أربأ بنفسى دائما عن العضوية في مجلس يكون المدير فيه ، هو الكل في الكل ، وليس لأعضائه إلا أن يصدقوا على ما قاله المدير .

هذا هو علره ، والله يعلم انه كاذب فيه . ولكنه في الحقيقة ، ساقط الهمة ، معدوم واسطة السعى ، مفضول في قومه ، يخشى أن يسخر منه الناس اذا تعرض للانتخاب ولكنه مع ذلك فخور ، لا يطلب من الحياة إلا أن يقدره سامعوه في « المنظرة » بأكثر مما هو عليه في الواقع ، وأغرب من علره الكاذب هذا أنه يندفع من غير حياء في الحط من قيمة مواطنيه وأمته . . الى آخر ما يتدفق به لسانه مما لا حقيقة له في الواقع ولا في نفسه أيضا . . ويكون ختام حديثه : « نحن قوم لا ننفع » ، يقول ذلك عفواً من غير روية ، وتفضلا من غير نظر طويل ، كنظر ذلك اليائس الذي بنى حكمه على ما اعتقد خطأ من الحوادث التي شاهدها بنظائره السوداء

منا هذان . . . ومنا ذلك الموظف الذي يشكو لك مر الشكوى مما يلقاه من الصغار في خدمته ، أو من المضى الذي يلحق نفسه حين يكلف بوضع مشروع ضد مصلحة البلاد ، أو التصديق على مشروع يعتقد أنه ضار لا نافع ، أو تنفيذ فكرة ، أو القيام بعمل يعتقد أن بينه وبين الحق والعدل يونا بعيدا

يشكو لك حاله التعيسة ، فإذا قلت له : « وما يمنعك من أن تدفع عن نفسك هذا الألم وتوفر على وطنك ما تعمل له من الضرر بأن تستقيل من وظيفتك ، فما أنت فيها مكبل بالسلاسل » ، اخذ يعتذر عن بقائه بعدد أبرد من عدد ذلك العامى المرشح للانتخاب . يقول لك : « وهل فى قومنا من يقدر الفضيلة قدرها ويثنى على الثناء الجميل ، أو يحترمنى على الأقل بعد خروجى من الخدمة كما هو يحترمنى وأنا فيها ؟ »

هذا الموظف أيضا يلقى التبعة من جنبه على الأمة ، كمالقى هذا العين قعوده عن السعى للانتخابات على عائق الأمة ، وكمالقى المفكر اليائس تبعة فساد علمه أو قلة عقله وصبره على عائق الأمة

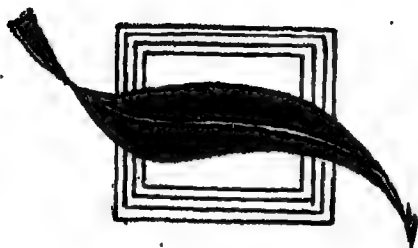
كل امرئ حر فى أن يفكر ما شاء ، ويقول عن نفسه وعن قومه ما شاء ، وعلى الأخص ما اعتقده فيهم . . . ولكن هذا المبدأ مبدأ القعود عن العمل الصالح يأسا من الإصلاح ، والكف عن التقدم الى الامام على فكرة أنه غير نافع ، والعدول عن اتيان الفضيلة اعتمادا على أنها غير مقومة عند العامة

هذا المبدأ - مع أنه خطأ محض فى ذاته - فإنه خطير جدا وربما كان هو السبب الحقيقى فى عدم تقدمنا بعيدا الى الامام

فأما الأمة من حيث الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فهي بخير ، وغاية الأمر انه ينقصها ما كان ينقص كل أمة من الأمم العظمى في أوائل أدوار انتقالها . وما كان النقص في بعض معدات الرقي داعيا لليأس ولا محلا للتجنى ، إنما هو موضع للعمل لتكميل النقص

وإذا كان من الوطنية ان يظعن الانسان في نظام من نظماته امته لينبه الأفكار الى تغيير ذلك النظام أو اصلاح الخلل ، فليس من الوطنية في شيء أن يعوقه غيره من السعى لمصلحة بلاده ليتخذ ذلك عدرا لخموله ، ومناصا من التبعة التي تلحق ضميره من القعود . وإذا كان من الحرية أن يعلن المرء رأيه لما يراه نافعا لبلاده مهما كلفه ذلك من التضحية ، فان من العار أن يتسلى الرجل بالخط من كرامة امته ، حتى يشهد له الانجليز أو اليابسون ، بأنه حر الضمير ، وهو يعلم أنه مرء فيما يقول

وبعد هذه الاعتبارات ننصح للعاملين الا يصغوا لما يقول اليابسون ، مهما علت مراكزهم فينا ، ولينقدموا دائما الى الامام



## القلوب الفكرى

نلت اذهان الشبيبة الى افكار نرجح ان تدبر  
الى توحيد الانظار المختلفة في تحديد القواعد الثا  
التى تبني عليها اعمالنا لمصلحة بلادنا  
وثقتنا في عقولهم الراححة المستنيرة بالمنطق  
انها اكبر عون على اعادة النظر في مذاهبنا ال  
لينفى عنها التناقض وتغادرها الافكار العاطلة  
التحقيق ، وتسلم بذلك من الخطط العقيمة الت  
لها على عجل والتي كان من حقها الا تتبع ،  
الاسف قد اتبعت في العمل ، فانتجت نتيجة  
اغراء الامة بالتعلق بالاحلام والامانى الكاذبة ،  
بصورة الآمال الصادقة الممكنة الوقوع  
ولقد فلا كتاب هذه الخطط في تزيينها ،  
للشبيبة على مقادير غير مناسبة لحال البلاد  
مع مصلحتها ، فلم يطق بعض الاحداث حملها  
افكار مجردة غير صالحة للعمل بها ، بل رجوا  
الى مهاوى تحقيقها بوصف انها من اعمال البسالة  
في خدمة الوطن . وما هى في الحقيقة الا نر  
الاضطراب الفكرى الذى كان من اسبابه المبادئ  
والخطط غير المنتجة التى وصفها الكتاب غير

---

الجريدة في ٢١ من أغسطس سنة ١٩١٢ العدد ١٦٥

لنتائجها ادنى حساب  
ومهما انكرنا بحق قول القائلين في هذه السنين الأخيرة  
بوجود اضطراب في مصر ، فاننا نجاوز الحق اذا قلنا ان  
الخطط السيئة التي جرى عليها بعض الكتاب ، لم تكن  
من الأسباب لبث القلق الفكري في الشبيبة على الأخص  
وتغذيته الوقت ، بعد الوقت ، بسموم من الوهم وخطأ في  
تقدير النافع والضار

ليس هذا القلق الفكري خفيا يدعو الى البحث  
والاستدلال ، ولا هو صامت يطلب له البيان .. بل هو  
ظاهر يعلن عن نفسه بفصاحة متدفقة من صحائف بعض  
الكتاب ، وعلى السن كثير من الذين يتحدثون في السياسة  
ويهتمون اهتماما مفيدا أو مضرا بمصالح البلاد . ولقد  
أدى الاضطراب العصبي والقلق الفكري المتولد من المبادئ  
الخاطئة ، العقيمة عند بعض الشبان الى الخروج في هذه  
السنين الأخيرة عن حدود العقل والأخلاق القويمة  
ومصلحة البلاد . ولكنه مع ذلك لم يعدم من كتاب الطيش  
وشعرائه ، تمجيذا كأنه قام بمنفعة ، وما قام الا بضرر ،  
وما الحوادث التي جاءت بعد جناية « الورداني » ،  
والقوانين التي سنت ، والحرية التي حدثت ، ورجوع  
الأمة في سعيها الى الوراء ، الا نتيجة من نتائج تلك الجريمة  
الشنعاء

\*\*\*

نظّم أولئك الكتاب اذا قلنا انهم هم الذين خلقوا هذا  
القلق الفكري ، لانه ربما يكون هو الذي خلق مذاهبهم  
فوجدوه على كل حال متقدمة بالضرورة على تلك المذاهب  
المتناقضة والخطط الضارة ، لأن هذا القلق انما هو تابع  
للاضطراب العام الذي تولد من انتقال الأمة من حال الى  
حال ، ومن طبائع الاستبداد الطويل ، ومن حرمان الأمة

من الحرية السياسية ولو على القدر الذى تسمح به الظروف

نظلم تلك الخطط اذا نسبنا لها وحدها هذا القلق .. ولكن لاشبهه في أنها سبب في تعجيبه وانتشار آثاره .  
وإن عجزنا أن نستأصل الأسباب الطبيعية أو الاجتماعية التى ليس في قدرتنا استئصالها ، فأقل مايجب علينا ألا نضعف اليها من عند أنفسنا أسبابا جديدة ، وأن نسعى جهدا في قطع فترة الانتقال بسلام وسكون ، وأن نعالج ما استطننا القلق الفكرى ونتأمله ، فإن الاتفاق في الأفكار هو طريق الشفاء ، وسم الحياة ، وداعى العجز والقنوط

القلق الفكرى في مجموع من المجاميع ، لا يكون اثره الا التخبط في العمل على غير هدى .. يخلط عملا صالحا وآخر سيئا ، فلا تكون النتيجة الا أن هذا المجموع لا تستقيم له طريقة ولا يتم له عمل ولا يثبت له نجاح ، الا بمحض المصادفة .. وكفى المرء غفما أن تكون أفكاره وأعماله زمامها بيد المصادفة تقودها الى حيث تشاء

ان الذين ترهقهم الحوادث ، تقع على اشخاصهم او على مواطنهم ، فتبيل أفكارهم وتسلمهم الى الاضطراب ، فيخرجوا عن جادة الصواب . مهما كانوا معدورين - لا يحل لهم أن يتصدروا لقيادة الراى العام ، فانهم ليسوا الا رجلا صفارا أو اطفالا كبارا

لم تؤت أمة من الأمم مفاتيح الغيب ، حتى لا يقع فيها من الحوادث الا ما تختار .. ولكن الرجال الراشدين والشعبية العاقلة في كل أمة ، يتقبلون الحوادث بعزم وضد رحب ، يصبرون عليها صبر الكرام ، ويقرون الصبر بالعمل لخير أمتهم وسعادتها ، ساعين في ذلك لاجادة مستقيمة مضمونة النتيجة ، أو راجحة النجاح



يعلمون أن من العسف والشطط العقيم أن يكون تحرير البلاد طفرة وعلى غير استعداد ، وأنه يكفي في تحقيقه كلمة حماسية لا تؤثر في قارئها الا كما يؤثر في العامة أثر أبي زيد الهلالي في تونس ، أو ما قال عنتر في ميدان القتال ، أو انه يكفي لتحقيقه منشور ثوري سخي لا أظن أن قوما لا يروونه الا ساخرين منه ، حاكمين على واضعه بالغفلة والجنون

ان استقلال الأمة نتيجة تربية طويلة واعتقادات وميول عامة ، وأطماع كبيرة لا تجيئها دفعة واحدة ولا في جيل واحد ، بل تختمر فيها وتنتج نتائجها الطبيعية بالزمان . . على أن تقدم مصر واستقلالها حتى مع توافق جميع الأسباب ، لا يجيء بالمنشورات والتحمس الباطل ، وإنما يجيء من العمل الهادئ ومن السلام

كل من في البلد من صغير وكبير يقول بأن أعمال العسف تؤخر البلاد في طريق الخير والاستقلال ، ولكننا مع ذلك يجب أن نبحث هذا الفهم الرشيد بنفاية الصراحة ، من غير موارد ولا احتياط . . أليست بلادنا تابعة للدولة العلية ومحتلة احتلالا عسكريا بانجلترا ومحتلة احتلالا ماليا بجميع الدول الأوروبية القوية ، التي تريد معاملتها في مصر سنة على سنة ، والتي لا تسمح بأية حركة يكون من شأنها الاضرار بحقوقها

هل يوجد مجنون في بلادنا يمكنه أن يقول بأن مصر تستطيع أن تدوس هذه الاعتبارات ، وتسلم من اللحاق في اليوم التالي بأية دولة تستطيع أن توطد فيها أركان السلام وتفتحها للاستقلال الاوربي ، كما كانت وكما هو الآن ، أم هل يوجد رجل غفلة يظن أن الاضطراب في الأحوال يكره الانجليز الاقوياء على أن يتبعوا في مصر سياسة غير

التي سنوها من قبل ؟  
لو قيل ذلك قبل زيارة المستر روزفلت (١) لمصر ،  
لكان له بعض التأثير في عقول البسطاء من العوام . . أما  
والحال على ما نرى ، فكل فكرة من هذا النوع ضلالة وضرر  
محقق بالبلاد

على هذه الاعتبارات يجب علينا أن نقتلع جراثيم  
الخيالات المضرة من أدمغة الأحداث ، ونجدد في فهم  
المسألة المصرية على حقيقتها ، ونبعد عنا تأثير القلق الفكري ،  
لنشتغل لصالح بلادنا بالطرائق المنتجة مع التزام السكينة  
والسلام

ولا شبهة في أن شبابنا العقلاء ، هم وحدهم أقدر الناس  
على محاربة القلق الفكري ، والسعى بالامة في طريق الصبر  
والعمل لانماء الكفاءات المصرية التي بها لا غيرها ، يكون  
الرقى المطلوب .



(١) هو تيودور روزفلت الرئيس السادس والعشرون للولايات  
المتحدة ، وقد زار مصر سنة ١٩٠٤ وكان ممثلاً للاحتلال البريطاني ،  
ولهذا قوبلت زيارته بهياج في الرأي العام المصري . وهو غير ترائكسين  
روزفلت الرئيس الثاني والثلاثون للولايات المتحدة الذي شهد الحرب  
العالمية الثانية وتوفي سنة ١٩٤٥

## فانظرهم الاستقلال

يجب حقيقة أن يظهر للمصريين خطة معينة واضحة تجدد آمال الأمة وأطماعها والوسائل المشروعة الممكنة لتلك الآمال والأطماع .. يجب أن تكون تلك الخطة واحدة لجميع المصريين ، لأنها ترجمان المصلحة المصرية . ولو صح الخلاف بين الأحزاب في بعض الجزئيات ، لما جاز أن يكون هناك خلاف جوهري في آمال الأمة من الاستقلال غرضنا النهائي استقلال مضر .. ومن المستحيل على الأمة أو على أي فرد من أفرادها أن يتنازع في ذلك .. استقلال الأمة في الحياة الاجتماعية كالخبر في الحياة القومية ، لا غنى عنه ، لأنه لا وجود إلا به . وكل وجود بغير الاستقلال مرض يجب التداوى منه ، وضعف يجب إزالته .. بل عار يجب استبعاده

إذا كان الاستقلال ممكنا طلبناه ، وإن كان مستحيلا عاجلناه ، لأنه هو معنى الوجود القومي ومناط الأمل في الحياة القومية .. على أن استقلال الأمة في حدودنا وفي ثروتنا وفي مركزنا الجغرافي ، بعيد أن يكون مستحيلا .. وأقرب شيء أن يكون ، متى طلبناه من بابة بالوسائل المنتجة

ومن الدلل والضعف بل من الانتحار القومي ، أن نسكن

---

\* الجريدة في ٢ من سبتمبر سنة ١٩١٢ العدد ١٦٦٧

أو نساعد على بقائنا الى الابد في الحالة التى نعيش بها  
صباح مساء

دارت بينى وبين اوروبى مناقشة في السياسة ، فاذن  
به يقول لى : « ومتى كنتم مستقلين حتى تبغوا الاستقلال  
الآن ؟ » .. واظن انى لم اكن لاختص وحدى بسماع  
هذا التعبير الجارح من كل الدين لهم مصلحة في  
الاستعمار

استقلال الامة ، او حريتها السياسية ، حق لها  
بالفطرة ، لا ينبغي لها أن تتسامح فيه . أو إن تثنى في العمل  
للحصول عليه .. بل ليس لها حق التنازل عنه لغيرها ،  
لا بكته ولا بجزئه ، لأن الحرية لا تقبل القسمة ولا تقبل  
التنازل .. فكل تنازل من الامة عن حريتها كلها او بعضها ،  
باطل بطلانا أصليا لا تلحقه الصحة بأى حال من الاحوال .  
فلا جرم مع هذا المبدأ المسلم به عند علماء السياسة ، أن  
قلت أنه يجب على الامة أن توجه كل قواها بغير استثناء  
الى الحصول على وجودها بصفتها أمة ، أى للحصول على  
الاستقلال .. وان من المستحيل على أمة تشعر بوجودها  
أن تتساهل في استقلالها أو تبرد غيرها عليه ، في كل  
ظرف من الظروف المناسبة

يجب أن يفهم غيرنا أيضا أن كل أمة تطلب الى مصر أن  
تبقى الى الابد مبعدة عن استقلالها ، انما هى أمة تخدع  
نفسها ، لأن هذا المرام لا يرام الا من لفيف من الناس  
ليس لهم ما للامة المصرية من القومية العتيقة والوطن  
المحدود والنظمات الاجتماعية .. أمة كامتنا قد ولدت  
التمسك مرتين ، لا ينبغي للتمسك الحديث أن يطمع في  
التوغل في اذلالها وابعادها عن أقل الاقدار لمطامع الأمم ،  
وهو الاستقلال

من العيب العظيم أن تداجى الأمة في أمر استقلالها ،  
لأنه أن صح لرجال السياسة أن يلعبوا بالالفاظ ليستروا  
المقاصد ، فإنه لا يصح بحال من الأحوال أن تكون الخدعة  
من خلق أمة من الأمم .. الأمة شخص معنوى غاية في  
الطهر ، لا يقول إلا ما يعتقد ، ولا يعمل إلا ما يريد

لا يكفي أن يعتقد جماعة من الأمة بضرورة الاستقلال ،  
بل يجب أن يكون الشعور بحب الاستقلال شعورا عاما في  
جميع أفراد الأمة من غير استثناء .. يجب أن يكون  
الشعور بالاستقلال عند كل فرد هو بعينه الشعور بالوجود  
الذاتى

باى عنوان نحن نخدم طول العمر هذه الإنسانية ،  
عوضا عن أن أقول باى كتاب يجب علينا أن نظل طول  
العمر في خدمة الغير ؟

لا نريد أن نخدمنا الغير ، ولكن كيف نريد أن نخدمه  
دائما ؟ ولم لا نخدم أنفسنا كما نخدم كل أمة نفسها ؟ ..  
لا .. لا .. نظلمنا ونظلم أنفسنا ونظلم الإنسانية والوجود ،  
كل أمة تبغى منا أن نبقى عبيدا أو خدما طول الزمان

أجل .. نحن نتمتع بحريتنا الشخصية .. نتمتع بها  
في كثير من الأحيان على أنها منحة لا حق ، ولكن نتمتع  
بها على كل حال . وذلك هى حجة كثير من الذين يقولون :  
مم يشكو المصرى وهو يتمتع في بلاده بالحرية التى يتمتع  
بها الإنجليزى في بلاده

صدقتم ولكن كفى الحرية الشخصية هو الحرية العامة  
.. وما كان المصرى ليقتنع من العيشة بالحياة الفردية ،  
كما يتمتع بها كل حيوان حر في الجبال ، بل المصرى هو  
ايضا يريد أن يعيش عيشة القومية .. إن يكسب حريته  
السياسية التى وهبها الله لمجموعه من يوم كان مجموما

قاطنا في وطن معين ، قبل أن تحد تخوم الاوطان . وما سرنا أن يكون الفرد منا حرا ، إذا كان مجموع أفرادنا ليس كذلك ، بل بعيد على الحر في أمة غير حرة ، أن يعتبر نفسه حرا ، أو ينتفع انتفاعا انسانيا بحريته

الاستقلال حق طبيعي للأمة . . ولكنها إذا فقدته زمنا طويلا واعتادت كرها عادات جديدة وطبائع تناقض الاستقلال ، كان لابد لها الى بلوغه من تربية خاصة وتعويض لما فقدته من الملكات والأخلاق في أزمان الاكراه والاستبداد . ولا شك في أن التمتع بالحقوق الطبيعية رهن بالقدرة على كسبها ، وما القدرة على الاستقلال الا نية صادقة ووسيلة منتجة

فأما نية الاستقلال فهي فهمه والتشبث بمزاياه ، وتمثل هذا الفهم في شعور الأمة تمثلا صحيحا شائعا ، أي اعتقاد الأمة بضرورته ، وأنه هو العيش ، وهو الكساء ، وهو البيت ، وهو الوجود . . وبغيره لا وجود . . ولابد لذلك من أن يربى في الأمة معنى القومية المصرية

أن أول معنى للقومية المصرية وتحديد الوطنية المصرية والاحتفاظ بها والغيرة عليها غير التركي على وطنه ، والانجليزى على قوميته ، لا أن نجعل أنفسنا وبلادنا على المشاع وسط ما يسمى خطأ بالجامعة الإسلامية . . تلك الجامعة التي يوسع بعضهم معناها ، فيدخل فيه أن مصر وطن لكل مسلم . .

أما لو كان معنى الجامعة مقصورا على وجوب الائتلاف بين أمة وجارتها على المعاونة المتبادلة على الارتقاء ، فذلك حسن مفهوم . . بشرط أن يكون العقد متبادل المنفعة لا مقصورا على أحد الطرفين دون الآخر

أعنى أن يكون أحدهما خادما دائما ، والثاني مخدوما

دائما .. تلك دنية يجب أن يابها المصري ذو الحفيظة ،  
ولا يجيئها الا مكرها ، والمكره لا حيلة له

يعجبني في هذا المعنى أن أورد عبارة أحد الكتاب  
الانجليز ، قال : « مهما كان اللوم على الامة المتغلبة على  
غيرها ، فإنه لا يصح أن تنجو الامة المغلوبة من اللوم ، فإنه  
من السهل أن يدوس الانسان بقدمه حشرة ، لكنه اذا  
كانت هذه الحشرة من العقارب ، يصعب أن يدوسها  
بالقدم »

وعندنا الامة كائن طبيعي يستحيل مهما كانت ضعيفة،  
أن تكون مجردة من آلات الدفاع عن نفسها ، لان الله قد سلح  
جميع كائناته بسلاح الدفاع عن ذواتها .. والامة بصفتها  
احدى هاته الكائنات الطبيعية ، لا يمكن أن تكون فاقدة  
السلاح ، فلئن تركته او أساءت استعماله فاللوم عليها  
بمقدار تقصيرها



ولقد كتب على مصر أن ترتقى بالسلام وتستقل  
بالسلام ، فما أسلحة السلام الا ذكاء في العقل والقلب  
يهدينا الى معرفة مصريتنا وقصر عملنا على مصرنا ،  
وانماء كفاءتنا قبل كل شيء ، وتمييز بين الممكن في الواقع ،  
وبين الممكن في الخيال ، حتى لا تقع مرة ثانية في حبال  
ذلك الوهم القديم الذي كان يرود لأدمجتنا الوقت بعد  
الوقت .. اذ كان يزین لنا مرة أن فرنسا ستحرر بلادنا ،  
ومرة أن الدولة العلية ستقوى ، فبحقنا عليها تسفك دماء  
ابطالها لتخرج الانجليز من بلادنا ، ثم هي بعد ذلك تتركنا  
لأنفسنا في بلادنا أحرارا نتصرف فيها بما نشاء !! لابد لنا  
من ذلك ، ومن مرة تريا بنا عن أن نطلب من غيرنا أن يأتي  
ليحرر نفوسنا من الرق وقلوبنا من عبادة القوى ، كأننا

— كما ظنوا خطأ بنا — نُبغى أن يأتينا الاستقلال ونحن  
نيام . ويفيض الاستقلال علينا من جوانب البلاد ، بشرط  
الا نتعب أنفسنا في أن نحرك ساكنا

كان الواجب أن نبعد بالامة عن هذه الخيالات الكاذبة ،  
ونوجهها الى أن تنمى في نفسها عقيدة الاستقلال

أفنحن حقيقة ننشر عقيدة الاستقلال وننمى حفيظة  
استقلال المصرى ببلادها ، يأخذها الصغار عن الكبار  
والإبناء عن الآباء ، حتى تصير مصر للمصريين ، أم نحن  
نصرف معظم همومنا فيما علينا كل غرمه ، وليس لنا  
شيء من غنمه ؟ أم نحن نعرف السنين تمر بنا من غير  
عمل كبير لمصلحتنا ، فإذا تحركنا للعمل ولينا وجهنا غير  
مصر ، وصرفنا كل همنا في اعانة من لا تنفعه اعانتنا له

أكبر معلم للأمم هو الحوادث ، ومعظم غم الأمم من  
الاستفادة من الحوادث ، وأن العقيدة لا تأخذ من النفس  
مكانا غائرا ، إلا اذا جاءت لمناسبة حادث من الحوادث . .  
تلك هى سنة الأمم ، وقد كان لنا درس في هذه الحركة  
الحاضرة ، حركة دخول فرنسا في مراكش ووقوف ألمانيا  
لها موقف المطالب بالعوض الاستعماري تشبها بأن انجلترا  
أخذت المقابل في مصر ، فلا بد لها من عوض استعماري  
يخرجها من عار الرضا باعتبار انها خافتة الصوت أو  
ضئيلة الاثر في الاستفادة من المسائل الشرقية . وتصريح  
الدول جميعا الى إيطاليا بمجاوزة المعاهدات الدولية ،  
والإغارة على طرابلس ، وهى جزء من الدولة العلية أو  
ملك لها

كل هذه الحوادث قد نهت الرأى العام المصرى الى  
قبول الحقائق السياسية تنبيها لو القى نصحاؤه عليه  
نظرية القومية المصرية وحفيظة الاستقلال ، وأظهروا له



أن الاعتماد على الموازنة الدولية والمعاهدات الدولية  
والتصريحات البرلمانية ، صار من المودة القديمة ، فلا ينفع  
مصر شيئا كثيرا ..

الذى ينفعها هو الا تبنى لحظة واحدة عن العمل  
لدائها ، وعن اثبات شخصيتها وقوميتها ، وميلها الى  
الاستقلال .. لو فعلوا ذلك لآثرت فيه هذه النصيحة  
الف مرة اكثر مما تؤثر النصيحة في يوم هدوء وسكون

غير أن الذى فات مات ، ولا ينفع الاسف على الوقت  
الذى ضاع الا بمقدار ما يلفت الذهن الى عدم الوقوع في  
الخطأ مرة ثانية في المستقبل .. فبدل أن تطوح بشعور  
الامة ونذهب به كل مذهب ، وبدل أن تكون في مصر آلات  
لجمعية الاتحاد والترقى (١) التى تسعى لخير بلادها دون  
غيرها ، والتى صرحت من أول يوم أن مصر ليست داخلة  
في بروجرام أعمالها .. بدل ذلك كله ، يجب على الكاتبين  
أن ينتهزوا الفرصة لينشروا في الامة عقيدة الاستقلال

لأننا نكرر أن الاستقلال متوقف على النية أو على  
الاعتقاد بضروره ، ولو جاء الاستقلال من غير أن تكسبه  
الامة رغبة فيه معتقدة حسن نتائجها ، فلا يلبث أن  
يزول

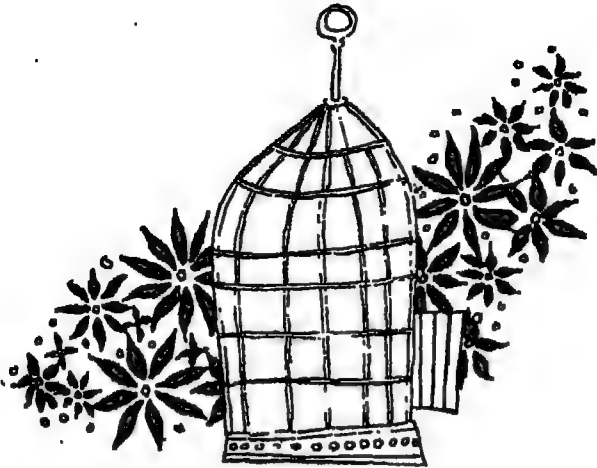
---

(١) جمعية الاتحاد والترقى .. كانت في الاصل منظمة سرية عرفت  
باسم « تركيا الفتاة » وكان هدفها القضاء على استبداد السلطان عبد  
الحميد الثانى ووضع دستور جديد للبلاد وبناء نظام ديمقراطى  
متحاسب للدولة ، وقد تم لهذه الجمعية خلع السلطان عبد الحميد  
واقامة السلطان محمد رشاد مقامه وصندوق الدستور سنة ١٩٠٨ ولكن  
سياستها في توحيد عناصر الدولة الى عنصر تركى واحد قد انتهت  
بالفشل ، وخاصة في البلاد العربية التى فسرت هذه السياسة بأن  
المراد منها القضاء على القومية العربية واللغة العربية الفصحى



الفصل الخامس

# الحرية



## الحرية

لو كنا نعيش بالخبز والماء ، لكنت عيشتنا راضية وفوق الراضية .. ولكن غذاءنا الحقيقي الذى به نحيا ومن اجله نحب الحياة ، ليس هو الشباع البطون الجائعة .. بل هو غذاء طبيعى أيضا كالخبز والماء ، لكنه كان دائما ارفع درجة وأصبح اليوم اعز مطلبا وأغلى ثمنا .. هو ارضاء العقول والقلوب ، وعقولنا وقلوبنا لا ترضى الا بالحرية

انا اذنا طلبنا الحرية لا نطلب بها شيئا كثيرا ، انما نطلب الغذاء الضرورى لحياتنا .. نطلب الا نموت ، ولا يوجد مخلوق اقنع من الذى لا يطلب الا الحياة ووسائل الحياة .. كما انه لا احد اقل كرما من ذلك الذى يرضى على الوجود الحى بأن يستوفى قسطه من الحياة

لست اعجب من الذى يستهين بحياة الرجل فيستعجل عليه القدر المحتوم ، ولكنى اعجب من الذى يبالسف فى الرحمة بالانسان يستحييه شعبان ريان يفهق جيبه بالنقود معطل الحرية ، قد ضرب بين عقله وبين الاشياء والمعانى بحجاب ، فلا يتناولها .. وحيل بين مشاعره وبين موضوعات غذائها فلا تتحرك بل تموت . أعجب من الذى

---

\* الجريدة فى ١٩ من ديسمبر سنة ١٩١٢ العدد ١٧٥٤

يظن الحياة شيئاً والحرية شيئاً آخر ، ولا يريد أن يقتنع بأن الحرية هي المقوم الأول للحياة ولا حياة إلا بالحرية أجل .. أن المرء يحفظ حرية الفكر وحرية المشاعر ، أى يحفظ حريته الطبيعية حتى في غيابة السجن .. يحفظها في كل حال هو عاجبها ما دامت روحه في جسده .. أنه خلق حراً ، حر الإرادة ، حر الاختيار بين الفعل والترك .. حراً في كل شيء حتى في أن يعيش وفي أن يموت . غير أن هذه الحرية الطبيعية لا فائدة منها إذا تعطلت من آثارها ، فالذى سجن ، والذى منع الكلام ، والذى منع الكتابة .. كل أولئك يحفظون حريتهم في نفوسهم ، ولكنهم فقدوا الانتفاع بها أى فقدوا بذلك الحرية المدنية

كذلك الذين تركوا أحراراً كما خلقهم الله .. أحراراً يقولون ويكتبون ما يشاءون ويعملون بالمعروف ما يشتهون ، ولكنهم ليس لهم في إدارة جماعتهم إرادة محترمة ... أولئك لهم الحرية الطبيعية والحرية المدنية ، وهم محرومون من الحرية السياسية

لأنريد بذلك أن نتصدى للتعريفات الاصطلاحية لأنواع الحرية .. ولكن جربنا إليه عرضاً التبدليل على أن الحرية العتلة عن الاستعمال هي في حكم المفقودة ، وأن الحرية الطبيعية الملازمة للإنسان لا يصح أن تسمى حرية ، إلا إذا كان ميسراً له استعمالها .. أرايت أن المرء يرى الطريق بعينه المعصوبتين ، ويأكل ويشرب ويبطش يديه المكتوفتين .. لكن العين المعصوبة واليد الموثوقة كلتاهما في حكم المصدومة ، إنما يكون المرء حراً بمقدار ما لديه من وسائل استعمال هذه الحرية .. وإنما يكون حياً بمقدار ما جاز له من الاستمتاع بالحرية .. فالحرية الناقصة

حياة ناقصة ، وفقدان الحرية هو الموت .. لان الحرية  
هى معنى الحياة

طبعنا على حب الكمال فى حياتنا ، ومعاداة كل  
العوارض التى تعرض لنا فى طريق المثل الاعلى للمعيشة  
المستكملة وسائل الحرية وآثارها .. ولا خيرة لنا فيما  
طبعنا عليه . وسواء كان هذا الشوق الطبيعى الى حياة  
الحرية مصدر سعادة او مصدر شقاء ، فإنه على كل حال  
نار تتأجج بين ضلوع الحى لا تبرد او تصل به الى  
المرغوب

أجل ، ان المثل الاعلى ليس نقطة ثابتة ولا عرضة  
محدود المسافة يمكن بلوغه .. بل كلما بلغناه التقل  
شبهه لامننا الى نقطة أخرى على ابعد مرمى النظر لسنه  
بالغيبه ولا منصرفين عن التثبيث بأدراكه .. بل يسوقنا  
اليه حاجة لا قبل لنا بالصبر عن قضائها ، ولو كلفتنا  
ان نركب متن التعسف

لذلك لا يزال يستفلق علينا فهم الاباطيل القديمة  
التي كانت الفطوسة الجنسية تأخذ بها الكتاب ليسقطوا  
فى هاوية التناقض

يقولون ان بعض الناس خلق للسيدة أبدا ، وبعضهم  
خلق للعبودية أبدا .. ولا يزال نرى هذا الخطأ يتردد فى  
آراء الساسة المستعمرين فى هذا الزمان على صورة  
اقل شناعة وبعبارة اكثر اثلافا مع مدينتنا الحديثة .  
يضعون أصابعهم فى أعينهم اذ تكون النتيجة المنطقية  
النهائية لهذه المقدمات الصادقة هى هذه الجزئية :  
( بعض الانسان لا انسان )

كذبت فلسفتهم ، وصدق الذى يشعر به كل انسان  
منا فى نفسه من الليل الى الرقى فى كل شيء ، والى

الحرية قبل كل شيء .. صدق هذا الاثر الذي نجده في  
طليق الاسر او السجن يوم اطلاقه ، وفي محاولة المعقول  
ان نشط من عقاله

صدق ذلك الالم الذي يجده ذو الفكرة العلمية من  
حبس حريته عن التصريح بها فتظل تجول في نفسه  
ويفكر في نفسه حب ابدائها في صدره يفتاق خاطره ويكد  
ضميره ويحتوى على كل مشاعره ، حتى يفضل الموت  
في الرضاء هذا الحب على الحياة في كتمانه . وكم عالم  
استحب الموت على الحياة في سبيل حبه لحرية اقتناعه  
العلمي .. فمنهم من قتل ، ومنهم من حرق ، ومنهم  
من حبس او عذب .. وجلهم من تلك الامم التي يقولون  
انها خلقت لغير السيادة

فإذا وجدت عبدا لم يؤثر الحرية على العبودية ، ولم  
يطب نفسها بالعق من الرق ، فذلك مثل من أمثلة  
التشويه النادر في بني الانسان وليس قاعدة يصح الاخذ  
بها .. وحسبنا ان نرى الادلة الحسية قائمة على ان  
حفظ الوجود اللبائي المجرد عنه آثار الحرية ليس أصغر  
على نفس الانسان من الاحتفاظ باحترام حريته ، وان  
الذي يراجع ماضي العالم لا يجد امة من الامم المخلوقة  
للعبودية - كما يزعمون - الا قتلت عن حريتها

واذا كان اصدق الملاحظات هي تلك الملاحظات التي  
تقدمها لنا المشاهدة الواقعة ، ومادامت هذه المشاهدات  
تدلنا على ما ذكرنا بعض أمثله ، فالانسان - على الرغم  
من فلسفة الاستعماريين - حر بطبعه ميال الى الحرية  
ميال الى الرقي فيها الى المثل الاعلى ، وأنه لا تفاوت بين  
افراد الانسان الا في تقدير هذا المثل الاعلى وفي سهولة  
الوسائل الموصلة اليه

الحرية طبيعية ، ويميل الناس الى تحصيلها طبيعى بالضرورة ، يشتد ويظهر مع القوة الحيوية ، ويضعف وتخمد آثاره مع الضعف . . فكما أن القوى لا يموت جوعا ، كذلك لا يصبر على الحياة البعيدة عن المشل الأعلى للحرية

ولقد أصبحنا في بلادنا ندرك الحرية بمثلها الاصلى الذى ياتلف مع شرف الإنسان في هذا الزمان ، فقد أصبحنا نمتنع من كل فكرة ، ومن كل قانون ، ومن كل عمل ، يمس « الحرية الشخصية » أو يعطل استعمال « الحرية المدنية » في غير الحدود المتفق عليها في أعلى البلال مدنية ، وأصبحنا كذلك نرى أن الحكومة العقولة الوحيدة المطابقة لشرف الأمة هي حكومة الدستور

ومنا من لا يخشى أن يصرح بأن استقلال الأمة هو الطلبة الكبرى التى يجب أن توجه إليها قوى الشعب بأسره ، فلم يبق علينا للتدرج في مراقى الحرية والتقرب من مثلها الأعلى المتفق عليه بيننا ، إلا الوسائل المنتجة . . فإن ارادة الامر شيء والقدرة عليه شيء آخر

أما القوة فإن طبيعتها تختلف في كل زمان ومكان تبعاً لطبيعة عيشة الأمة واعتقاداتها الدينية وعاداتها وأخلاقها ، ونتيجتها تختلف دائماً باختلاف طبيعة الوسائل التى يمكن استخدامها . . وعندنا أن أول مظهر للقوة هي القوى المعنوية ، قوة الحرية العلمية . . فإن الآراء العلمية ليس من شأنها أن تجد من القوة القاهرة - خصوصاً في الأزمان الحاضرة - معارضة تذكر . فإذا استخدم المتعلمون إرادتهم في اظهار حريتهم العلمية ، كان لهم من ذلك مرانة تنفعهم في تربية اخلاق الشعب وتعويده على حرية الرأي والصبر على الاذى الذى ينتج دائماً عن حرية الرأي ، سواء أكان



ذلك من الحكام ثم من المحكومين ..

ان الذين ييخلون علينا بالتقرب من المثل الاعلى من  
حريتنا التى اتانا الله اياها من فضله ، يجدون من امثلة  
تقصيرنا فى اظهار حرية الراى فى العلم وفى السياسة  
ما يحتاجون به فى ارادتنا على البقاء على ما نحن عليه  
.. فاذا أحسوا من حريتنا فى الآراء العلمية الارادية قوة  
لا يتف امامها استهزاء الجهبلاء ولا غضب الكبراء ولا  
استدراار المنافع الخسيسة ، لا يجدون مندوحة من التخلية  
بيننا وبين طريقنا الى المثل الاعلى لحريتنا

ومن قصر النظر ان يظن ان هذه القوة المعنوية ، قوة  
التمسك بالحرية والتماسك على نصرتها ، غير كافية فى  
تقريبنا من مثلها الاعلى .. اقول واؤكد انها هى وحدها  
كافية فى انالتنا طلبتنا ، فلنرض نفوسنا على الاستمسك  
بها ولننتظر النتيجة

ان تقدمنا فى نيل قسطنا الطبيعى من الحرية يستحيل  
ان يوجد ، ووَ كانت فى ايدينا اكبر معدات القوة الوحشية،  
وكان عددنا اضعاف ما نحن عليه ، اذا كنا لا نتخلص من  
وصمة عبادة الآراء والافكار من غير تمحيص اعتمادا على  
مكانة قائلها .. واذا كنا لا نقطع بأيدينا تلك السلاسل  
التي قيدت عقولنا والالوهام التي افسدت علينا الاستفادة  
من المبادئ الجديدة . اتنا اذا جربنا ان نرفع منار الحرية  
فى الميدان الذى لنا فيه حرية العمل وليس لنا فيه مزاحم  
وشريك ، كان ذلك فاتحة خير لاظهار شىء من القوة  
الضرورية لظهور الحرية وتأييدها

## الحرية اليا سية

وقع أحد فلاسفة اليونان في الرق ، وقساده الى سوق العبيد لبيعوه فيها ، فأخذ ينادى : « من يبغى أن يشتري له سيدا ١٢ » .. فمن القدم أن المفكرين من بنى الإنسان يعتبرون الحرية طبيعية ، وأنها معنى من المعاني اللازمة للنفس لا تنفك عنها مطلقا . ومهما عطلت آثار الحرية فممنع الحر من عمل ما يريد كان كم فوه فلا ينطرق ، وشد وثاقه فلا يبطلش ، وقيدت رجلاه فلا يسعى ، فإنه مع هذا كله لا يزال حرا حائزا جوهر حريته ، ولو نقصه العرض الذي هو الر الحرية . خلقت نفوسنا حسرة ، طبعها الله على الحرية ، فحريتنا هي نحن .. هي ذاتنا ومقوم ذاتنا ، هي معنى أن الإنسان إنسان ، وما حريتنا الا وجودنا ، وما وجودنا الا الحرية

ليس في استطاعة أحد أن يسلب أحدا حريته قبل أن يسلبه روحه ، وليس لامرء أن ينزل عن حريته لغيره ما دام لا حق له أن ينزل عن حياته التي وهبها الله له ، والتي لا يأخذها الا هو

غير أن آثار الحرية قد غلب عليها اسم الحرية ، متعددا بتعدد جهاتها .. فالقدرة الفعلية على العمل والترك ، هي الحرية الشخصية أو هي الحرية المدنية ، وتعريفها أن

---

\* الجريدة في أول مايو سنة ١٩١٢ العدد ١٥٦٣

تعمل ما تشاء بشرط ألا تضر بالغير

وأما الحرية السياسية ، فهي أن يشترك كل فرد في حكومة بلاده اشتراكا تاما كاملا ، وهذا معنى ما نسميه بسلطة الأمة

حريتنا السياسية هي كفيلة الحرية الشخصية ، أي كفيلة لنا في ظهور آثار حريتنا الطبيعية ، فمن الحرص على تمتعنا بآثار تلك الحرية حرية القول والعمل ، إننا نتشبهت بالسعى لنيل حريتنا السياسية التي هي الكل في الكل ، مادامت هي الكفالة الوحيدة التي لنا في المجتمع بفضل الله علينا ونعمة وجودنا وأعز هبة على أنفسنا ، وهي حريتنا

\*\*\*

من المقدمات الشعرية أن نتغنى بأن الحرية لآلاء تأخذ بأبصارنا ومعشوقة جميلة في قيد قلوبنا ، ومعنى عال يسحر عقولنا ، وسعادة اليها مسعانا . . لها محيانا وفيها مماننا . نعم تلك مقدمات شعرية لأن حريتنا أبسط من أن تكون ذلك كله ، وليست محتاجة في ظهورها إلى الشعر والتغنى ، لأن حريتنا هي نحن

يخزي الرجل منا أن يكون فاقد الحرية السياسية أو فاقد الحرية الشخصية ، يخزي أن يكون عبدا لمخلوق أيا كان . . بل يخزي أن يؤثر عنه أنه عبد شيء أو إنسان والناس في ذلك كله سواء . ليس مصدر ذلك الشعور في الإنسان أن كل نفس تعتقد بمجرد الفطرة أن حريتها ليست إلا ماهيتها وأن نقص الحرية - أي نقص آثار الحرية - نقص في الذات وعجز فاضح

يفر من نسبته الرفيع والوضيع على السواء  
إذا كانت حريتنا هي وجودنا ولا معنى للوجود إلا بها ،  
ليس من المفهوم بسهولة عنايتنا بكفيل هذه الحرية ، أى  
بالحرية السياسية ، أى الاشتراك فى إدارة بلادنا وتحقيق  
سلطة الأمة . . أننا لو بدلنا كل جهدنا ووقفنا كل وقتنا  
على نيل هذا الكفيل ، لكننا فى ذلك معذورين

لو كانت مرتبتنا السياسية فى أيدنا لجعلنا نطلب الغاء  
نص المادة « ١٥١ » من قانون العقوبات . . ذلك النص  
الذى هو من بقايا القوانين القديمة التى لم يلبدها إلا روح  
القرون الوسطى ، ولم يثبتها إلا ذلك الخيال الذى مازال  
ينتساب للرءوس وبخامر العقول ، وهو الاعتراف  
بالتقديس لأشخاص الملوك أو لسلطة الحكومات . أن  
هذا النص فسيح يدخل تحته كل انتقاد مهما كانت  
المصلحة العامة هى التى تمليه ، وحب الخير يكتبه  
مسلسلا بقبود الاعتدال ، ومحوطا بحدود الأدب . . أن  
هذا النص يقف فى طريق الانتقاد فيخنقه ، والانتقاد  
أساس حسن الإدارة ، فلا شك فى أن هذا النص يقف فى  
طريق حسن إدارة البلاد

أو كانت حريتنا السياسية فى أيدنا ، لانحناء عليه كما  
انحنى عليه الفرنسيون فاستبعدوه من قانونهم ، مع أنه  
كان معطلا كما قال عنه بعضهم ، أنه خلق ميتا وعاش ميتا  
. . فعسى أن يتعم رجالنا النظر فى هذا النص ليجدوا أن  
استمرار وجوده لا يتفق إلا مع مبدأ الرهبة ، مبدأ  
الحكم القديم . . وأنه لا يتفق مع مبدأ العدل والمنفعة  
اللذين عليهما يسير الحكم الجديد ، بل هو من الموائق  
الكبرى فى الظروف الحاضرة لتقوية الروابط بين أمتنا  
وبين حكومتنا



## حرية الرأي

نعترف بأنه ليس كل الناس يستطيعون أن يدفعوا ثمننا غاليا في حرية الرأي ، بل من السهل على المتأمل في تصرفات الناس أن يجد الامثلة الكافية لاقتناطه بأن كثيرا منهم لا يشتري هذه الحرية الا بالثمن البخس ، ولا يقتنيها الا اذا جاءته مجانا ولم تكلفه في اقتنائها خسارة ولا عناء

بل هو يزهد فيها اذا جاءه من تحت رأسها حرمان من أية شهوة أو فوات لأي زخرف من الزخارف التي هي فوق الكماليات ، كإهتسامة من وزير أو ترحيب من مدبر . . حتى الحرص على طيب خاطر محادث محترم قد يكفى وحده للزهد في حرية الرأي . هذا مقام ليس خاصا بطبقة العوام ولا بطبقة الخواص ، ولكنه مقام الذي هانت عليه نفسه واحتقر ذاته وذبح حياته المعنوية قربانا لأحسن مراتب العيش . . أو الذي ظن أنه يستطيع العيش من غير شخصية ولا قيمة في سوق الرجال

نعترف بوجود هذا الصنف من الناس ، ويوجد صنف آخر أوغل منه في مقام الزهد في حرية الرأي . . هو ذلك الذي لم يكفله ضعفا أنه تنازل عن رأيه أكراما لغيره ، يتخذ

---

\* الجريدة في ١٦ من مايو سنة ١٩١٢ العدد ١٥٧٥

فوق ذلك رأى الغير مذهبا يجادل عنه حتى ينال المكافأة  
للبخسة من ذلك الذى استخدمه واسترقه ، فجعله عبدا  
له أى عبد . . عبدا لا نظير له فى العبيد ، لانه عبد الذات  
وعبد اللسان

مهما كان عدد الزهاد فى حرية الراى ، فان هذه الحرية  
كانت عندنا فى مصر الى آخر عهد اللورد كرومر - وبعده  
بقليل - محترمة ظاهرة الاثر شائعة فى جميع الطبقات ،  
حتى لقد كان يعلم عن بعض موظفى الحكومة أنه ضد  
الاحتلال يصرح برأيه فى المجلس وينقل عنه هذا ، ومع  
ذلك كان له من احترام ولاية الامر لحرية الراى ما كان  
يحميه من النتائج الطبيعية لتصريحاته . . ناهيك بأولئك  
الذين لم يكن لهم وظيفة فى الحكومة يخشون العزل منها  
وراتباً رزقا يخافون قطعه . . أولئك كان لهم من حرية  
الراى ما يجاوز الحدود الوضعية لتلك الحرية

بعد ذلك تقبض صدر الحكومة امام حرية الراى  
والاسراف فيها ، فأرادت حدها بحدود ضيقة ، ولكن  
فى بيئة معينة ووسط محدود . . بعثت قانون المطبوعات  
ليحد (١) من حرية الصحافة وأكثرت من تطبيقه لتخفيف  
الصحفيين ، وشرعت فى تطبيق المادة ( ١٥١ ) عقوبات ،  
لتضع النقد فى حدود أضيق من الحدود الاولى التى  
جرى عليها العرف نحو ثلاثين عاما . وأصدرت قانون  
الاتفاقات الجنائية لتطمئن نفوس من مساورة ذلك  
الكابوس الوهمى الذى من شأنه أن يفسى احلام الكبراء  
والوزراء فى كل زمان من أزمنه انتقال الامم

---

(١) هو القانون الذى صدر سنة ١٨٨١ م فى عهد الخديو محمد  
توليقي وكان له مغل ، وأهمل تطبيقه . ولكن حكومة مصطفى فهمى باشا  
رئيس الوزارة أعادته لتقييد الصحافة والحد من حرية الراى

ونكرر دائما أن هذه القوانين لا تتناول في تطبيقها  
الاجتماعية محدودة وفئة خاصة هي فئة الكتاب ، ولم  
تعرض هذه القوانين للناس في مجالسهم ولا في حرية  
آرائهم التي كانوا يبدونها قبل اليوم صباح مساء .  
ولكننا على هذا نرى في البلد الخوف خيم على النفوس  
في هذه الايام الأخيرة ، حتى لقد رايت من أكثر الناس  
تطرفا من يبيع الآن رأيه بريقه ويمسك عما كان يفيض  
فيه من آرائه لجلسائه في الاحتلال والمحتلين وفي تصرف  
الحكومة الحاضرة والسابقة من غير مبالاة .. بل نجد  
اسباب الزلغى الى الحكام والقادرين في الحكومة سائرة  
الى التقدم مع أطماعنا في الحكومة الثيائية

على أن تثبيت الامة بسلطتها يجعلها تنفض عنها غبار  
اللئل شبيها فشيئا ، ويقل امتدادها بطرائق الزلغى  
ومظاهر الملق للحكام .. اذ المقول أن تكون عناية الناس  
بالغو في اظهار خضوعهم للحكام في هذا الزمن الذي نطالب  
فيه بالدستور ، سائرة على نسبة عكسية مع تقدمها في  
هذا الطلب .. فما الذي جرى حتى تغيرت الحال ؟

اخذت علاقتنا بحكامنا تطيع ثانية بالطابع القديم ..  
وأين أولئك الذين كانوا يقدمون علينا نحن الصحفيين  
فيوسعونا يوما على أننا لا نكرر ونعيد كل يوم في نظرية  
علاقة الحاكم والمحكوم ، وأنا لانبين للناس القدر الذي  
يكفى في اقناعهم بأنهم أحرار في أنفسهم ، أحرار في آرائهم ،  
أحرار في اختيار الطريقة التي يحكمون عليها

هنا أرجع الى ذاكرتي ، فيضحكني ذكر حديث جرى  
بينى وبين أحد كبار موظفي الحكومة الوطنيين ، قال :  
« لماذا لا تكتب ضد تصرفات الحكومة بالشدة اللازمة ؟ »  
قلت : « كفى بالنقد شدة » .. قال : « ولكن الحدة في



ابدائه تزيده شدة على شدة « . قلت : « ان اثر القلم في كرامته ، والحدة تذهب بالكرامة . . ومع ذلك فهل تضع لى نموذجاً في شدة الانتقاد آخذه عنك ؟ » قال : « والله افعل » . فاشفقت على الرجل من الاسترسال في حديثه ، وأعرضت عنه معجبا بحبه لحرية الراى ، وان لم اك لاعجب بفهمه حدود الانتقاد المفيد وتقديره لمنازل الكتابة فى الشدة والضعف . . ذلك نموذج من تلك الروح العامة التى كانت تتجلى على طبقات الأمة ، والتى كانت المثابرة عليها بالمعروف ، والايغال فيها بالرفق ، موصلة حتما الى غرض الأغراض ، وهو تأيد حرية الراى ، وتفكيك عرى القيود التى تقيدنا بماض من الاستبداد ، ما حمدناه ، ولا حنت نفوسنا للدكراه

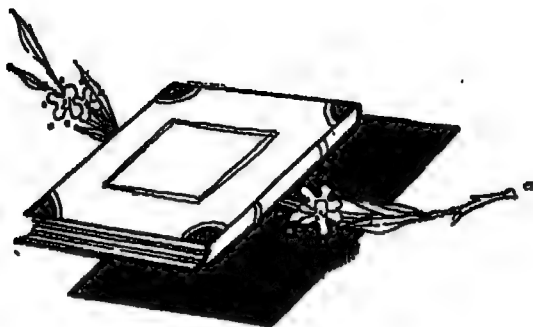
لست نصيرا للحكومة فى حد حرية الراى بهذه الحدود الضيقة . . بل أقول انى لا أجد عملها ينتج أية نتيجة مفيدة للأمة ولا للحكومة ، وأذكر فى هذا المعنى ما كان يؤثر عن لورد كرومر . . اذ كان كلما خوطب فى حد حرية الراى أظهر عدم الرضا عن تلك الفكرة والامتناع منها . مع ان لورد كرومر لم يسكن فى مصر مشجعاً للحرية السياسية ، الا أنه على ظنى كان يرى ان الراى اذا غلغلا فى رعوس اصحابه الأبد لانتفاء نتائج غليانه من منفذ تخف به شدة الغليان ، وذلك المنفذ هو حرية الصحافة ، حرية الراى ، اى حرية القلم واللسان

لست نصيراً للحكومة فى التضييق على حرية الصحافة ، ولكنى اعترف من جهة أخرى بان كثيراً من غير الصحفيين يسبقون الحكومة الى التضييق على انفسهم ، ويعملون كما لو كانت القوانين الصحفية وضعت لهم ، وتناولت الحظر على ابداء آرائهم بحرية متى طلب منهم ذلك

هذا هو الذى نلفت اذهان الناس اليه . . انهم لا يزالون  
بحكم القوانين احرارا فى ابداء جميع آرائهم فى المجالس  
الرسمية ، وغير الرسمية ، وحين يطلب ذلك فى أى مقام  
من مقامات الحكم . أن حرية الرأى محمية بالقوانين  
العامّة فهى لا تكلف صاحبها ثمنا غاليا ، بل لا تكلفه ثمنا  
أصلا

نسوق الكلام الى الذين تجعلهم منزلتهم منّا  
موضوعا لسؤال الحكام أباهم عن الاحوال فى مصر ،  
ودرجة الامّة من الرضا بالحال الحاضر

نسوق اليهم الكلام ونؤكد لهم أن ولاية الامور اعديل  
من أن يمتنعوا من آثار حرية الرأى . وأن قوانين  
البلاد تحمى حرية الرأى ، وأن المرء يجب عليه لذاته ألا  
يداجى فى رأيه ، بل يبيده بحرية وصراحة ولو كلفه  
ذلك ما كلفه ، فكيف به اذا كانت حرية الرأى لا تكلفه  
شيئا مذكورا ؟



الفصل السادس

# المرأة والمجتمع



## محررة المرأة

من الطبقة الممتازة فى كل أمة ، يخص الله أفرادا قلائل بصفات استثنائية ، يكون ظهورها فيهم واضحا جدا ، حتى تكون قريبة من الكمال الوجودى . . أولئك هم القدوة الحسنة لقومهم فيجب أن تفصل صفاتهم وتدرس ملكاتهم ، وتمجد قدرة الله فى أطرانهم ، حتى تصبح القدوة بهم « والسير على سننهم . ومن افضل هؤلاء الافراد الممتازين ، فقيه الوطن والعلم : قاسم بك أمين (١) . نأتى على طرف من وصف ملكاته تبصرة للناس ، وارشادا للشبان الذين يجدون فى أنفسهم ميلا الى الكمال ، وتوجها صحيحا الى خدمة أمتهم ، ولكنهم لا يعرفون أى سبيل يسلكونه لارضاء هذه الروح الطاهرة ، وخدمة أمتهم الاسيفة التى وقف الدهر فى طريق سعادتها يختطف منها خلصة كل هاد من هدايتها فى هذا الطريق

---

\* الجريدة الرسمية العدد ٣٤٣ - ٢٥ ابريل سنة ١٩٠٨  
(١) ولد قاسم أمين بالقاهرة عام ١٨٦٥ م وحصل على ليسانس الحقوق ثم أوفد فى بعثة الى فرنسا لتمام دراسته القانونية . ثم عاد سنة ١٨٨٥ م وتدرج فى مناصب القضاء حتى صار مستشارا بحكمة الاستئناف . وأصدر كتابه « تحرير المرأة » سنة ١٨٩٩ م . ثم كتاب : « المرأة الجديدة » فى السنة التالية ، يدعو الى تعليم المرأة ورفع الحجاب فأثار ثائرة المحافظين . وفى عام ١٩٠٧ م اشترك فى انشاء الجامعة المصرية ، ثم تولى فجأة فى ٢٢ ابريل سنة ١٩٠٨ م وعمره ثلاثة وأربعون عاما

المجهول ، ويعدها الوسيلة لنيل استقلالها وسعادتها  
كان قاسم أمين من اصل كردى ، لان جده امير من  
امراء الاكراد : اخذ ابنه رهينة فى الاستانة ، لخلاف كان  
بين الاكراد وبين الدولة . وكان ذلك الرهينة هو المرحوم  
امين بك والد قاسم . . فجىء به الى مصر فى زمن  
اسماعيل باشا كما يقول العارفون ، ودخل فى الجيش  
المصرى ، حتى رقى الى رتبة اميرالاي ، وتزوج بكريمة  
المرحوم احمد بك خطاب ، اخى ابراهيم باشا خطاب  
فكان اكبر اولادهما المرحوم قاسم أمين

ربى قاسم أمين التربية المعتادة لامثاله فى مدارس الحكومة  
. . وكان ممتازا دائما بحدثة الذكاء والتفرد بهذه الصفة  
بين اقرانه ، فلما اتم دراسته هنا ارسل فى الارسالية  
العلمية الى فرنسا ، فاتم دراسة الحقوق ، ودخل فى  
خدمة الحكومة سنة ١٨٨٥ وكىلا للنائب العام العمومى  
فى محكمة مصر المختلطة ، ثم لم يبق بها عامين ، حتى عين  
مندوبا بقلم قضايا الحكومة بنظارة المالية ، ثم عين بعد  
اشهر رئيسا لنيابة بنى سويف ، ثم لنيابة طنطا ، ثم نائب  
قاض فمستشارا فى الاستئناف



من يلم بهذا التاريخ المختصر لحياة قاسم أمين يجده تاريخا  
عاديا غير مملوء بالعواصف التى تلازم عادة حياة كبار  
الرجال ، فيستفيدون منها قوة وشجاعة ، ويتعلمون من  
تجاربها ما يجعلهم يفوقون غيرهم فى سلامة الحكم  
على الحوادث

وعلى الرغم من ان حياة قاسم أمين لم تكن فيها عواصف  
ظاهرة كما ذكرنا ، فان نفسه كانت بطبيعتها مستعدة الى

ان تتعلم وتكمل من الملاحظة الذاتية والتجارب .. فان قاسم هو الذى قال :

« اقل مراتب العلم ما تعلمه الانسان من الكتب والاساتذة . واعظمها ما تعلمه من تجاربه الشخصية فى الاشياء والناس »

وكان على ذلك يتخذ العالم مدرسة له ، يرقب فيها كل ما يحيط به من الاشياء والحوادث والاخلاق ، واعمال الناس ، عظيمها ودقيقها . ويستقرى العوامل التى دفعت الناس الى القيام بأعمال الخير ، ومقارفة اعمال الشر ، ويأخذ من كل مشاهدة درساً يضمه الى عمله ويجعله قاعدة من قواعد حكمه

كان قاسم هادئاً ظاهره ، مروءة قلبه وعقله بالغيرة على الناس من الوقوع فى الخطأ ، وبالفكرة فى مصير الاديان المختلفة ، وما ستؤدى اليه نتائج التقدم العلمى ، وبماذا تسعد مصر ؟

لم يكن قاسم من الفلاسفة الذين لا يرون فى الحياة الا جهتها المادية كما يفهم من اقوالنا انه يبنى احكامه على الملاحظات المادية او السيكلوجية .. ولكنه كان صوفياً فى اعتقاده ، وكان يهتم جداً بالناحية الادبية للحياة ويقدرها قدرها . وانى ما رايت ان كاتباً كبيراً او حكيماً ملاحظاً ، مال الى تقديس معنى الحب ، واطراء العشق ، بقدر ما كانت نفس قاسم الحساسة الدقيقة الاحساس ، تنبئها ايما كثيرة فى ادراك كنه هذه الحقيقة المجهولة ، حتى صار يعتقد بالهوى العلى ، وانه دليل على شرف النفس ، وتقدمها فى طريق الكمال ، ولا يفهم العشق الا على هذه الطريقة العلى ، وبعد ما دون ذلك تلوثاً فى الاخلاق ، وجموداً فى الطبع ، وجفاء فى الشعور ، وميلاً

واطيا للأخذ بالحياة من جهتها المادية

يفهم الناس بسهولة أن مثل هذا الاعتقاد المصفى ،  
والادراك الخيالى الدقيق ، يصدر من مثل عمر بن أبى  
ربيعه ، ويستبعدون صدوره عن مثل قاسم ، ذلك الرجل  
العالم الذى لا اظن أن الطبيعة قد حجبت نفسها يوما  
عن بصره الحاد ، ينفذه فى أحشائها ، ويقلب فيها بفكرته  
الملتبهة بطنا لظهر ، ليجد فيها غامضا يستجليه ، وسببا  
يبلغه ، واحساسا يحلله . ولكن «قاسم» لم يكن له عادة  
بعض المتأخرين ، عادة الملل من الأفكار القديمة ، عادة  
هجر المؤلف ، والتشبث بجديد يهر به أفكار محدثيه  
أو قارئيه . لم يكن كذلك ، بل كان يعتقد أن حقائق  
المعلومات الانسانية ، قلما تخطو من الخطأ ، كما أن الخطأ  
فى تلك المعلومات قد لا يخاو من الحقيقة . فكان بذلك  
يرى من الواجب أن الانسان يجب عليه أن يصفى الى  
كل قول ، وأن يقرأ كل مذهب . فلا غرابة مع هذا أن  
يضم قاسم الى فلسفته الوضعية ، تلك الأفكار الشعرية  
والاعتقادات الدقيقة ، التى هى أقرب المعلومات الى  
ما وراء المادة ، منها الى المعلومات التى تنتزع من هذا  
العالم الحسى ، عالم الكون والفساد

كان قاسم أمين شديد العناية بتحليل فكرة المسئولية  
عند بنى الانسان ، طويل التفكير فى أمرها الماضى والحاضر ،  
وما ستصير اليه فى المستقبل . قضى فى هذا البحث  
سنين طويلة ، وصل فيها آخر الامر الى فكرة العفو ،  
وأن غفران الذنب والتسامح فى كل خطيئة ، سيكون  
الفرض الأخير الذى يجب أن ترمى اليه التربية الادبية ،  
متى أخذت كمالها الوجردى اللائق ببنى الانسان ،  
وأن أعماله فى القضاء كانت تنم دائما عن هذه الرأفة

التي خالطت قلبه من طول بحثه في المسؤولية . . لانه  
فان يرى ان تقدير المسؤولية تقديرا صحيحا يلزم له  
اعتبارات كثيرة ، ليس في طاقة الانسان ان يقف عليها ،  
كالاخلاق الوراثية ودرجة تاثر الاعصاب بها ، والوسط  
والتربية والاعتقاد ، قوة وضعفا ، وجميع الاحوال  
السيكولوجية ، التي تحيط بنفس المذنب عند ارتكاب  
الذنب

كان قاسم اجتماعية كبقية الاجتماعيين الذين يجعلون  
أدمغتهم محافظ لأراء الغير ، فاذا حضرتهم المناقشة ،  
أو دعتهم الكتابة الى موضوع اجتماعي ، أخذوا يسردون  
عليك محفوظاتهم من المؤلفين السابقين من غير ان يكون  
لعقلهم في الموضوع نصيب من الراى لا . . لم يكن كذلك  
أبدا ، بل كان مفكرا بالاصالة ، نقادا لا يستغنى عن افكار  
الغير ، ولكنه لا يعتنقها الا اذا اعتقدها وصارت له ، بما  
قام في نفسه عليها من الادلة اليقينية

بحث قاسم امين في المسائل الاجتماعية على العموم ،  
فكان رايه فيها انها خاضعة دائما للقوانين الطبيعية ،  
قوانين التحليل والتركيب ، والنمو التدريجى ،  
والانتقال ، وبحث في المسألة الاجتماعية لمصر على  
الخصوص ، فوجد ان حلها متوقف على نظام العائلة  
المصرية ، ووجد ان المرأة هى الاساس الاول لبناء  
العائلة . . فأخذ يفكر كيف يرقى المرأة المصرية ،  
وأطال في ذلك التفكير . وأخذ يجمع قوته  
وعبدته ليفك هذا الانسان الضعيف من سلاسل  
الاسر التي قيدته بها العادة . وليهدم هذا السجن  
العميق الذى حبس الاستبداد في غيابته عقول نصف  
المصريين ، وحجب ذلك الضوء الساطع ، ضوء روح



السيدة المصرية ، عن أن ينتشر بين سمائها الصافية ،  
وأرضها المخصبة ، انتشاراً يضيء للرجال طريق السعادة  
المنزلية ، ويوصلهم من غير عناء إلى ذروة المجد  
والاستقلال

أجل .. ليفك أسر المرأة التي أوقعوها فيه باسم  
الدين ، وما هو من الدين في شيء ، فالدين أسمع مما  
يظنون . فكتب كتاب « تحرير المرأة » ثم قفاه بكتاب  
« المرأة الجديدة » .. كتبهما فهد بهما ركن سجنها وأضاء  
لها ظلمات الحياة المنزلية والزوجية ، وجعلها تحس  
بأنها أم الرجل ، لها احترامه ، وأخته لها عطفه وحنانه ،  
وزوجته ، لها منه محبته لذاتها واعتباره لمركزها ، كما  
هدى لذلك الدين القيم .. ولكن لأكثر الناس لا يعلمون  
كتب فأجاد ولم يخش منتقدا ، ولا لائما ، ولم ينزله  
خوف الانتقاد عن فكرة من أفكاره ، ولا لفظ من  
الفاظه ..

ذلك لأنه يعتقد اعتقاداً كاملاً بصحة ما كتب ، ويفريه  
الانتقاد في حب البلاد ، بالألحاح بالانتقاص الذي وجه  
لشخصه .. بل صيره متيناً في رأيه ، مكيناً في اعتقاده ،  
مجاهراً به في كل يوم ، حتى يوم وفاته ، بل ساعة وفاته ،  
أذ يدعو الله بقلب ملىء بالأخلاص ، ونفس مستضيئة  
بنور الحقيقة ، وقلب يدوب أسفاً على حال الشبابات  
المصريات ، بأن يكن كغيرهن من شبابات الأمم الأخرى ،  
يقدرن العلم ويسعين لاكتسابه .. أخذ قاسم على عهده  
حمل هذا العبء الثقيل ، عبء السعي بالمرأة المصرية  
إلى نظام العائلة ومنظام العائلة إلى الرقى الاجتماعى  
المنشود . وبهذا الأخير إلى استقلال البلاد

فما علمت امرأة يخاطر بنفسه ويقف حياله لأحياء

أمته ، بهذه الشجاعة الفائقة كما فعل قاسم . . بذلك تكون شاباتنا مدينيات لقاسم أمين ، هن أولا وبالذات ، لأنهن يجب أن يعلمن أن ما هن فيه الآن من المساواة بينهن وبين أخوتهن في المعاملة المنزلية ، الفضل فيه راجع الى قاسم أمين . . وأن « قاسم » لا يطلب اليهن أن يبكينه كما فعلن ، ولكنه يطلب اليهن أن يعملن بهديه ، ليؤمنن بالواجب عليهن نحو أمتهن



كان قاسم أمين يربا بنفسه عن أن يكون حاله كحال أولئك الاذكياء المجازفين الذين اذا ضم أحدهم مجلس طرحت فيه فكرة أو مناقشة ، انحدر انحدار السيل يفيض في القول صوابا وخطا من غير تدبر ، كان معانيه والفاظه لا قيمة لها في نظره ، وجود بها اسرافا وبليديا ، من غير أن يفكر في الكلمة متى خرجت من فم قائلها حسبت عليه وعلى بنى الانسان . .

الا ترى أن المولود تلده أمه جميلا أو قبيحا ، خيرا أو شريرا ، فيعد على الانسانية فردا مستحقا للنمو والبقاء ، يزيد به عدد بنى الانسان . . كذلك القول الذي البسه قائله ثوبا من اسمه وشهرته ، والمكتوب الذي صبغه كاتبه بصبغة من البلاغة والتأثير ، كلها مفدودة على المجموع الفكرى لبنى الانسان . فكما يجب على محب الانسانية أن يتحفظ من أن يلد لها اولادا مرضى ، كذلك يجب على الانسان الذكى ألا يلد لها معاننى مريضة أو ناقصة الخلقة ، لم تستكمل أعضائها الحيوية في دماغه ، ولم تنضجها الفكرة أو الروية . . فان مثل هذا الذى يقول جزافا ، انما يجنى على الانسانية ، بالاكتثار من مجموع الافكار المريضة فيها

ومن الاسف أنك تجد هذا العيب في كثير من اذكيائنا الذين يعز على الواحد منهم أن يصمت أو يقول لا أعرف، بل يتخبط عند كل مناسبة فيما لا يعرف من الموضوعات، طلباً للشهرة الكاذبة ، وتمدحاً بأنه قال كيت وكيت ، من غير استعداد سابق ، وتراه ما قال الا سفها

فأما قاسم أمين ، فان كل من عرفه أو سمعه يتكلم ، اول ما يخطر في باله أن «قاسم» لم ينطق الا عن روية وفكرة طويلة سابقة ، شأن الرجل المتحرج في ذمته ، لا ينشر بين الناس الا ما قام له الدليل الواضح على صحته . وأول شاهد على ذلك خطابته الذهبية الأخيرة التي القاها في منزل حسن بك زايد ، فانها درس من الدروس الخالدة، التي ان ينفيها البحث والتدقيق لا عاجلا ولا آجلا .. لان كل ما فيها من الكلمات قد بنى على مبادئ مقررّة ثابتة لا اظن أن العلم يغير ما فيها مهما طال الامد .. فقاسم من هذه الجهة - جهة التدبر الطويل وخلعة الفكرة قبل نشرها على الناس - فريد في الاذكياء ، يجب الاقتداء به والنسج على منواله

\*\*\*

كان قاسم يفكر كثيرا في العلاقة بين الدين والعلم ، وجميع التطورات التي لحقت بكليهما ، وانعم النظر في تاريخ الرقي الديني الذي ابتدأ بالصحف الاولى ، وانتهى بالقرآن . خرج من هذا البحث الطويل بنتيجة لم يشأ ان يعتبرها نتيجة صادقة ، بل اعتبرها خيالا يتطرق اليه الشك من جميع جهاته ، وذلك التخيل هو أنه بنى على ما انتزع من الواقع من أمر الديانات أنها الآن قد كفت عن القتال وسفك الدماء بسبب اختلاف الاعتقاد ، وانقطع أمر الحروب الدينية ، وخلفتها حروب المنفعة

بين امتين اختلفتا فى الدين والجنس ، أو اتحدتا فيهما  
بنى على ذلك أنه يتخيل أن سياىى يوم يغلب فيه  
الحق ، ويكون الدين واحدا . . فلو أن أمرا من الاذكىاء  
الحاذقين بحث فى هذا الامر بحث قاسم ، ولاحظ  
ملاحظته ، لتنبأ هذه النبوءة على صورة اليقين لا على  
صورة التخيل ، كما فعل قاسم الذى كان أشد الناس  
تمسكا وأكثرهم اهتداء بقوله تعالى : « ولا تقف ما ليس  
لك به علم ، أن السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان  
عنه مستولا »؛

قلنا أن أول شىء وجه قاسم عنايته اليه ، هو ترقية  
المرأة المصرية ، اتيانا للاستقلال من بابه ، ودخولا الى  
التقدم من نهجه الواضح الخالى من عقبات المصادفة ،  
ومهاوى سوء البخت ، على الرغم من طائفة المتأخرين  
الذين يكرهون الانتقال من حال الى حال ، ويسكنون الى  
عاداتهم الاستبدادية الاصيلة فى نفوسهم ، لا حرصا على  
الدين كما يقولون ، ولا مدفوعين بدافع الوطنية كما  
يدعون ، ولكن لانهم يجدون من جهلهم عجزا عن مجاراة  
التقدم ، واعتقادا بأن الترقى سيرفع عليهم الشبان  
المتعلمين

ومن أغرب ما يقول امثال هؤلاء ماروى لنا عن كبر  
من الظالمى أنفسهم قال : « أن فكرة تحرير المرأة التى  
قام بنشرها قاسم امين ، انما هى فكرة أنجليزية ، أريد  
بها تسهيل السبل لانجلترا لتضع يدها على مصر »

كبرت كلمة تخرج من فم هذا الذى عد من الذوات ،  
ما أراد بها وجه الله ، ولكنه أراد بها ابعاد يوم يجب أن  
يكون فيه القائل المتأخر مسودا لا سيذا كما هو الآن .

ولكن افكار قاسم ارفع مقاما وامتن ركننا من ان تصل  
اليها مثل هذه الكلمات التى تعودنا أن نسمعها عن كل  
مصلح مخلص

عنى قاسم بترقية المرأة ، وعانى فى هذا السبيل ما علم  
الناس . . ثم رأى قاسم ان الناس قد فطنوا الى قوله ،  
واخذوا بتعاليمه ، وجدوا فى فتح المدارس للبنات ، وان  
نظارة المعارف سمعت نداءه . ترك موضوعه مؤقتا ليعود  
اليه بعد ، واخذ يبني للعلم العالى صرحا لا يبىد فأخذ  
بيد الجامعة المصرية ، والناس يعلمون ما لاقى فى سبيلها  
من الصعوبات ، ويعلمون رأيه فى امرها بخطبته الذهبية  
التي ما زال صداها يتردد الى الآن فى آذانهم ، وما زالت  
معانيها الحقيقية الساحرة تشغل قلوبهم ونفوسهم

وان الذى يدرك معانى قاسم أمين وأغراضه ، وتوجهه  
بكليته الى العلم ، ربما يظن انه ككثير من العلماء ، فاطر  
العلب ، ساكن الاعصاب ، حينما تحضره هزة الغيرة على  
الوطن او على الدين . كلا . . ثم كلا . . لم يكن فقيدنا  
الا فى مقدمة الشبيبة التى اهابا فى الدفاع عن دينه ووطنه ،  
بل ان بينه وبين الباقين بونا بعيدا ، فانهم اذا حضرتهم  
هزة الوطنية انفعلوا ، ولكنه اذا جاءته انفعال وانفجر  
انفعاله على قلمه وعلى لسانه ، فيصيب بهما ما يشاء من  
خصمه

كتب « الدولك داركور » كتابا هجا فيه المصريين ،  
وانحى فيه على دينهم ، وسفه اخلاصهم ، وقبح اخلاقهم  
وعاداتهم ، فانبرى له قاسم أمين ووضع كتابا باللغة  
الفرنسية مكيئا فى معناه ، ساحرا فى أسلوبه ، قويا فى  
تركيبه ، دفع فيه عن الدين الاسلامى التهم التى هو براء  
منها ، وقارن بين حال المرأة المسلمة وحقوقها فى الاسلام ،

وبين حال المرأة الأوروبية المتعدنة ، فكان لهذا الكتاب  
صدى فى عالم الكتابة الأوروبية .. جزى الله « قاسم » عن  
الدين الاسلامى والقومية المصرية اكبر الجزاء

\*\*\*

قابلت قاسم أمين بعد وفاة المرحوم مصطفى كامل  
باشا فقال : « ما أنت وهذه الحركة القائمة ؟ » قلت :  
« على ما قد قرأت » قال : « انهم يقولون انك بالفت فى  
وصف الروح الوطنية وانك تعلق عليها آمالا ، قد لا  
تكون صادقة .. » قلت : « والله ما اخترعت ولا بالفت  
فيما كتبت ، ولكنى رأيت رأى العين شعور التضامن  
يتجلى امامى على ردوس الناس فى الشوارع والطرق ،  
فما فعلت شيئا أكثر من انى أرسلت الالفاظ لتلبس هذا  
المعنى الطاهر ، وسطرتها على صفحات « الجريدة »  
.. وهل أنت تقول انى بالفت مع القائلين ؟ »

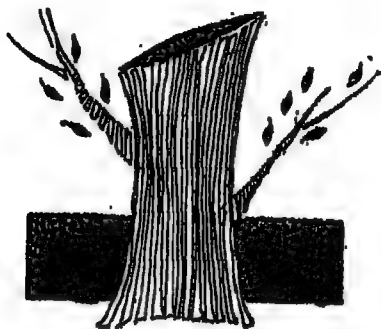
فانبرى يحدثنى عن شعوره قائلا : « انى اهتمك فى  
وصف هذه الحبال الشريفة ، ولو كنت أخفف عليك فى  
الحكم لقلت انك فى نظرى اميل الى التقصير فى هذا  
الموضوع منك الى الغلو أو الاغراق » قال قاسم : « ان  
هذا الشعور الشريف .. هذا الولد الحديث الولادة  
الذى خرج من دم الأمة وأعصابها ، هذا هو الرجاء فى  
المستقبل ، هذا هو الذى يجب عليكم جميعا ان تباركوا  
عليه وتعهدهوه ، حتى يصير شابا ، هنالك تسالون  
الاستقلال »

قال لى قاسم هذا القول ، وهو يتقد وطنية ويخالف  
كثيرا من الكبراء أمثاله فى أنه لم يقصر قوله هذا على  
أصحابه أو أخصاله .. بل أعلم أنه كان يقوله حيث وجد

ووجدت مناسبة ، تحية للشعور الوطنى . فكان قاسم  
بمثل ذلك ، مخالفا لعلماء المدققين الذين لا تهيج اعصابهم  
بملاسة الحوادث السياسية

اذا كان قاسم كما وصفت - وانه لفوق ما اصف بكثير  
- حق لى ان اوجه كل قول الى الشبيبة المصرية ، التي  
ما خططت في كتاباتى عنه حرفا واحدا ، الا لاجل  
الذى لا يعرف منهم قاسم أمين يعرف منه ما نعرف  
نحن ، وليقتدى كل منهم بسيرة قاسم الصالحة ، وليعتنق  
كل عامل منهم انماط قاسم في حسن تفكيره ، ويقلده في  
غيره على بلاده ، ويجاريه في جرائه في الحق . . فاننا  
اذا لم نجرؤ على قول ما نعتقه بشجاعة تامة ، وكان من  
شائنا محاربة سلطة من السلطات ، أو عادة من العادات ،  
أو ان نخشى تدمير طبقة من الطبقات ، فلا يمكن ان ننتظر  
نجاحا ولا استقلالا

فاول الاستقلال استقلال الافراد ، ثم ياتى بعد ذلك  
استقلال المجموع . . عوضنا الله عن قاسم أمين من  
شبيبتنا من يشغلون الفراغ الذى وجد بموته ، ويزيدون



## المرأة مالكة الرجل

إذا غصب الرجل حق المرأة في المساواة وحققها في الانتخاب والتوظيف ، فلقد غصبته حريته ، وأقامت نفسها عليه ملكا لا يرحم عند المقدرة ولا يجامل عند الحاجة ، ولا يعذر عند الزلة .. كان المرأة قد اتخذت من حب الرجل لجمالها سلاحا تنتقم به منه على ما فرط في تقدير المساواة بينها وبينه ، وتقتص منله على فكرته السيئة في اعتبارها موضعا للاستمتاع فقط . فهو يتحكم عليها في المملكة وهي تتحكم عليه في البيت ، هو يظلمها في وضع القوانين ، ولكنها تظلمه بشيء أشق من ذلك بكثير وهو مصادرتها له في احساسه ووجوده الخاص

قلتم لليهود : انزلوا عن حق الحكم ولا تكونوا الا تجارا .. قالوا : ولكننا بالتجارة نملككم ونعرف الامور بينكم ، فكأنكم رضيتم من السيادة بالاسم دون الفعل ، ورضينا منها نحن بالسيادة الفعلية دون الاسمية .. كذلك قلتم للنساء : لستن الا غرضا من أغراض حبنا للزينة والتمتع . قلن لكم : رضينا بهذا القسم بل ، بهذا الصغار ، ولكننا سنكون سيداتكم بما ملكناه من قلوبكم وسنذيقكم عذاب الهجر أحيانا ومرارة التجنى أحيانا . ثم نسخركم كالأناعام

---

\* الجريدة في ٢٦ من نوفمبر سنة ١٩٠٨ العدد ٥٢٤



فى هذه الزينة التى اخترتموها لنا شعارا ، لتعلموا اينما  
السيد واينما السود

صدق اليهود وصدقت السيدات أيضا .. فانك اذا  
مررت بمخازن البضائع وجدتها محشوة بأصناف غالية  
الاثمان كلها لزينة المرأة ، وليس للرجل أمام ذلك نصيب  
كبير . مر « بالفابريقات » الكبيرة ، تجد الآلاف المؤلفة  
من العمال يشتغلون لزينة المرأة دون الرجل .. اطلع  
على دفتر حساب العائله ، لترى فيه كيف أن المرأة  
تصرف فى زينتها أضعاف ما يصرف الرجال فى طعامهم  
وشرابهم وكسوتهم . اطلع على حال زوج مطبخ ، ترى  
المرأة تتدلل وتتجنى وتعذب وترضى ، وتشتترط لرضاها  
عن زوجها أن يشتري لها كذا وكذا . ومن هو موضوع  
ذلك التعذيب ؟ هو الرجل الذى يظن حمقا أنه سيدها  
كما تقول له هى أحيانا : « ياسيدى » ، وما السيد الا  
القاهر ، وما القاهر الا هى .. الا تعطون المرأة حقها فى  
الانتخاب ، وفى كل ما يساويها بالرجل فى هذه الأحوال  
الاعتبارية ، حتى ترضى هى أيضا بأن يساويها الرجل فى  
الحياة الداخلية ، ولكى يخف عنه ظلمها ويقل منه  
انتقامها ؟ ..

تلك هى نظرة من نظرات « تولستوى » الصادقات ،  
نشرناها هنا لقراءنا من الرجال والنساء ونلفت اليها  
فكرتهم على السواء ، لعل فى ذلك عزاء لسيداتنا اللاتي  
هضم الاستبداد حقوقهن . وتقليلا من خيلاء الرجال  
الذين يظنون خطأ أنهم اسياد النساء خارج البيت وفى  
داخله .. الذين يظنون أن بأيديهم قيادتهن فلا يسرحن  
ولا يرحن الا بأرادتهن .. كلام لا مصداق لله من العمل  
اليومى

سيقول بعضهم ان عذاب الرجل في امر يحبه عذاب  
يعذب .. وسيقول آخر ان الرجل ليس مملوكا للمرأة  
لذاتها ، بل هو مملوك لشعوره الخاص بمحبتها ، وانه  
لا يحب المرأة لله كما يقولون ، ولكن لانه يجد فيها مكملا  
لشخصه في الحياة ، فهو يحبه لها يحب ذاته . وسيقول  
ثالث : ان يكون الرجل عبدا في داره وسيدا في الخارج ،  
خير له من ان يسوى المرأة به فيجعلها تشاركه في  
الاعمال السياسية والعمومية لان اشتغال المرأة بتلك  
الاعمال مفسد لها خطر على الوطن ، موقف لدولاب الجد  
في العمل وحسن القيام به ، خلافا لمن يقولون : « ان المرأة  
تهز المهديمينها والعالم بشمالها » !

ليقولوا ما يقولون ، فان الذي يهمنا نحن المصريين من  
الموضوع ليس هو مساواة الرجل والمرأة في حقوق  
الانتخاب والتوظيف ، فان نساءنا بآرك الله لهن ، لم يطلبن  
بعد مثل هذه المطالب المقلقة للراحة العمومية ، كما هو  
الحال في انجلترا .. بل لا يطلبن شيئا يميز علينا منحه  
لهن .. انهن يطلبن سعادتنا الفردية وسعادتنا القومية ،  
يطلبن التربية والتعليم

المرأة لا تجرى في زينتها من غير عنان الا اذا كانت  
لا تعرف في الحياة فضيلة القصد .. الى اذا كانت تؤثر  
الماديات على المعنويات . وذلك اقرب الى المرأة الجاهلة  
منه الى المرأة الفاضلة ، التي قد تتخذ من فضلها خير  
زينة لها ، وتفتبط بنتائج عملها في ذلك الوجود

فاذا كان الامر على رأى تولستوى ، وما اظن رايه الا  
سميحيا جدا من اغلب وجوهه ، اى ان المرأة هي في  
الحقيقة مالكة الرجل وسيدته الحقيقية ، وجب علينا

أن نجتهد في أن تكون ملكاتنا أقل ظلما لنا وأكثر عطفًا  
علينا .. وذلك لا يتم لنا إلا إذا كانت ملكات قلوبنا  
متعلمات طاهرات القلوب فاضلات بكل معنى الكلمة  
ليس ذلك اعتبارا جديدا يضاف الى غيره من  
الاعتبارات الاخرى ، فيجعلنا نهتم أفرادا وجماعات  
بترقية المرأة الى درجة أعلى من مرتبتها الحالية



## المرأة الفاضلة أنفع لأمة من الرجل الفاضل

بين العائلة المصرية بالأمس وبينها اليوم ، شبه واحد ، هو أن كليهما تؤدي إلينا النتيجة الاجتماعية من الزواج ، وهى الاولاد . ولكنهما من حيث سعادة الزوجية ، وما يستتبع ذلك من المنافع الشخصية والعامة ، تقدمان بين أيدينا فروقا ، هى سبب القلق الذى نحن فيه ، ونعمل لتلافيه

كان فى عائلة الأمس بين الرجل والمرأة شبه تام فى الجهل ، شبه تام فى النظر الى الحوادث وتقديرها ، شبه فى فهم السعادة الزوجية . . كان الرجل يجمع فى البيت الواحد بين زوجتين أو ثلاث أو أربع ، وقد يضيف الى عددهن ممن كانوا يسمونهن خطأ ، ملك اليمين من الشابات الرقيقات ، بيضا وسودا ، ومع ذلك كانت الزوجة الاولى راضية بالمعيشة ، وكانت تعتبر غيرة قلبها عليه من الزوجات الاخريات أو الجوارى ، احساسا يجب ان تخفيه بمقدار ما تستطيع

كان يمنحها الوقار غالبا من ان تفتح قلبها بالشكوى

---

\* الجريدة العدد ٢٨٢ لى ١١ يونية سنة ١٩٠٨

اليه ، او الى ذى قرابة منها ، بما تجده من الالم . . كان يرضيها من زوجها أن يعدل بينها وبين غيرها ، في المعاملة والكسوة . . كان يرضيها منه ، احترامه لها وعطفه عليها وعلى اولادها ، وكانت مع هذا تحبه وتحفظ شرفه . لا أدري اذا كانت الزوجة بهذه الحالة سعيدة ، ولا ما اذا كان الزوج على حال تلك الضرائر سعيدا أيضا ، ولكنى أقول ان روايات الوفاق بين الزوج وزوجته ، كانت مستفيضة ، وان حوادث الخلاف بينهما كانت اقل مما يسمع به الآن ، مع قلة الجمع بين زوجتين . ولا أفهم سببا لكثرة الوفاق على تلك الحال ، وقلة الوفاق في حالتنا الراهنة ، الا انه كان يوجد دائما شسبه بين الزوجين في الطبقة الوسطى والعليا تقريبا ، وان الزوجين كانا متفقين في فهم السعادة الزوجية

أما الآن فان الشاب الذى أتم دراسته ، يتطلع الى معايشة زوجة تفهمه ويفهمها ، ولكنه لا يتزوج غالبا الا بابتة جاهلة أو قريبة منها . . انه يفهم السعادة الزوجية على آخر نمط قال به الحكماء الفصريون ، وقرره مشاهير القصصيين . . وهى لا تفهم تلك السعادة الا بمجموع ما يحصل خيالها من روايات الدلالات ، وعجائز الحكايات . انه يرى الجمال فى رشاقة القوام ، وتناسب الاعضاء ، وخفة الحركة ، وطراوة الصوت ، وبريق العينين ، وجاذبية الحديث ، وتفهم هى الجمال بالسمن والبياض

انه يرى حسن الهندام فى بساطة الملابس ، وباهت الالوان ، ومشيتها بعضها مع بعض فى الخلعة الواحدة . وترى هى ان حسن الزى ينحصر فى الاطالس والجفافس ، فمئزر على مئزر ، وجلباب على جلباب ، تحمل جسمها مالا يطبق ، وتنسى ذراعيها من غير قفاز . . انه يرى الزينة فى الحال الطبيعى ، أو القليل المألوف من الكحل .

وترى هى أن الزينة فى الكحل يصبغ فراغ الحجاج ، وفى تزجيج الحواجب على غير الرسم الطبيعى ، كأن الفرض ليس تسويد شعر الحواجب ، ولكنه تسويد الوجه ..

انه يرى دلائل المحبة فى تبادل الحديث على صفاء وحسن رعاية فى المعاملة والمجاملة ، ولا تفهم دلائل المحبة الا بكثرة الهدايا .. انه يرى من الواجب عليه أن يصدقها من غير تردد فى كل ما تقول عن نفسها ، وهى لا تصدقه مطلقا فيما يقول خصوصا فى موضوع انه لن يتزوج بغيرها .. ولا يثبت فى نفسها انه على ما يدعى من الوفاء ، ولا أن الزوجية متى صفت ، تقتضى ابقاء الى آخر الحياة

### \*\*\*

ذلك قليل من الفروق الكثيرة بين اخلاق طرفى العائلة الحديثة فى مصر ، اذا قدر على الشاب المتعلم أن يتزوج بغير المتعلمة .. فاذا ابتليت الفتاة المتعلمة بالزواج من غير المتعلم ، كانت تلك الفروق اظهر اثرا فى تنكيد العيش العائلى الى مايشاء الله ، لان التعليم يوجد بين المتعلمين شباها عظيما ، خصوصا اذا كانت طريقة التعليم واحدة . فتعالوا بنا الى المدارس ، لانجد فيها البنات على نسبة البنين . ويكون من الطبيعى أن كل متعلم لا يستطيع اذا كبر ، أن يتزوج بمتعلمة . وعلى ذلك لا يمكننا أن نحصل السعادة العائلية التى هى قاعدة جميع السعادات الاخرى . فاما أن نرضى بتردد الشبان فى الزواج وكرهم له ، وهذا خطر على الامة المصرية .. خطر من حيث النمو العددي، ومن حيث كمية الرقى الادبى ينقله الوالد المتعلم لولده بحكم الوراثة

انه لا سبيل للافاة هذا الخطر الا باكثر عدد المتعلمات من البنات ، وتقريب معلوماتهن العامة من

معلومات البنين بقدر المستطاع .. فان التى لا تعرف  
الا القراءة والكتابة لاتعلم شيئا ، بل لابد لتكوين ملكة  
الفهم أو انماؤها ، وتقوية الاستعداد لقبول الآداب العالية  
ومبادئ الاخلاق ، من العلوم المختلفة .. كالعلوم التى  
تدرس فى المدارس الثانوية

ان مدارس الراهبات يعلمن من ذلك شيئا قليلا، ولكنى  
اذا نصحت بأن يكون المعلم راهبا أو راهبة لا غرض له  
فى الحياة الا التعليم ، فانى لا أستطيع أن أنصح للفتيات  
المصريات بأن يمضين سننى تعلمن كلها عند الراهبات ،  
لانهن بعد ذلك يتعن الدراسة ، ثم لا يكون بينهن وبين  
أمهاتهن وخالاتهن وبقية أخواتهن المصريات من الشبه  
الشيء الكثير . ولابد للفتاة المصرية المتعلمة من أن تكون  
فى تربيتها ذات طرفين .. طرف متمدن مصفى بمصفاة  
التمدن الحديث تتفق به مع زوجها الشاب المتعلم ، وطرف  
آخر يدخل فى تركيبه مقدار كثير من عادات السيدات  
المصريات تتفق به مع أمها وحمااتها وعائلة زوجها ...  
فخير للفتاة المصرية أن تتعلم ، أو تتم تعليمها فى المدرسة  
« السنية » عند الامكان

نقول تتم تعليمها ولا نعرف اذا كان آباء الفتيات  
يرضون بتركهن فى المدرسة اذا تجاوزن الرابعة عشرة  
من عمرهن ، حتى يدخلن القسم الثانوى من المدرسة  
« السنية » ، فتتربى عقولهن تربية تضمن لهن ارضاء  
مطامع أزواجهن ، أو يفارون عليهن غيرة ليس لها سبب  
جدى ، فيقطعون عليهن طريق سعادتهن ، ويكتفون  
منهن بالمعلومات الابتدائية التى ليس لها فى ملكات الفتاة  
سوى اثر محدود ، اذا نفعا اليوم فى ان تتزوج من شباب  
مهذب ، فانه لن ينفعها غذا حين يوجد لها مثيلات تعلمن  
العلوم الثانوية ، فصرن بذلك أحق منها بسعادة العشرة

مع رجل كفاء ذى عقل كبير وفضائل ومركز سام بين  
الناس

خلوا بين البنات وبين سعادتهن ، ولا تضيقوا عليهن  
متسع الحياة ، ولا تكسروا بأيديكم مستقبلهن ، ولا تعبثوا  
بسعادتهن اتباعا لهوى الفجرة وخوفا مما لا خوف منه  
عليهن ، فان المرأة الفاضلة انفع للامة من الرجل الفاضل  
أضعافا ، بمقدار عدد مائت رزق من الاولاد





## تعليم المرأة أساس الإصلاح الاجتماعي

بالمائلة يجب علينا ان نبتدىء فى اصلاح نظامنا الاجتماعى ، وبتربية المرأة نبدا فى اصلاح العائلة . . . فتربية المرأة ، هى كل ما يجب أن نصرف اليه جميع قوانا الموجهة لاصلاح جمعيتنا المصرية ، كما قال بذلك الرجل الكبير قاسم أمين

غير أن هذا المذهب لا يزال قولاً تلوكه الالسنه ، ولا يصل منه الى القلوب شىء ، لأن الناس انما يقلدون فيه غيرهم ، فيقولونه فى المجلس بمدة قليلة أو كثيرة ، اظهاراً لبيان اهتمامهم باصلاح شئونهم ، ودليلاً على أنهم غير متأخرين فى الفكر عن الطبقة الراقية ، لا أنهم حقيقة مقتنعون تمام الاقتناع بهذه النظرية ، مؤمنون بهذا المذهب ، عاملون على تحقيقه جهد المستطيع . . . ذلك بأن تربية المرأة لم يشرع لها فى بلدنا الى الآن نمط خاص مجمع عليه مفصل ، يخرجها من الاجمال الذى لا يشفى غليل النفس ، الى التفصيل الصريح الذى يأتى البحث فيه اخلا وريداً ، وادعاء ومنعاً ، بالحقيقة البيئة التى لا تبقى

---

✻ الجريدة . العدد ٤١٠ - ١٢ من يولية سنة ١٩٠٨

عذرا لمعتذر

ترى كثيرا من الذين يقولون بتربية المرأة يقولون أيضا بمنعها من التوغل في تعلم العلوم التي يتعلمها الشبان .. ليس هذا يعد ضمنا دعوة الى عدم تربية المرأة ، التي يقرونها في أصلها ؟

ترى كثيرا من الذين يقولون بتحرير المرأة يسوءهم مع ذلك أن يروها تخرج الى النزهة ، أو تعبدل من زينا القديم ، فتضيف اليه أو تنقص منه ، ماجاءت به المودة الجديدة النافذة القانون على الرجال والنساء جميعا ، بحكم حب الجميل ، وعدم الصبر على لبس واحد

يكرهون منها أن تتزين كما تشاء .. والرجال جميعا من شيوخ وشبان أول ما يفكرون فيه صباح اليوم ، هو تنظيف الوجه وحلق اللحية وفرق الشعر أو تسريحه . اذا جرحت أنظارهم مشاهد المرأة على غير ما يحبون ، ضاقت صدورهم عن احتمال تقدم المرأة في الحرية الشخصية ، ورجعوا الى الكتاب الاقدمين ، فجاءوا من أقوالهم بما يهدم حرية المرأة ، تاركين في النقل ما ثبت لها احترام حريتها الشخصية ، كما تحترم حرية الرجل ، آخذين من الشرع ما يثبت تفضيل الرجل عليها في بعض المواطن ، تاركين احترامه لحريتها في جميع تصرفاتها ، ووصية الرجال الا يضاروهن ولا يضيّقوا عليهن . ثم يضيفون الى ذلك القاء مسئولية خروج النساء عن حدود ما يشتهون من جمودهن ، تحت اسم الوقار والحشمة ، مرة على الحكومة ، وأخرى على النظام الاجتماعي ، وتفریط الكتاب في نقد ماسمونه بالتبذل ، وتهاون الاباء والازوج في دفع أزواجهم وبناتهم عما حسبوه التبرج المعيب

يريدون بذلك كله اقامة الحسبة للرجال على النساء ، فلا تلبس الواحدة الا ما يريد غيرها ، ولا تفهم الا ما يريد غيرها ، ولا تنظر للامور الا بعين غيرها ، ولا تسمع الا بأذنه ، ولا تأكل الا ما يشتهي . . اليس ذلك هو الاستعداد بعينه ، المناقض لتحرير المرأة الذي يريدون ؟ اننا اذا تحررنا مصدر هذا الضيق فى نفوس الرجال من حرية النساء ، وقد فهم اياهن بالخروج عن الوقار ، لنجد أن مصدر ذلك فى نفوسهم ، انما هو بقية باقية من اصول الاستبداد القديم ، الذى جعل المرأة الشرقية تظن ان الطبيعة ثم تهبها من الحرية فيما خصت به من الاعمال ، كما وهب الرجل . وهل يتفق حبنا للاستقلال الذاتى ، وانماء ملكة الابداع والاحترام ، مع كراهتنا للاستقلال الذاتى للمرأة ؟ ام هل يتفق ابقاء المرأة على تجردها عن الاستقلال الذاتى ، ومطالبتنا اياها بان تربي لنا رجالا أحرارا وناشئة مستقلة ان العبد لا يربي حرا ، وانما يربي عبدا مثله ، وعلى صورته ، وأن الام لا تعطى ولدها من الاخلاق الا ما لديها . . فاذا كان يجب عليها أن تتبع نفسها نفس الرجل فى كل شيء ، فلاشك انها تكون بذلك رقيقة ليس لها أخلاق ثابتة ، بل اخلاقها دائرة وراء رضى الرجل ، وعدم رضاه افتطلبون ان يكون بنوكم مثلونى الاخلاق ، يلبسون لكل حالة خلقا ، لا هم لهم فى الحياة الا ارضاء أصحاب السلطة عليهم ؟

\*\*\*

ان اقوم المذاهب لتربية البنت ، هو اعدادها من يوم نعومة اظفارها لان تكون قبل كل شيء انسانة حسرة مستقلة ، ذات مبادئ ثابتة واخلاق حسنة ، ثم فتاة

متجمله ، ثم زوجة ودية ، مطيعة تعرف الجمال ، وتفهم الزينة ، وترضى زوجها الحر ، لا زوجها المستبد .  
أما مثالا فى التقوى والطبفة والقناعة ، محبة لأولادها ، مربية إياهم على مبادئها ، معلمة إياهم كيف يحبون بلادهم ويخدمونها ، ويضحون بأموالهم وأوقاتهم وحياتهم فى سبيل أسعادها . ذلك هو المقصود من تربية المرأة ، ولا شك فى أن القراءة والكتابة وحفظ ما تيسر من القرآن ، على ذلك المعلم الذى كل فضله أنه مصحف حى .. كل أولئك لا يمكن بحال أن يخرج من الطفلة الخالية الدهن ، فتاة كاملة شأنها كما وصفنا .. بل لابد لتخريج تلك الفتاة المحبوبة ، والزوج الامينة ، والام القدوة ، من علوم شتى وتعاليم كثيرة ، وأوقات طويلة ، ودروس جدية ، على أسئلة مقتنعين بأهمية ما يحاولون ، فاهمين ماذا يعملون أول درس يجب أن يلقى على الطفلة المصرية مع الألف باء ، هو كونها مخطوقا حرا ، وهبه الله حريته ، وما وهب الله لا يسترده الا الله . ثم يتدرج تعليمها من ذلك الى كل ما يحيط بها من الأعمال ، فالأغراض الانسانية والمعاملات العائلية والاجتماعية ، ويلفت نظرها دائما الى مضار العبودية والتسليم فى الذات ومنافع الحرية والاستقلال ، بما يقع من الامثلة اليومية فى الوسط الذى يحيط بها . تعلم أن تكون امرأة تحسن حديثها ، وتفيض من روحها ، فيض الطبفة والسكينة على من حوالها . تعلم كيف تبدو امام الرجال ، وماذا يقصد بالزينة .. يعدل ذوقها ، ويصفى بمصفاة الامثلة الحية ، والشعر والموسيقى والرسم .. تعلم قواعد الاقتصاد والتدبير المنزلى .. تعلم حسن القياس بما يتيسر من التاريخ خصوصا تاريخ الادب ، تعلم الاشغال اليدوية ، تعلم ما تستطيع لتعلمه سبيلا ،

ولا وقف في تعليمها عند حد من المعلومات . فاذا فرغت من الدراسة ، فألقيت في معترك الحياة ، كانت هي الام المثالية التي ننسدها لابنائنا وورثتنا في هذا العالم

اذا كانت الحرية هي قاعدة التعليم ، فليس لنا ان نقلق الكتاب الاوربيين في الانتقاد المبر على حرية النساء ، ووزينتهن . فان الاوربيات قد شبعن حرية شخصية ، وهن يطالبن الآن بالحرية العامة ، ومزاحمة الرجال في ساحات الانتخاب ومراكز التصرف في شئون سياسة العالم . ولكن نساءنا المصريات ظلمن الى الحرية الشخصية ، وانهن لاحوج الى ان يشجعن في الظهور بمظاهر الاستقلال الذاتي ، حتى تمحي من نفوسهن آثار الاستبداد والاستعباد ، بل يسقن الى ذلك سوقا بالنصائح والاقلام ، لا أن ينحى عليهن باللائمة في حريتهن ، فتستجم أنفسهن ، وتنقبض ماكاتهن ، ويحجمن عن الاخذ بأسباب الحرية الشخصية ، التي وهبها الله لهن ، كما وهبها لكل مخلوق بلا استثناء . ولئن زادت احدهن عن الاخذ بالمعروف من الزينة ، والخروج عن القصد في السر ، فذلك موكل الى أبيها وزوجها وأولياء أمرها ، الدين لهم عليها النصيحة والارشاد والتأديب والتعليم

دعوا النساء يشجعن هواء الحرية التي فقدنها بتقاليد الاستبداد الاولى ، وعلموهن - أن بالدرس ، وان بالعمل - أن لاسبيل للرجال عليهن ، الا ما فرضه الشرع وما كان عليه نساء العرب في صدر الاسلام ، فلا تضاروهن ، ولا تضيقوا عليهن





## الفصل السابع

# في الأهل وتربية النفس



## الحب

يحب الرجل المرأة وتحب المرأة الرجل ، من أول الخليقة الى الآن . وقد حاول المفكرون في كل زمان ومكان أن يقيدوا هذا الحب بضوابط معينة ، وبحشوا عن مصدره الطبيعي في النفوس واجتهدوا في ترتيب درجاته ، ووضعوا له الاسماء المختلفة في كل تطوراته من الميل الى الهيام . . لكن الذي يهمنا انما هو البحث في هذه الظاهرة الطبيعية من حيث نتائجها الظاهرة بالنسبة لجمعيتنا الانسانية

مهما اختلف الباحثون في الحب ، فان الاجماع واقع على ان هذا الشعور الطبيعي ما ركب في الانسان الا لحفظ النوع ، وحاشا الطبيعة ان تتخذ للناس لهوا عقيم النتيجة او زخرفا لا يصح الا للتفاخر ، او مصدرا جديدا للانصراف عن الاعمال النافعة ، وشغلا شاغلا يحتوى حامله فيملك قلبه وعقله وملكانه ويشل قواه الوجودية ، الا عن الهوس بالفكرة في المحبوب ، والهجر والوصال ، والنسأى والقرب . . حاشا الطبيعة ان تقصر امراء على عبادة شعور من المشاعر التي ركبها فيه لمصلحتها لا لمصلحته ، بل حاشا التربية الانسانية ان تجعل من الانسان آلة لا تصلح الا للفرام

على ذلك يتحقق غرض الطبيعة باقل اقدار الحب ، هو



الميل أو الرغبة العادية التي لا يمنع وجودها من وجود الملكات الاخرى بجانبها سليمة ، تؤدي كل منها عملها المنوط بها طبعاً

والحمد لله على أن ذلك هو الواقع في العالم ، وأن أمثال مجنون ليلي نادرون ، بل هم أناس مرضى أصابهم التشوه في أمرجتهم ، فنبهوا في سلوكهم عن سیر الإنسان السليم

لا أنكر أن الحب في درجاته العالية قد يكون ظرفاً لظهور الرجل بما فيه من الاستعداد الكبير لصفات العفاف والنبل والبسالة ، كما تكون ساحة القتال ظرفاً تظهر فيه صفات الإبطال ، وكثيراً ماكان الحب من جانب المرأة مظهراً لفصيلة الاخلاص ، والتضحية غير العادية ، وعلى ذلك لا أرى بأساً من الحب في أرفع مظاهره ، وفوق مايريده الطبيعة .. لا أرى منه بأساً اذا كان في بعض الافراد ، والضرر كل الضرر أن يسكون الحب بمراتبه الشعورية من الشغف والغرام والهيام احساساً عاماً لامة من الامم او قبيل من الناس ، ذلك لان التجارب متفقة مع العقولات البحتة في أن اصل الحب في الإنسان هو حب اللذات ، اى الانانية والاختصاص ، فنكلما زاد الحب زادت معه مظاهر الاثرة والانانية الى حد أن كلا المحبين يريد بكل قواه أن يمحو شخصية محبوبه من الوجود فيطمع في الا ينظر الا بعينه ، ولا يسمع الا بأذنه ، ولا يفكر الا بدمائه ، ولا يطعم الا مايجب هو أن يطعمه ..

ولكن هذا طمع في غير مطعم ، بل جنون وهوس لامحقق له من الطبع ، ولئن تحقق فإنه امانة معنوية بوجه مالكل المحبين ، وليس من مصلحة المجاميع أن تتكرر فيها مثل هذه الصور المريضة المضرة ، بل ليس من المصلحة أن يتألف

مجموع ما من أناس شخصيَّتهم فانية في غيرهم ، أو استقلالهم الذاتي قليل أو معدوم .. بل من مصلحة الجاميع ، أن يكون كل فرد داخل في تأليفها ، مستكملاً شخصيته التامة مستوفياً قسطه من الاستقلال الذاتي الذي هو أصل من أصول الرقي والنجاح

على هذا الاعتبار أكاد أتمنى أن يكون مندى هنا قلم مطبوعات ، أى سلطة غير محدودة كقلم مطبوعات الحكومة ، ليضع كتاب القصص ومعربى القصص تحت المراقبة ، حتى لا يضيفوا إلى التشويه الطبيعى فى الامزجة تشويها آخر صناعياً ، فإن الكاتب قد يكون ضعيف الأعصاب بالاجهاد الشخصى أو بحكم الوراثة .. هائج المجموع العصبى من جراء المعيشة المدنية ، والأسرافات المتنوعة من شرب الكحول ، ومن السهر ، بل من البيئة المدنية المصفاة التى لا تكاد تفيق من اللهو واللعب . قد يكون الكاتب كما وصفنا ، فيجرد من شخصه المريض بطلا لروايته الغرامية

ولاشك فى أن أغلب الفتیان أو الفتيات فى سن معلومة تسحرهم القصة ، فتسرى اليهم العدوى المعنوية من أخلاق أبطال الروايات إذا قراوها فى خلواتهم أو شهدوها تمثلاً على المسارح ، فتكرر فى الجمعية بتلك الصورة المريضة ، ويفشو فى الناس التشوه الذى هو فى الطبيعة قليل المثال .. بذلك يكثر فى الناس أمثال عطيل فى غيرته الطائشة ، ولا يرضى الفتى من خطيبته إلا تضحية ( جوليت ) .. الخ وما اغنى الانسانية وهى أحوج إلى الأعمال المنتجة فى سعادتها ورفاهتها عن اكنار عدد المرضى قليلي العمل كثيرى الهوس والخيالات العقيمة

وكانى بقلم المطبوعات الخيالى هو أيضاً يتفق مع الدكتور

(وردو) في تفضيل الكاتب القروى صحيح العقيل  
صحيح الاعصاب ، يكتب عن بنى آدم ما يراه في عيشته  
الفلاحين من الحب المعتدل البريء الذي يبرره الطبع  
ولا ياباه العمل لمصلحة العمران ، فان الحب من حيث كونه  
من المحرضات على مظالم الامور ، خليق ببعض الافراد  
اولى الاستعداد الخاص لظهار الفضيلة في أعلى مظاهرها ،  
ولكنه بصورته المتقدمة ، ليس نافعا في المجاميع

### الصداقة

وهناك شعور آخر يأتى دائما بجانب الحب ، وهو  
ابرا منه طبعاً واعظم في الوجود اثراً وان كان ليس أقل  
من الحب كلفة .. وذلك هو احساس الصداقة احساساً  
يشتهه كثيراً في أصله وفي مظهره باحساس الحب ولعله  
بعضه ، ولكن نتائجه كلها كانت وتكون سعادة على الفرد ،  
سعداً على الجماعة ، سعاداً على كل الوجود

نحن بنى آدم بطبعنا جماعات وبتطورنا جماعات ،  
فلجمعية فينا وجود حقيقى كوجود الفرد ، لا اعتبارى  
كما يظن بعض المتفلسفين .. جمعيتنا عمل من أعمال  
الطبيعة ، كما ان وجود الفرد عمل من أعمال الطبيعة ،  
لا شبهة فيه . لذلك جربنا في المساضى ونجرب الآن  
وسنجرّب في المستقبل ، انه كلما كان الارتباط بين الجماعة  
قويًا بالمشابهات بين الافراد ، كانت الامسة قادرة على  
حالتها غالبية على أمرها مالكة طريقها الى الترقى تخطو فيه  
خطوات واسعة

وكما تسرب الضعف لروابط الجماعة واتسعت بين  
الافراد دائرة الفروق ، تحللت عزائمهم وخارت قواهم  
ورجعوا القهقرى بغير نظام من ساحة المراحة في الحياة ،

وتبدل غنمهم غرما وأصبحوا اذلاء يؤكلون ولا يأكلون ..  
كذلك سنة الله ، لا حق في الوجود الا للقوى ، ولا قوة الا  
باستكمال العدد الطبيعية وأولها تضافر الجماعة

ان احساس الصداقة هو النواة التى تتكون حولها  
الجماعة اذ الاصل فى الصداقة الثقة المتبادلة بين الصديقين ،  
وشيوع هذا الاصل فى الامة اظهر البشائر لاتساع دائرة  
المشابهات بين الافراد ، وضيق دائرة الفروق اكبر العوامل  
على تأليف الامة من الجماعات القوية القادرة على العمل

ان احساس الصداقة اساس للتفاهم فى المنافع المشتركة ،  
وكلما كان التفاهم بين الافراد سريعا سهلا المنال خالصا  
من الشك ، سهل تأليف الشركات .. فان العمل بدلنا  
على ان المشروعات الخطيرة ، انما تولدت فى دائرة ضيقة  
بين جماعة من الاصدقاء كسبوا بثباتهم وتضامنهم ثقة  
الجماهير ، فنجحت مشروعاتهم . ولست اتخيل انى  
اعرف مشروعا كان الاتفاق على القيام به بين عدوين أو  
بين اثنين فانرى العلاقة أو بين غير صديقين . هذا مالا  
نعلمه الى الآن ، فانه مهما كان اساس المشاريع المفيدة هو  
اتحاد المنفعة ، فان الاتفاق على المنفعة وتقدير نتائجها  
والارتباط بتحصيلها أقرب ما يكون بين صديقين ، بل هو  
عسير أو متعذر بين غير الاصدقاء

اذا كان التضامن القومى يكون فى البيئات المختلفة  
بالتعارف المجرد ، فمن المعقول أن اكمل ما يكون هذا  
التضامن بين الاصدقاء

ادعو الى الصداقة لا من حيث نتائجها المفيدة فيما  
تحاول من الرقى الاجتماعى والاقتصادى والسياسى  
ايضا .. ولكننى أشعر بأن فيها للفرد سعادة لا تعدلها

سعادة . ادعو الى صداقة الرجل بالرجل ، صداقة بمعنى الكلمة لا هذه الصداقة المزورة التي لا تأخر عن أن اسميها طريقة من طرق النصب ، او كذبة من الاكاذيب ، التي يظنها البله سياسة ، وما فيها من رائحة السياسة الا ما يكون بين النقيض والنقيض

ليست الصداقة بشا في الوجه عند المقابلة ، واكثرارا من تحيات « أوحشتنا » و « شرفتنا » و « زارنا الفيث » وليست كذلك عناقا عند اللقاء بعد الغيبة ، ولا اطراء في الوجه أو بظهر الغيب ، امام رجل ينقل المجالس .. ليست الصداقة في ذلك ، ولا في توجه وقتي من توجهات النفس ساعة صفاء لا يلبث أن يمحي اثره متى انفض مجلس اللهو ، او متى ذهبت الفرصة السعيدة لرضي أحد الصاحبين عن الآخر ، أو عن حديثه رضى وقتيا .. انما الصداقة نفس صادقة صحيحة تعرف أن تحب حبا هادئا عميقا ، تعرف أن تكون محلا لثقة الغير ، وتعتقد في ثقة الغير

والصداقة بين النفوس التي تروض نفسها على معرفة الوفاء واثبانه بقدر ماتستطيع .. واني لاشعر أن من يؤتى غيره صداقة ، يؤتيه شيئا كبيرا ونفعا كثيرا . وأن الشعور بالصداقة يوثق حزام الصديق ، ويشد من مزبمته ، ويحبب له البقاء في هذه الحياة ، ولو كانت في عينه موطن المكاره والأرزاء .. فمالنا نترأخى في حقوق الصداقة ، والصداقة ائتلاف : ( المؤمن آلف مألوف ، ولا خير فيمن لا يآلف ولا يؤلف ، وخير الناس أنفعهم للناس )

حدثني صديق ذكي القلب ينتفع بكل الحوادث ، ويعتبر بكل المشاهدات ، قال : ركبت الترام الى جانب السائق

فحضرتنى طائفة من الافكار ترجع كلها الى حال هذا العامل ، وما يعانى من سفر مستمر خلو مما نجد نحن فى اسفارنا من التعزية ببلوغ الغرض ، وما يحمل من مسئولية كبيرة مستمرة . . اذ هو مسئول عن سلامة راكبى ترام ، مسئول عن المصادمات ، مسئول حتى عن الاطفال المعتسفين ، يمر احدهم امام الترام ليغتبط بخفته فى العدو وليهزا بسرعة الكهرباء ، او يتصدى للتعلق به سائرا من على اليمين حيث يتاح له النزول من غير خطر او على الشمال اذا زلقت رجله ، فهو وشيك أن يلقى بين ترامين . .

قال : حادثت السائق حيث لا خطر من محادثته ، وسألته ماذا يجد من عمله ، وهل هو يدوق لذة المسئولية التى يحملها والخدمة التى يؤديها . . فأجاب ببساطة خاصة بالاندية من درجته ومستوى تربيته : أن عمله شاق ممل . . ولكن يخفف عليه هذا الملل كثيرا ، أن يقابله سائق آخر من اصحابه ، فيتبادلان فى هذه الفرصة الضيقة عبارات التحية لابتئانها حتى يبعد كلاهما بحيث لا يسمع صوت الآخر . . تسلية ضئيلة ! ولكنها مع ذلك تثير فى النفس اكبار الصداقة ، وأنها من الشروط الاصلية للحياة

لم ينفرد صاحبنا السائق بالمسئولية ، بل كلنا فى المسئولية سائق ترام يحتمل مسئولية عمله ونتائج أعمال غيره أيضا . . وكلنا معذب لا بد له من تمزية تخفف عليه حمل الحياة . والظاهر أن أكثر التعزيات خيرا وأطولها عمرا وأظهرها طبيعة هى الصداقة

يرد على خاطر فى هذا المقام معنى قلما فات امرء

استعماله : ( لا .. لا .. كلنا أصدقاء ) .. يقولها  
الواحد لصديقه اذا عرض عليه الاشتراك في عمل مالي ،  
او نحو ذلك من الاعمال التى مغبتها عادة الاختلاف على  
المنافع . وتبدل الصفاء كثيرا بين المتعاملين ! .. مهما قيلت  
هذه الجملة في مقام الاعتذار ، ومهما ابتدل استعمالها  
فصار يتناول علاقات غير الاصدقاء في الحقيقة ، الا انها  
مع ذلك لشيوعها بين الناس تعتبر من جانبهم اجماعا على  
ان الصداقة فوق كل المنافع ، واغلى ثمنا من أن يشتري  
بها الرجل كائنا ما كان من الاعراض الانسانية

ماهى حياتنا ان لم تكن في الواقع مجموعة من المشاعر  
المختلفة ؟ .. بها وحدها نحيا ، ومن أجل الجمع بينها  
والحصول على لذتها نتعب وننصب وفيها نحيا ونموت !  
وما اظن مافى الانسان من قوى مادية وعقلية الا خندا  
لاشباع مشاعره النفسية .. الا ترائنا ننظر الى مافى الدنيا  
بنظارات تأخذ الوانها صفاء نفوسنا وكدرها .. فالمغتبط  
بما هو فيه يرى الحياة وردية — كما يقال — ولو كان في  
فقر الانبياء او في غيابات السجون ! .. اما الذى يظن ان  
اسباب الفوز تقطعت به ولازمته خيبة الرجاء في مقاصده  
او في اصدقائه .. او من هو لاي سبب تكدرت مشاعره  
فلا يرى ماهو فيه من نعم الحياة الا جحيما مقيما

انها مشاعرنا النفسية هى التى عليها العمدة في جعلنا  
سعداء او اشقياء ، فليس بعجيب على الانسان ان يجعل  
للصداقة — وهى اظهر المشاعر الانسانية — هذه القيمة ،  
ويفضل الشعور بها والاعتباط بلذتها على كل شئ  
يسرف الناس في استعمال لفظ الصديق مقولا على  
الزملاء والمعارف ، بل ومعارف المعارف .. وما ارادوا  
بذلك امتهان الصداقة وابتدال أمرها ، فانهم منذ طفولة

الانسانية الى الآن ، يشدون الخل الوفي ويقولون بامتناعه بوصف أنه المثل الأعلى للصديق .. ولكنهم يريدون أن يشرفوا طبائع علاقاتهم بعضهم ببعض اذ يعطونها لـون الصداقة أو لفظ الصداقة

ولو سئلت : ما الصديق ؟ .. لما زدت على أنه ذلك الانسان بعينه الذي تشعر في نفسك بالفرح عند لقائه والشوق للجلوس اليه والافاضة له بكل مالدريك ، تعطيه مفتاح عقلك وقلبك آمنا ليرى فيهما كل شيء .. يوحشك بعده ويؤنسك قربه ، وتجد من نفسك باعنا قويا وحاجة لا يسدها الا لقاؤه

ولقد نجد في الامثلة الصديقين يكون كلاهما للآخر على ما وصفنا ، فلا يقع بينهما ، ألا أصبحا لا كالمعارف بل كالاعدام . وهذا صحيح مشاهد ، ولكنه لا يطعن على معنى الصداقة في شيء .. بل هو يدل على ان الصداقة كبقية المشاعر النفسية مختلفة الكم والبقاء باختلاف الاستعداد . فمن الناس من يحب الى الشوق بل الى الهيام بل الى الموت . ومنهم من يحب حبا لا يتعدى المتعارف في القدر ، ولا يتعدى اياما أو أسابيع في البقاء

ومهما كان من الصعب التفريق التام بين عاطفة الصداقة وعاطفة الحب تفريقا منطقيا ووضعيا ، الا اننا مع ذلك نشعر في نفوسنا بتخالف بين الاحساسين وتباين في الكيف بين موضوعيهما .. فالنفس التي لا يمكنها استعدادها الا من السير في الحياة على مقتضى المصادفة الصرفة ، تتنقل في صداقتها كما تتنقل في أذواق المودة . قل أن ننعيم بهذه الصداقة وان كان من الصعب علينا أن نظن أنه توجد نفس لم تلد لذة الصداقة قليلا أو كثيرا تبعا لمبادئ التربية وفطرة الاستعداد



ما اشمل الرضا للنفس ، تجلس الى نفس صديقة  
• جلوسا ليس للتكلف فى الاوضاع المادية ولا المشاعر المعنوية  
فيه اثر . . روحان اتفقتا فى المشاعر ، وتم بينهما التفاهم  
فى كثير من امهات المبادئ العلمية والكليات العقلية . . لذة  
يعرفها الذى يعرف لذة الاحلام ، فكثيرا ما تجرد النفس  
من ذاتها فى العزلة خيالا تفضى اليه بما فيها وتبدى له  
ما خفى فى طبقات اعماقها من المقاصد ، وما رسب فيها من  
الالام . فاذا وفقت الى الصديق الموافق كانت هذه المفاجأة  
الحلمية اللذيذة اشهى متاعا واغوى لذة من لذة الهواجس  
الفردية ومسارح الاحلام

وما الصداقة بقاصرة فى آثارها على هذه اللذة ، لذة  
الحديث العذب والبعد مسوقة عن عذاب الحياة اليومية  
واثقال التكلف فى اوضاع الاعمال . . بل كثيرا ما كان  
صديقك مرآتك ترى فيها عيوبك وفضائلك جميعا ، بل  
طالما كانت الصداقة وتشيع الاصدقاء مصدرا للتفوق  
والنبوغ . نفعت الصداقة الروح بتخايمصها من سامة  
الوحدة والم الوحشة ، ولكنها نفعت العلم والادب ايضا  
فى كثير من الاحيان

احساس تلك هى الحاجة اليه ، من حقه ان يتعهد امره  
فى النفس لينمو فيها ، فلا يغيرك لصديقك خطأ وقع فيه ،  
فيما الكمال بمدرك فى هذا العالم بل يجب ان تكون معاملة  
الصديقين مبنية على حسن الاعتقاد وقاعدة التسامح



## التفاضل بالخير

أف من هذه الحال .. ما أصبر المتفائلين ، كأنهم عما يحيط بهم جاهلون .. كأننا هم يظنون أن رقى البلاد تكفى فيه الامانى المجردة ، أو أنه نتيجة من نتائج المصادفة ، لا نتيجة لازمة لمقدمات عملية من أنواع شتى .. يظنون متفائلين بالخير ، منتظرين أنواع الرقى تدخل عليهم من الابواب كالباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو بباله يعترفون بأن الحال الاخلاقية عندنا فى اضطراب شديد ، بل فى انحطاط مستمر ، لا مقطوع ولا ممنوع .. يعترفون بأن الروابط العائلية بين افراد العائلة الواحدة تتراخى وتوشك أن تنحل .. يعترفون أن الروابط الاجتماعية بين الصديقين وبين الشريكين وبين الجارين وبين المصريين ، قد انقلبت فى موضوعها وفى لونها .. فموضوعها الشر لا الخير ، والمفسدة لا المصلحة ، ولونها الملق والنفاق .. يعترفون بأن حكمانا كانهم اغراب عنا وهم أبناؤنا الاعزاء .. همهم الخروج من المسؤولية للاحتمال المسؤولية ، ويدفع الضرر عن أنفسهم لا جلب المنفعة لنا يعترفون بأن الحكومة فى شكلها الحاضر كأنما هى لمصلحة الحكام لا لمصلحة المحكومين ، يعترفون بأن التعليم الذى تقوم به الحكومة بأموالنا لم يخرج لنا جيلا يقوم

---

\* الجريدة فى اول فبراير سنة ١٩١١ العدد ١٨١١

من اعوجاجنا ويصلح ما افسده الاستبداد من اخلاقنا .. ويفتش عن مواطن الضعف في جمعيتنا فيقويه، يحمل همنا ويكسب ثقتنا ، فيجعل من مصر وطننا عزيز الجانب بارا بابنائنا ، سائرا الى الامام لا راجعا الى الوراء

يعترفون بأن ابناءنا المتعلمين نحن نطعمهم ونحترمهم وهم في مقابل ذلك يدفعون لنا وعودا بانهم عاملون على خيرنا ، ولكننا مع ذلك لانجد منهم امرا فضل الاستقالة من وظيفته على أن يوقع امرا يقول هو عنه في مجالسه أنه ضار بالبلاد ، فكاننا من يوم المرحوم محمد شريف باشا ننزل في درجات التأخر في الوطنية ، بدل أن نرقى على درجات التقدم بفضل هذا الجيل الجديد المتعلم

يعترفون بذلك كله ، ولكنهم مع ذلك على تفاؤلهم عاكفون .. ينكرون الحس ، ينكرون بأفواههم ما تعترف به ضمائرهم .. بل هم يعترفون بحالنا السيئ وهم صادقون . ثم يزين لهم مذهب التفاؤل اننا على الرغم من ذلك كله سائرون الى الامام ، فما أصبرهم على التناقض في افكارهم واحكامهم .. ألا ساء ما يحكمون

كذلك يقول المتطهرون عن المتفائلين ..

أما المتفائلون فانهم على غير ما يقول المتطهرون يقدرّون الحال تقديرا لا تشوبه الحدة ولا تباليغ فيه العجلة في النظر . يرون حقيقة أن الروابط الاجتماعية تتفكك شيئا فشيئا، وأن عاداتنا واخلاقنا ، بل مشيختنا القومية جميعها ، قد قل فيها التجانس وكثر فيها التضاد والتصادم . يرون حقيقة أن قوتنا في بلادنا تتضاءل مع الزمان ، حتى أن وزارتنا التي هي مظهر القدرة الاهلية في مصر ، لا تشبه وزارات شريف ورياض ونوبار من حيث كونها تملك شيئا من السلطة تستخدمه لمصلحتنا

يرون كل ذلك ، ولكنهم يرون معه ان هذا الاضطراب دليل على الانتقال .. ومن المستحيل عندهم ان يكون الانتقال الى حال اقبح من الحال الحاضرة ، بل الانتقال صائر الى حالة احسن من هذه الحال .. لان مشخصاتنا القديمة مع انها كانت متجانسة ومتماسكة ، ولكنها في الحقيقة كانت مظهرا لطبائع الاستبداد القديم الطويل ، فاضطرابها وتغيرها وانعدام الاستبداد على صورته الاولى ، سبب قوى يحمل على الاعتقاد بانها بعد زمان قريب او بعيد ، يتم انتقالها من الحال التعيسة ، حال طبائع الاستبداد الى الحال الحسنى ، حال طبائع الحرية

وهناك يمكننا ان ننادى ان مصر العجوز قد صارت مصر الفتاة ، وان مصر الحكومة صارت مصر الحاكمة .. وما هؤلاء المتطرون الا ضيقو الصدر قليلو الصبر .. بتطرون من الخير ومن الشر على السواء . الا انما طائرهم عند الله ، ولكن اكثرهم لا يعلمون

وعندنا ان التطير او التشاؤم بمعناه الجديد في لغتنا - اى باعتباره مذهباً من المذاهب - يطبقه أصحابه بطريقة مطردة ، بمعنى ان هذا العالم شر ، وأنه صائر الى شر مما هو فيه .. بهذا الاعتبار نراه مذهباً فاسداً لا يؤكد الطبع موجهه .. بل لا مصلحة لاحد في العالم منه ، لانه يهدم كل سعادة من السعادات الشخصية او العامة . بل يسمى الامل الصحيح الذى هو اصل لحب العيش .. اصل للعمل في الحياة

انما هو يدل على ان أصحابه لا ينظرون الى هذا العالم من جهة واحدة ، ولا يكلفون انفسهم النظر اليه في مجموعه اى من جميع جهاته . وعلى ظن ان الذى حدا بهم الى هذا المذهب ، انهم يرون ما يسمونه الشر يتغلب على ما يسمونه

الخير .. يرون الشرير يفتك بالرجل الخير ويقدّر عليه ..  
يرون الامة الطامعة تأكل الامة القانعة ، ولا مخلص للثانية  
من الاولى في كثير من الاحيان

يرون ذلك فيخدعهم هذا النظر السطحي ، ويحبون  
ان تفكر الطبيعة بعقولهم او ان تستشيرهم قبل ان تمضي  
أمرا من الامور . ونسوا ان الطبيعة تسير على نظام كامل  
ما وصلت عقولنا الى معرفة كنهه ، انما هي تسير في  
طريقها جاهلة قواعدنا التي ما كفانا ان نحكم بصحتها  
متعسفين ، بل اردنا ان يكون ما وضعناه ملزما لهذا الكون  
العظيم الذي يكاد لا يحس بنا ، ونحن بعض انواع  
المخلوقات ، ندب على ظهر أحد أجهامه الصغرى التي  
لا عدد لها ..

تباركت اللهم ! .. انه لا يقع في هذا العالم الا ما اردت  
انت من غير التفات الى ما يريده المتطرون

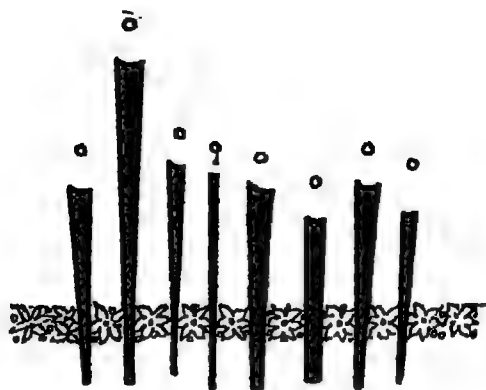
\*\*\*

وعندنا ان فساد هذا المذهب من حيث هو مذهب ،  
لا يمنعنا من تقدير النتائج اللازمة للمقدمات التي نعرفها  
بالعلم والتجربة ، كما لا يمنعنا من الاعتراف بأن ما هو  
واقع في بلدنا هذا من الفساد في الخلق او في النظم ، موجب  
للأسف ، موجب للتغيير .. ولكنه غير موجب في أية حال  
من الاحوال الى هذا اليأس غير المفهوم ، فان الذي  
يئس من صلاحنا كالذي يحارب وسائل الإصلاح ..

الا ان كل عمل من الاعمال محتاج بالبداية لمرمى يقع  
ويتم فيه .. واذا كان اصلاح الفرد الواحد بالتربية والتعليم  
ليصير عاملا منتجا ، محتاجا لعشر أو عشرين أو عشرات  
من السنين ، فمن المعقول أن اصلاح الامة التي أفسد  
الاستبداد عليها كثيرا من حالها لا يكون الا في أكثر من ذلك ..

وان هذا الاضطراب الذى نراه فى كل بيئة من البيئات ،  
 بل فى اخلاق الفرد الواحد ، انما هو بشير الانتقال من حال  
 عتيقة جامدة الى حال خير منها . . وان القانون الذى  
 تسير عليه الظواهر المادية هو بعينه القانون الذى تسير  
 عليه الظواهر الطبيعية المعنوية ، كالاخلاقية والاجتماعية  
 والسياسية

ولاشك فى أن المادة مند انتقالها من حال الى حال  
 اخرى يحصل اضطراب فى كتلتها وفساد فى صورتها . .  
 كذلك الأمة عندما تتحرك للانتقال من الاستبداد الى  
 الحرية ، ومن الجهل الى العلم ، ومن الجمود الى التقدم ،  
 يحصل فيها مثل هذا الاضطراب الذى يجب أن نعتبره  
 سعدا ولا نتغير به ، بل هو فال حسن على الخير والصلاح



## الرأياء

أرايت الذى يقول رأيه فى مسألة بعينها ، ولا يلبث أن يغيره من غير سبب الا شغفه بارضاء عظيم ينتظر نفعه ، وبخشى غضبه ، أو اتقاء أن يعلن عنه انه غير محب لوطنه ، لمجرد حريرته فى القول ، أو تحاشيا من أن يوصف عند العامة بقالة اللدوق ، ومجانبة قواعد اللطف البادية . وبالحملة نعى ذلك الذى يتخذ رأيه قميصا وقتيا يلبسه كلما كان متفقاً مع « المودة » ويخلعه متى جاءت « مودة » جديدة ، يكره معها ليس ذلك القميص القديم

لست أنتزع من الخيال صورة هذا الذى أصفه ، كما يصنع الشعراء ، ولكنى ناقل من الطبيعة صورة قدشاعت فى الناس شيوعا لا اظن السكوت على محاربتها الا ضربا من السكوت عن الحق ، والسكوت عن الحق شيطان آخرس نرى احدهم نصيرا لتحرير المرأة عند اشياح قاسم أمين ، نصيرا لحبس المرأة فى بيتها من يوم دخولها الى يوم موته ، اذا ضمه مجلس ذواتنا الاقدمين ، أو اجتمع برفقة من الدين ينتسبون الى علوم الدين . يقول فى حضرة الشبان المتعلمين ما لتعليم المرأة وعفافها ، وأى علاقة بين سفورها وصونها ، وكيف يحرمون ما حلل الله للنساء من الزينة ،

---

❀ الجريدة العدد ٥٢ فى اول نوفمبر سنة ١٩٠٨

وما التبرج الا معنى اضافى يحدده العرف ، فيختلف باختلاف الزمان والمكان ، وطبيعة التمدن ودرجته

يقول امامك ذلك بحدة مذهشة ، لا تظن معها الا انه اكثر غيرة على المرأة من قاسم ، واحرص على نشر مذهبه من فتاة تعلمت في نيويورك ، او في كوبنهاجن . . فاذا ضمه مجلس الشيوخ المحافظين ، قال امرؤ بالله من هذه الفتنة القائمة ، ما سمعنا حين كان الناس ناسا ، ان المرأة يحل لها اللهو بالآلات الطرب وهو محرم شرعا ، او ان تبرز لغير محرم شرعا ، او ان تتعلم ما يزيد قدره على شعارها ، وهو المفزل ، او ان تقرأ علوم الافرنج واقاصيص الغرام ، كما يقول طبقة الشباب الحمقى الذين لا يعنيه امر الدين ، ولا يفكرون حقيقة في امر الوطن . . بل كل رغباتهم ان يلاقوا من الفتيات الاوربيات ، حتى ينتهى الامر - والعياذ بالله - الى شهودهن الملاعب والمراقص !

مثل هذا المرائى بكل معنى الكلمة ، يكون في الحاشية قائلا بوجوب فناء الامة في شخص صاحب السلطة . . وعند المستشارين واصفا لكتاب الجرائد بالمجانين . فاذا قابل واحدا من أعضاء حزب الامة ، قال بشخصية الامة ، وانها لا تقوم لها قائمة الا اذا اقنعت السلطين بوجوب الاعتراف بشخصيتها وبانها الكل في الكل . .

مثل هذا مع الاباحيين اباحى ، ومع الورعين المتحرجين هو ابن عباس بعينه . . وما دينه الا العمل بعموم المثل السائر على اطلاقه « شرط المرافقة الموافقة » : موافقة تعميسة ، ليست مسببة عن احساس المحبة ، ولا شعور الجاذبية والانعطاف ، ولا هى مسببة عن الاقتناع برأى الغير ، ولكنها مسببة عن استهانة المرء بنفسه ، والنزول عن شخصيته ، لينال من وراء ذلك كرامة . . وهيئات



ان يكون ان يهين نفسه كرامة على الناس

\*\*\*

هذه الرذيلة ، رذيلة الرياء ، يستخدمها بعض الناس ، وسيلة للنجاح في الحياة . وهى حقيقة وسيلة نافعة في البلاد الاستبدادية التى يتوقف نجاح الفرد فيها - مهما كان كفؤا - على رضا السلطان واعوانه ، وانه لا شئ يرضى السلطان الا العبادة . وما الرياء الا ضرب من ضروب تلك العبادة ، فالذى يرضى بأن يبيع نفسه عبدا ليشترى بثمنها قوتا يعيش به ، استبغذ عليه جدا ان يكون حافظا للصورة التى اخقه الله عايتها : صورة الانانية والشخصية ، صورة الحرية . وما مثل هذا النجاح بريائه الا كمثل الذى ينجح في الحصول على الثروة من طريق السرقة . . فبنست الوسيلة ، وبُنست الغاية

اما في البلاد التى انتشرت فيها الحرية الشخصية ، وصار كل فرد آمنا على فوائده عمله من تعدى السلطان واعوانه ، وحصل كل امرئ على النتيجة المناسبة لكفاءته . . في مثل هذه البلاد يكون الرياء وسيلة عقيمة في الغالب ، بل يكون ذلك الرياء مسببة للحرية الشخصية ، لان بنى آدم لم يجنحوا الى هذه الرذيلة الا ليدفعوا عن انفسهم بطش القاهر وتعديه عليهم ، فاذا امنوا ذلك البطش والتعدي ، كان المراءوق منهم ، كمن ياتى الرياء حبا في الرياء ، لا وسيلة للنجاة

قال أرسطو : « خلق بعض الناس ليكون حاكما ، وخلق بعض الناس ليكون محكوما » . ولكننا نظنه اخذ هذه القاعدة من ملاحظته الشخصية لاخلاق قومه واخلاق الاسيويين جيرانهم . وهذه الملاحظة ، لا تكفى وحدها لتقرير

قاعدة عامة ، مثل هذه القاعدة . لذلك نقول ان الله فطر  
الناس على فطرة واحدة ، او متقاربة الفروق جدا ، بحيث  
لا يترتب على التفاضل بينهما احكام متخالفة ، وانهم  
جميعا قد فطروا على الحرية الشخصية والانانية .. فمن  
اين لهم اذن رذيلة الرياء ؟

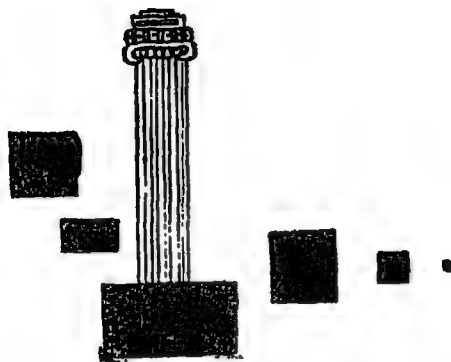


الرياء مرض من امراض النفس .. اى ضعف فيها  
يجعلها لا تثق بان لها وجودا مستقلا ، يهولها امر مستقبلها  
الدينوى ، يوحشها الا تعتمد فى حياتها على نفوس كثيرة ،  
تتخذها اربابا لها وحماة لبقائها .. يخيفها ان يبيت زيد  
غضبان منها ، او عمرو حاسدا لها  
ذلك المرض اذا لم يعالج بالتربية ، تتضاعف امراضه  
شيئا فشيئا ، حتى تموت فى النفس خاصة الدائمة ، خاصة  
الشخصية ، خاصة ان يقول الانسان «أنا» تلك الخاصة  
التي هى ضرورية لسلامته ، لازمة لان تجعل منه ذاتا تامة ،  
صالحة للدخول فى تكوين امة سليمة قوية ، حقيقة بالحرية  
والاستقلال

متى انعدمت هذه الخاصة ، خاصة الشخصية فى رجل  
وصارت ذاته تتراوح بين الذوات الاخرى ، يسلم فى رأيه  
من غير اقتناع لارضائها ، ويسلم فى ماله لارضائها ، ويسلم  
فى مصلحته لارضائها ، ويتهاون فى مصلحة قومه ووطنه  
لارضائها ، فذلك انسان قد مات ، وانقطع وجوده ، واصبح  
من المحق ان يعد على أمته فردا ، يوم الاحصاء .. بل هو  
أضر على الامة من الميت ، لان الميت تموت معه امراضه ،  
فلا تصل بعدواها الى غيره .. ولكن بقاء هذا المريض ، ينقل  
داعه الى أبنائه وازواجه وخدمه ومن لهم به اتصال من

النفوس البريئة التى وضعها سوء الطالع تحت عنايته أو  
رعايته

قالوا فى المثل السائر عن السن العوام « اعوذ بالله من  
قولة (أنا) » هذا المثل باعتباره مقيدا بقيود عدم الخروج  
فى الشخصية الى حد أطراء النفس ، والتبجح بالافتخار  
بأعمالها ، الى هذا الحد هو مثل حسن ، منطبق على فضيلة  
التواضع ، وفضيلة الرفعة جميعا . أما اذا خرج معنى  
هذا المثل عن ذلك الحد ، الى درجة ان الانسان يجب ان  
يميت فى نفسه الشخصية ، فى موقف غير موقف الخشوع  
الى الله الاكبر ، كان هذا المثل المنتشر مرضا هو ايضا يجب  
استئصاله ومحوه من حواظ اللاحين  
علاج الرباى فى الصغر التربة الحرة ، وفى الكبر الموعظة  
الحسنة ، وابلغ ما تكون الموعظة ، الاعراض عن المرائى ،  
وجعله يلمس بيده نتائج رباؤه السيئة



## الرجل السعيد

لم تك بى حاجة الى مصباح ديوجين لايبحث عن الرجل  
الطيب ، ولكن بنا حاجة الى نور الأرض والسماء لتتعرف  
على الرجل السعيد  
إذا كانت السعادة في أفراد الامم البادية قليلى الحاجة  
والهموم ، يلمع نورها في عيونهم الجميلة السليمة من اذى  
الاجهاد ، ويتفرق ماؤها في جباههم الواضحة ، وتنم خفة  
حركاتهم عن قلوب خفيفة من أوزار الحياة ونفوس طابت  
عن كثير من عرض الدنيا وشره المدنية ، وضيت من مزايا  
الحياة بالحرية . ونعم الحال تتقلب النفس على هواها  
في مراتب العزة ، وتأخذ من العيش بنصيب صفا من كدر  
الاحقاد وغصص المزاحمة المستمرة وخلا من الهموم العامة  
لاهل الحاضرة ، الا مما كان من غارة يقتضيها العيش أو  
لقاء عدو للدفاع عن الوطن  
وكلاهما قد يزول همه بانقضائه ، لا كاهل المدينة  
سلمهم حرب وحربهم حرب . . فهم في السلم من خوف  
الحرب في حرب شعواء ، أدهى وأمر من الرمي والطعن  
والضرب . وهم من خوف الفقر ومن المزاحمة على حاجات  
الحياة وكمالياتها في حرب ، وهم من ثروتهم العلمية  
والفنية والمالية في فتنة مستطيرة الشرر ، تقلق المليء

---

\* الجريدة في ١١ من يناير سنة ١٩١٤ العدد ٢٠٧٧

والخالى ، وتكد ضمير العظيم والحقير على السواء  
إذا كانت السعادة فى أفراد الامم البادية ، فخلق بها  
الا تكون فى مدنيتنا . بعيد على السعادة ، وهى أمنية  
الحى ، رضاء النفس وطمانينة القلب ونور العين ، ان نلقاها  
فى حماة الشهوات التى تزحف فيها النفوس وتتخبط فى  
ملاطمة انقوى والملكات . . لا الذين صفت قلوبهم وتعرفوا  
الحياة بالعقل وبالمثل ، فعرفوها عن قرب . يضربون فيها  
لاشخاصهم هونا ويعملون لسعادة غيرهم جما ، ويكبر فى  
صدورهم حب الانسانية ، وتنمو فى نفوسهم طبائع الخير  
رضى الله عنهم ورضوا عن انفسهم ، وحققوا سعادتهم  
فى هذه الدار . . أولئك هم السعداء

ابن الرجل السعيد الراضى بحاله فى هذه الحياة الدنيا؟  
وقلب المرء بما اودع من الهموم الحقيرة والجليلة ، لا يهدأ  
روعه ولا يسكن هياجه الا اذا اصاب اغراضه ووصل  
آماله وبلغ آمانيه وما هو يباغها . . وكلما انقضى منها  
سبب جاءه سبب جديد . . انه لا نهاية لاغراضه ونهاية  
حياته واقعة لاشبهة فيها وان حاول هو أن يؤجل هذا  
الواقع . . وانه على ذلك ينفطر قلبه حشرات على مايفوته  
وتلدوب نفسه شعاعا على فقد محبوب . . ان اصابه الخبر  
يزهيه فيركب متن الكبرياء وهو يركوبها شقى ، وان اصابه  
ما يظنه الشر يتبرم بعدل الوجود ويتغير للجمعية ويركن الى  
الخمول او يجرع ناس الدلة وهو بذلك ايضا شقى . ولو  
انصف الانسان لاعتقد انه لا قبل له بتغيير مجرى الحوادث  
ولا طاقة له على حسن تقدير الخير والشر . ( وعسى أن  
تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو  
شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون )  
لو انصف الانسان لما جعل له من غرض فى الحياة الا  
القيام بما يعتقد انه الواجب ، يخلص له النية والعمل

جميعا . يعمل ثم يعمل ، فاذا جاءت النتيجة على وفاق  
ما يقدّر فليرض وليقتنع من الرضا وليرض نفسه على أن  
لا يخلصها النجاح كيلا تجميع وتتمسر عليه فيضيع من يده  
زمانها . . وان جاء العمل بنتيجة عكسية ، فليرض أيضا  
وليرضى نفسه على ألا يخلصها الفشل ، فتعمل العمل  
وتقصر في اداء الواجب

الا ان السعيد هو من يعرف أن يرضى بحاله ، فليست  
السعادة هي الثروة ولا الاستمتاع بها . . وليست هي  
الجاه ولا آثاره ، وليست هي الحب ولا لذاته ، وليست  
هي العلم ولا نوره ولا منافعه ، وليست هي الجهل ولا  
جموده وجرائره ، وليست هي التباهة ولا كبرياؤها ،  
وليست هي الخمول ولا انزواؤه وتعطيله ، وليست هي  
الحكم ، ولا هي نظام الاستبداد ولا قدرته ، وليست  
هي الجمال ولا شفاعته ، وليست هي الظرف ولا خفته ،  
وبعيد أن تكون هي العقل وحسابه ، أن لم تكن هي الخيال  
وأوهامه . ليست السعادة شيئا من ذلك ولا هي كل  
ذلك بجمعه . . بل السعادة ظن السعيد أنه سعيد

جلت قدرة الله . . ان لم نتعرف السعادة بين البؤساء  
فنحن لا نعرف لها أثرا بين الأغنياء . واذا وجدناها من  
حظ الأغنياء ، فهيئات أن نجد فيها نصيبا كبيرا للأذكاء . .  
تؤكد أن السعادة لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم . . لا يلقاها  
الا من كان لا يعرف ألهم . وهذا الصنف من الناس لا تنفعنا  
سعادته ، كما لا يعز علينا شقاؤه . ولا يلقاها إلا رجل  
ذكى القلب راض نفسه على الرضا ، فرضيت غير كارهة .  
عرفت الحياة فلم تبالغ في تقديرها وعلمت قيمة الواجب  
وقدرت على القيام به حق قيام . وأخذت الحوادث  
فاستقبلتها كما هي لا كما يجب أن تكون . ذلك هو السعيد  
الذي نرجو أن تكثر في العالم صورته

## الرجل الصريح

إذا كنت تقابل الناس بأكثر من المعروف هشا وبشا وتلطفا ، وتسوم طبعك المزاج الذى ليس من خلقك ليقول عنك الناس : ما الطفه وما أرق حاشيته ، فأنك بذلك توشك أن تعد فى ضمن المخادعين ، وما أنت بالرجل الصريح

إذا كتبت أو خطبت فأخفيت ما تعتقد لتظهر مالا تعتقد مجاراة لراى الناس ، فما أبعدك عما يشخص الرجل الصريح

أن الخداع درع واه لا يستر الخادع الا ما دام الناس لا يبصرون . . فان أبصروا لا يلبث ستر الخداع أن يتمزق أربا ، ويتلاشى هباء عن الكذب عريان خجلا ، لا يستطيع بعدها أن يكون موصفا للثقة ولا محلا للمعاملات

كأنى بالخداع لا يركب نفسا الا نزلت عن شخصيتها ، وضلت فى تقدير ماهية المنفعة الشخصية ، وجبنت عن احتمال المسؤولية عن أعمالها ، فضعت أن تبرز فى ميدان المعاملة الإنسانية الا مقنعة بالزور مشتملة بشوب كثوب الثعبان من النفاق . . فلولا رحمة من الله ، وعقل هاد الى الصواب ، وتسامح من طببات النفوس لهلك المخادع لساعته ضعفا عن الحياة وأسفا على ما فرط فى حق نفسه وفى حق

---

\* الجريدة فى ١٨ فبراير سنة ١٩١٤ العدد ٢١٩

الصرافة الانسانية  
الصرافة ضمير حى ، وعزة تحمى من المداواة وشجاعة  
تكفى لاحتمال مسئولية ما يكره الناس على الرجل  
الصريح . ذكرت جريدة « الأهرام » احد نوابنا ، فقالت :  
« .. حلو الدفاع ، عذب العبارة ، شديد المعارضة ،  
له ضمير حى لا يخالفه .. » ذلك هو المثل الصريح  
للرجل الصريح  
كثرة الصرخاء فى الامة اماراة على عزتها ، فمتى تكثر  
فينا صورة الرجل الصريح ..؟





## الفصل الثامن

# في الحياة والجمال



## نزهة الربيع

ليس كل الحياة شقاء للسعى الى مال ينفق اويدخر ،  
والى مباراة فى رفعة المناصب .. بل الحياة ايضا  
استمتاع بجمال الطبيعة . فكرة خفيفة الوزن تافهة  
القيمة عند أهل الوقار .. أولئك يرون ركض الدابة ينافى  
الوقار ، ولعب الكرة يذهب بالوقار ، ومعظم اسباب  
التربية البدنية لا يتفق على ما يجب للرجل من اطراق  
طويل وسكون عميق وجمود على المأثور عن السلف  
الصالح القريب .. كان الامة يجب أن تكون لها من أهل  
الرياضة والكشف ، يضحون قوة البدن لصفاء الروح حتى  
تنزع بجهتها القدسية عن هذا العالم السفلى الى الملكوت  
الاعلى

ولو انهم أرادونا على احتباس للنفس عن لهو الدنيا  
ولعبها الى العمل للأخرة ونعيمها ، لكان فيما يهدون اليه  
من التقليد مغنم .. ولكن الحال قد تبدلت الى صرف النظر  
عن جمال الطبيعة ونعيم الحياة الانسانية الى اخس اطراف  
هذه الحياة ، الحرص على الخدمة فى الحكومة ، والحرص  
على فقد الحرية فى كل شئ حتى فى اللذات البريئة ،  
حتى فى الاشتغال بتربية ملكة الجمال ، حتى فى  
العناية بفرس الاشجار وتوليد الازهار . الحرص على فقد

---

\* الجريدة فى ١١ من ابريل سنة ١٩١٤ العدد ٢١٥٥

الصراحة فى كل شىء حتى فى الاعمال الشخصية . تقف عن  
الظهور بتعرف الجمال حيث كان ، وعن اعلان حب الجمال ،  
وعن الظهور بحب الازهار واستقبال الربيع بالتحية  
والارتياح .. بدىل الاستغراق فى اللذات المخجلة بشرط  
ان تكون خفية حتى لا تجرح قدسية الوقار !



رب ! .. كل ما خلقت تابع لقانون التطور حتى المعانى  
والافكار ، فالذين تجردوا من مزايا السلف الصالح فى علم  
يفيد وجد ممتع وسيرة طابت ظواهرها وبواطنها قد  
اكتفوا من اسلافهم بتقليد شىء واحد لم يقدروا الا عليه  
وهو صورة ظاهرة من الاطراق لا فى التفكير والسكون ، بل  
هو مظهر يقتضيه الوقار ! .. فاذا تحركت النفس  
الانسانية فى هذا الجسم الوقور ، فانما حركتها الى الشهوات  
العالية من اغتباط حقيقى بجمال الطبيعة ، وتقدير صحيح  
لما اودع فى الفنون من كنوز الجمال

ذلك جيل ذهب باهله .. ولنا جيل ناهض يجب ان  
يؤلف بين علمه وبين نزعات نفسه ، ويضيف الى ثقيف  
عقله تهذيب مشاعره . وي طرح جانبا كثيرا مما ورثناه من  
ما ضينا القريب ، فيعمل للمزاحمة العالمية ليكسب قسطه  
تحت السماء من مال يسد الحاجة وقوة تحمى الوطن  
ولدة بجمال الطبيعة تعين على فهم الحياة .. فيعنى بمظاهر  
الجمال كما يعنى بزراعة القطن ، لان الحياة ليست  
شقاء خالصا بل هى يومان : يوم للشقاء ويوم للنعيم ،  
وباخذ بنصيب من الالتفات للظواهر الطبيعية كما يحرص  
على الاستفادة من الظواهر الاجتماعية والحوادث  
الاقتصادية

ها نحن اولاء امام الربيع .. ازهاره تنسم انفاسها ،

وتأخذ بأبصارنا الوانها ، وتحرك جدتها عواطف الحنان  
في قلوبنا كأنها بعض أبنائنا ، ان مرآها ومظهرها ينقلان  
نفوسنا من عالم الشقاء الى عالم النعيم ، ومن ارض الحقيقة  
الواقعة الى سماء الخيال الجميل . . لا اظن هذا الانتقال  
لا وجود له . كلا انه صحيح واقع فاننا نشعر  
بوجوده في قلوبنا ونرى آثاره على وجوهنا . . ان خيال  
اللذة البريئة موجود وآثره سعد ، ولعله هو نعيم الحياة . .  
فاهلا ومرحبا بأزهار الربيع

ليس جديدا علينا - بنى الانسان - ان نعلن مشاعر  
الاغتباط ، ونسدى عبارات الاعجاب الى الربيع وجماله . .  
فقد كان ذلك في كل زمان موضوع وصف شعرائنا، والمحرك  
الاول لعواطف المحبة في صدورنا . . وكان الزهر رسول  
المودة وهدية الحب بين الانفس الحساسة التي بينها وبين  
الجمال نسب متين

كنا ولا نزال نبتل الى الربيع ونتغنى بالطبيعة ،  
فهل لها اذن تسمع تغنينا بجمالها ؟ أم هي صماء صادرة  
من قوانين ازلية سائرة الى مصير مرسوم ، لا تلقى نظرة  
على سكانها المفتونين بزخرفها الفانين في حبها ، وهم في  
الحقيقة ضحايا عدوانها . . ليكن كل ذلك ، ولكن ذلك غير  
مانع لنا من أن نستوفي قسطنا من الحياة على اكمل ما  
نستطيع . . نبلو مرها ونطعم حلوها ، ننسى آلامنا فيها  
بما يسحرنا من جمال ازهار الربيع

علموا ابناءكم حب الجمال ، ونموا في نفوسهم ملكته . .  
ليعلموا أن الحياة ليست جحيم الهموم ولكن فيها امحات  
من النعيم . ان حب الجمال يرفع النفس الى لذائد اطهر  
طبعا ، وأسعد أثرا ، وأبقى في العواطف ، نتيجة من كل  
ما عدها من لذائد الحياة . وان أبسط موضوع لتعرف  
الجمال والمران به ، أزهار الربيع

## الذئابة القديمة

على الرغم من الضعف الذي وقعت فيه مصرنا ، فمن المحقق أن المصري تأخذه هزة الارتياح ويلعب به شعور العزة أمام عظمة المصريين القدماء ، ويكون حظه من شعور الفخر أكبر من ذلك ، لو أنه عالم بالحوادث المصرية المكتوبة على جدران المعابد والمحاريب وواجهات القبور أو قارىء ترجمة تلك النقوش في أشعار ما سببيرو ، ومارييت ، ونافيل ، ومحاضرات كمال بك .. اذ يعلم أن مصر كانت من العزة في ذلك الزمن القابر على قدر أن الملك كان له نحو اثني عشر رجلا من الامراء وغيرهم يقومون بأمر التشريفات ، يصل اليه سفراء الممالك الاخرى راكمين ساجدين يرغمون أنوفهم بالتراب ويجارون له بالدعاء ، يقطع أصواتهم خوف الملك وجلالته ..

أن الملك لم يكن كل شيء في مصر ، بل كان لامراء الامة ووزرائها في كثير من الاحيان اثر عظيم في الاصلاح وفي الحكم ، وأن المصريين لم يكونوا - على ما يصفهم عامة الاجانب - مخلصين الى السكينة كارهين السياحة والتنقل قانعين من الرزق بما تحت متناول اليد .. بل كانوا امة جد واستعمار تجرى في استعمارها على أحدث الطرق الاوروبية الآن ، اذ يخرج المرسلون من مصر الى

الاقطار المختلفة في افريقية يحوسون خلالها حاملين الى  
أهلها المطر ذا الرائحة النفاذة والاقمطة الزاهية  
الالوان ، وغير ذلك مما يحمله الاوروبيون في هذا العصر  
الى سكان تلك الاقطار الشاسعة في افريقية

ولم تكن اغراض المصريين من فن السياحة مقصورة  
على الربح التجاري ، بل كان أولئك السياح يكسبون  
بلادهم نفس الفوائد التي جنتها انجلترا من وراء الشركة  
التجارية الانجليزية في بلاد الهند قبل فتحها ، وسياحات  
سيسلي رود ، وما كسبته فرنسا من بعثاتها في الكونغو  
والسودان ، اذ كان السياح المصريون يدعون الناس  
لاستماع اخبار مصر والسودان ودينهم ولفتهم ، ويبينون  
عظمة ملكهم ونزوة بلادهم حتى يصوروا مصر في اذهان القبايل  
بصورة القوية القاهرة التي لايعجزها تحقيق شيء مما  
تريد

فاذا رجع أولئك المرسلون الى مصر ووصفوا تلك  
البلاد ، وأفاضوا للحكومة بكل ما وصلوا اليه من المعلومات،  
فتسير الجنود المصرية على أثر ذلك تفتح البلاد النائية  
التي صار فتحها بفضل معلومات السياح المصريين امرا  
هينا

ولقد كان المصريون اسمح الامم في استعمارهم لانهم  
كانوا يسرون فيه على مذهب اللامركزية ، يحفظون على  
الامة المغلوبة دينها وعاداتها وشكل حكومتها ، ويتركونها  
حرة في بلادها مقابل الاعتراف بالسيادة المصرية . .  
وكما أن مصر تحمي المستعمرة من الاعتداء الاجنبى ،  
كذلك كان يجب على المستعمرة المصرية ان تتعهد بدفع  
خراج سنوى وأن تنصر مصر في حربها مع أية دولة  
اخرى . .

لاشك في أن علم المصرى بهذه الحقائق المسطورة في نحو القرن الخامس والثلاثين قبل الميلاد ، يخرج من نفسه القنوط من ارتقاء مصر ويجعل آراء الذين يظنون بمصر عدم الاستعداد الطبيعي للاستقلال والسيادة من السخافة بمكان . . فان ما جاز عليه الكون في الماضي ، غير ممتنع عليه أن يكون . ولا شك أن المصريين - حتى المتعلمين - قليلو الاهتمام بالعلم بمصر القديمة الى حد حرمانا لدة هذا الاغتراب بما كنا عليه . ولدة التشبث بالعمل الى استعجال القدر ليذهب بهذا الحاضر قال لى أحد أصدقائي : سافرت فى الشتاء الى الصعيد لزيارة الآثار القديمة والاستراحة من عناء العمل ، فلاحظ على سائح المانى أن العجب يأخذ منى من هذا كبيرا عند رؤية الآثار المصرية . . فسألنى اذا كانت هذه هى المرة الاولى لزيارتى اياها ؟ فقلت : نعم ، فضحك وقهقهه ، فسألته عما اذا كان زار هذه المعاهد من قبل ؟ قال : زرتها سبعا وعشرين مرة وهذه الثامنة والعشرون ، وعلى أن أجيء كل عام فى المستقبل ايضا ، التعميس ، وليعيد مصرنا الى الماضى القديم فضحكت منه أنا بدورى ، وقلت له : فهمت أنك كنت فى المرة الاولى مستطلعا مستفيدا ، فأنتمت فى المرة الثانية ما نقصك فى الاولى من الاستفادة ، ثم اعوزك الوقت لاتمام قصدك فجنّت الثالثة وفيها مقنع لمستطلع وقضاء لبغية النفس من تكرار النظر للجميل . فما رأيت أعجب من تسويفى زيارة الآثار الى هذا اليوم الا اكثارك من رؤية الشئ الواحد ، واستزادتك من ذلك على غير جدوى

قال : اؤكد لك اننى كلما زرت هذه الآثار شعرت

بالرضا ، بل باللذة التي كنت أشعر بها في كل مرة سابقة ، وما رجعت مرة الا بفوائد جديدة لم اكن لاحصل عليها من قبل

هذا حديث له اثر ثابت في فهم هذا الاهتمام الذي يعرفه الالمان والفرنسيون والانجليز والامريكان في زيارة آثار مصر للوقوف على أخبار العالم الاول ، حتى ليضيفوا بذلك صفحة او صفحات الى أسفار التاريخ القديم ، ولينتفعوا بذلك في معرفة قوانين النشوء والارتقاء التي صارت عليها العلوم والفنون والصنائع من نحو سبعين قرنا . . وليبحثوا في جوانب العالم عن الحلقات المفقودة من سلسلة الظواهر الاجتماعية والحركات السيكولوجية التي تطورت بها الامم حتى صارت الى ما هي عليه الآن . . فان الذي يجهل ماضي العالم حقيق به الا يصح حكمه على حاضره ولا على مستقبله . ومن لا يعرف تطورات الانسان ، لا يستطيع ان يضع له قوانين السلوك في الحياة

كتب الى اخيرا احد اصدقائي نزيل الاقصر اليوم ، يقول : اكتب اليك بعد أن زرت معظم الآثار التي خلفناها أجدادنا زيارة داخلني منها الزهو وتضاعف بها حبي لمصر وطني ، ولكن الحب لم يصف من شوائب الحزن . . لماذا لا تدرس في مصر الايجبتولوجية كما تدرس بانجلترا ؟ هذا الكتاب أيضا تدل عبارته على شعور كل مصري متعلم يقف أمام الآثار المصرية لا يعرف منها الا ما يعرفه العامي . . يعرف من الآثار انه هتلم متقن دال على عظمة الملك الذي يخبر عنه . . هذا كل ما نعرف من آثار بلادنا لا اطلب ان يكون كل رجل منا يطاول شامبيونون في دقة ملاحظته وقوة استكشافه ، أو يبارى ما سبيرو في احاطته



بالآثار المصرية ، أو يحاكي كمال بك في معلوماته الاثرية ..  
ولكن المطلوب هو محاضرة مستمرة ودرس دائم في  
الجامعة المصرية أو غيرها من دور العلم ، يسهل السبيل  
على أبناء مصر أن يعرفوا ماضيهم لا على الوجه العلمى  
الدقيق ، ولكن على الوجه الذى يعرفه السياح الاوربيون  
من آثار وتاريخ أجدادنا الأقدمين

ليست أمتنا في هذا الحاضر ذات وجود مستقل عن  
أمتنا الماضية ، ولكن الامة كل واحد غير منقسم وغير  
قابل للتجزئة .. انها امة خلقت جسمها الاجتماعى من  
يوم أن استقلت بهذا الوطن المحدود ، وكانت ذات نظام  
اجتماعى معروف فصارت تنتقل في حياتها من الصحة  
الى المرض ، ومن المرض الى الصحة ، حتى صارت الى  
ما هى عليه اليوم .. فبعيد على المصريين الذين يريدون  
ارتقاء بلادهم أن ينجحوا في تحقيق ارادتهم هذه الا اذا  
عرفوا حقيقة أمتهم ..

وحقيقتها هى مجموع ماضيها وحاضرها .. فليست  
معرفة الآثار القديمة فرعونية وعربية ، ولو قليلا ،  
مقصورا نفعا على اغتباط النفس برؤية الآثار الجميلة  
وتحصيل شعور العزة بذكرى ماضى مصر المجيد ..  
بل هناك نفع اعم اثرا وهو الوصول من معرفة الماضى  
الى معالجة الحال حتى يتبدل به مستقبل سعيد  
عسى ان يقع ما نقول من مشاعر الشبيبة موقع القبول  
فيقبلوا على وسائل العلم بمصر القديمة .. وعسى ان  
يجيب علماء الآثار القديمة الفرعونية والعربية نداءنا  
فينفعوا الناس بمؤلفاتهم ودراساتهم ، وخير الناس انفعهم للناس

## آثار الجمال وجمال الآداب

لا اظن انه يوجد انسان صحيح لا يشعر في نفسه بتأثير الجمال ، أو لا تتحرك عواطفه حركة لذيدة أو مقبولة توجب الرضا برؤية الجميل . ولقد تختلف اذواق الافراد والأمم اختلافا قليلا في تحديد جمال الاشخاص والاشياء تبعا لتربية الخاصة النفسية التى تتعرف الجمال . . فكلما كانت هذه الخاصة التى نسميها اللذوق مصفاة من شوائب الخشونة بحكم التركيب الجسمانى والوراثة ودرس الفنون الجميلة ، كانت النفس أكثر احساسا بالجميل وأدق حكما فى الجمال ومهما كان رأى جماعة الزهاد فى الدنيا لا يقيمون وزنا للذائل الانسانية ولا يحفلون بالصور الجميلة ، وجماعة الفانين فى كسب الاموال الذين يجدون ماعدا ذلك فى الحياة من سقط المتاع ، فان اجماع بنى آدم اصحاء الاجسام والعقول ، واقع على أن نفوسنا هى أيضا كابداننا محتاجة الى الغذاء ، ومن اطيب غذائها الجمال . . فان مشاهدته حيث كان تلقى فى نفس الانسان سكونا يلفظ انار هموم المشاغل وينوع حال المشاعر ، فيحبهها من الكلل والسآمة ويعيد قوتها سيرتها الاولى . فاذا كان

---

\* الجريدة ل ١٢ من ديسمبر سنة ١٩١٢ العدد ١٧٤٨

الجمال على هذا القدر من تغذية الروح الانسانية ، كان تعرفه بمرآة النفس على رؤيته حيثما كان ، من الامور الضرورية للعيشة المدنية والتربية الانسانية ، لا انه - كما يزعمون - امر كمالي صرف يتشبث به اهل البطالة واتباع الهوى وخفاف الهموم ..

زعم باطل واغراق في اعتبار الحياة حماة آلام يتمرغ فيها الاحياء لا يدوقون فيها من طعوم اللذة الا تنقلا من الم قديم الى الم جديد ! .. اذ ليس ذلك ما يشعر به عامتنا نحن الاحياء ..

نحن لا نعرف ماهية الجمال .. ولا يهمنا الآن البحث عن ذلك ما دامت تشعر به انفسنا من غير تعريف منطقي .. يقولون ان الجمال هو عبارة عن مظهر أسرار الكمالات في هذا العالم المادي ، او انه مرآة حسن التأليف بين الصور والالوان .. ويقولون غير ذلك

ولست اظن انه يهمنا كثيرا ان نسبح فيما وراء الطبيعة لنرجع بتعريف للجمال .. وهو هو بعينه ذلك الذي نشعر به في انفسنا عند رؤية ما نسميه الجميل ، سواء اكان هذا الجميل مخلوقا حيا او جامدا او فعلا من الافعال التي تهز عواطفنا ، او معنى من المعاني التي تقع من النفس موقع الجميل بالحس

واذا كنا حاصلين على معنى الجميل بالفعل داخل نفوسنا فخير من تلمس حدوده فيما وراء معلوماتنا ، ان نستمتع بانثاره اذ الواقع ان الجمال معنى من المعاني القدسية التي لا تزال محجبة عن ابصارنا الكليّة ، مصونة عن التدهور في هاوية ابحاثنا الوضعية ، رفيعة عن ادراكنا المحدود . ومع ذلك فان آثاره مادية نراها

باعتنا في الصور الحية وفي التماثيل الجميلة ونسمعها  
في أصوات الموسيقى ونشعر بها روحاً تفيض على  
مشاعرنا رضى بمشهد الأعمال العظيمة أو بسماع  
أخبارها ..

ذلك الأمر السعيد ، أثر الجمال ، هو الذى يجب علينا  
ان ننمى مقداره في انفسنا لنحصل به على أكثر ما  
نستطيع من العيشة الراضية

ان تربية الحس الصادق الذى يتعرف الجمال  
ويتأثر منه ، ليست على ما نظن خاضعة لقوانين  
معينة ، لانها هى تربية الذوق . والذوق شئ ليس في  
الكتب .. على ان نبوغ مصور التماثيل أو رسام اللوحات  
أو صانع التحف أو الموسيقى ليس نتيجة لازمة للعلم  
بأصول معينة ، بل هو الهام من الله وفيض من الفيوض ،  
أو كما يقولون استعداد خاص قد تفسده قوانين العلم  
وينميه في نفس العبقرى خروجه في صناعته عن حدود  
المألوف .

أجل .. ان ارباب الفنون الجميلة في كل زمان لم  
يقيدوا حريتهم عمداً بأقيسة فنية ، ولكنهم كانوا دائماً  
خاضعين لانفعالاتهم الذاتية المتولدة عن عقائدهم  
ومشاعرهم ومشاعر أهل زمانهم وحاجات اليئسات  
التي نشأوا فيها .. ولذلك كانت آثار الفنون الجميلة في  
كل عصر من العصور مؤلفة غاية الائتلاف مع عقائد ذلك  
العصر ومشاعره وحاجاته واصطلاح الجمال فيه ..  
فترى من السهل على كل ذى الملم بالتاريخ والآثار ان  
يعرف الأثر الذى تقع عينه عليه ، في أى العصور صنع ،  
ومن أى البلاد هو .. فان هذه الآثار الصامتة تحدث  
الذى يعرف كيف يسمعها ، تحدثه بأهل زمانها صادقة ،

كما قيل ان اصدق الكتب هو ماكتب بالحجارة

ليس الحبس الصادق الدقيق في معرفة الجمال محلا  
لتربية معينة ذات اوضاع متفق عليها . . كذلك  
لا يعرف التاريخ أن أمة من الأمم - مهما كانت آثار  
فنونها الجميلة ذات شخصية مستقلة عن غيرها -  
قطعت النسب بين فنونها الجميلة وغيرها ، ونبتت فيها  
. . بل التاريخ يدل على أن الفنون الجميلة انفرعونية ،  
انما كان اصلها من اثيوبيا ، ودخلت عند المصريين فأخذت  
طابع عقائدهم الخاصة ومشاعرهم وحاجاتهم ، فتغيرت  
عن اصلها وصارت ذات شخصية مستقلة

فلما أخذها اليونان عنهم تغير شكلها تبعا لمقائيد  
اليونان ومشاعرهم ايضا . . فلما أخذها عنهم الرومان  
تغيرت تغيرا جديدا ، وان كان هؤلاء لم يتفوقوا فيها على  
اساتذتهم اليونانيين . وهكذا اخلت الفنون الجميلة  
العربية من غيرها ، وكانت في بدئها خليطا ثم أفاضت  
عليها الروح العربية الاسلامية جمالها الخاص ،  
فأصبحت ذات شخصية مستقلة عن غيرها مميزة عما  
عداها ، سواء اكان ذلك في الأنعام الموسيقية او في تحف  
الآثار والصناعة الفنية والرسم والتماثيل . . وان كانت  
الصور والتماثيل قليلة في الفنون الجميلة العربية ، الا أن  
الذي وجد منها في بعض الآثار : كالحمراء بقرناطة  
والقصر في اشبيلية وفي دار المستنصر وغيره من بعض  
الملوك والخلفاء ، قد دل أهل الفن على أن الرسم والتصوير  
في الاسلام لهما طابع خاص

على هذا الاعتبار يمكننا أن نقول أن الحبس الصادق  
الذي يتعرف الجمال في الآثار لا يجوز أن يهمل امره ويترك  
للمصادفة الصرفة ، اعتمادا على أن الدوق ليس في

الكتب . . بل يجب أن تمرن النفس على رؤية الجميل من الصور واللوحات والمصنوعات ، وسماع الجميل من الغناء حتى يرق شعورها ، وتحصل لها هذه اللذة التي تأتي من معرفة الجمال وتقديره ، فانها لا تعدلها في صفاتها وعلو مكانتها لذة أخرى . . لذة ضرورية للفرد نافعة للمجموع

واقرب ما يكون هذا المرن العملى فى زيارة دار الآثار المصرية ، ودار الآثار العربية ، وزيارة العمارات الأثرية الفرعونية والعربية كالهياكل والمعابد والمساجد القديمة . . ثم زيارتها فى كل فرصة تمكن من ذلك

يجد الانسان آثار الجمال فى الطبيعة ، فانه اذا سفت نفسه واتسع أفق بصره ، وعلت مرتبة ادراكه ، يرى الجمال فى الطبيعة حيثما ادار عينيه . . يرى فى الرياض جمالا ، وفى البحر الفسيح جمالا . . بل يرى فى الطبيعة الجندوب والجبل الاقرع والصحراء الجرداء جمالا من نوع خاص . كما يرى الجمال فى بعض الانسان وبعض الحيوان . . غير ان للجمال فى نفوس الناس قيما خاصا يقيدون به معناه العام ، وهو جمال الخلقة فى بشى الانسان على الخصوص

فاذا أقبلت على احد الشبان تلقى عليه بغتة هذا السؤال : هل تحب الجمال ! تكيف هذا السؤال العام فى ذهنه بصورة امرأة حسناء وكان جوابه عنه مقيدا عنده بهذه الصورة ، الا اذا وجهت ذهنه الى معنى الجمال على اطلاقه . ذلك امر مفهوم لا نعى باستقصاء مصدره فى النفس ، ولكن يجب علينا ان نساير هذا الاصطلاح العام بعض الشيء فى تربية الذوق

ومن غير الممكن أن يوفق المرء الى رؤية امرأة مثل  
( زهرة روفائيل ) فى الجمال . . بل قد يكون بين جسم  
المرأة الحية الجميلة وبين زوجها ، فوارق واضحة تنقص  
مقدار جمالها الى مادون المرأة العادية ، وكذلك الرجل .  
اما ذلك التمثال الصامت ، فانه لا يلوح عليه من الآثار  
المعنوية الا ما أراد المصور أن يجعله مثلاً أعلى للمعاني  
التي تشف عنها أوضاع الجسم . . على أنه من كثير  
الوقوع أن المرء لا يقصر النظر الى الاجسام الحية المتحركة  
على مشاهدة الجمال المجرد ، بل قد يشارك معنى الجمال  
فى ذهن الرائي معان شتى تشوش على انفس استطلاع  
الجمال

وليس الامر كذلك فى رؤية اللوحات والتمائيل الجميلة،  
فان النظر اليها يكون دائماً خالياً عن كل ما يزحم معنى  
الجمال فى خيال الرائي . . ولهذا الاعتبار تكاد نقول أن  
خير نموذج لتربية الذوق فى أدراك آثار الجمال هو  
استدامة النظر الى جمال الآثار . وربما كان هذا النموذج  
هو النموذج الذى اتخذه الناس من قبل عند التشبث بتعلم  
الفنون الجميلة ، لانه لو كانت الطبيعة كفيفة بتقديم  
نماذج الجمال لاكتفت كل أمة بما لديها من النماذج  
الطبيعية من غير أن تستعير نماذج الفنون الجميلة من غيرها  
كما ذكرنا

لا شك فى أن الامة الاولى أخذت نماذجها عن الطبيعة ،  
ولكن من خلفها من الامم قد رأى الأخذ عنها أقرب من  
الأخذ عن نماذج الطبيعة . فاذا كان شباننا المتعلمون  
يجعلون من بعض همهم زيارة دور الآثار واستقصاء ترقى  
التصوير والصناعة الفنية فيها من عصر الى عصر ، واعتادوا  
على ذلك ، حصلوا على لذة لا يحلها الذين يصرفون وقت  
الفراغ غير للذة بريئة ، بل فى سكون وسامة ، واستفاد منهم

المستند في صحة حكمه على الأشياء .. وزاد علمه بمصر  
وجنبه لها وتقديره تقديرا صحيحا مجدها في المدينتين  
الفرعونية والعربية ، واحترم قومه ونفسه تبعا لذلك ..  
اذ الواقع يشهد أننا لا نعلم عن قيمة وطننا ومجده ما يعامه  
السائحون ..

فإذا نحن تتبعنا آثار الجمال وعيننا بجمال الآثار ،  
حصانا على بذور جديدة تنفعنا في تمصير المدنية الغربية  
الحالية لأن أذواقنا تكون بعدئذ خليطا مما تعلمناه من  
المبادئ الغربية وما كسبته مشاعرنا من التريبة الغربية ،  
ومن ذوق مصرى ونزعات مصرية مصورها ومشاعر جنسنا  
الوراثية مضافا إليها المشاعر المصرية التي تتكيف في  
نفوسنا تكيفا مصريا حقيقيا بالايغال في تعرف الآثار المصرية  
فرعونية وعربية

لا شك في أن آثارنا جميلة ورؤيتها تبعث في النفس  
الرضا الذي يحصل برؤية الجميل .. وخير الفوائد ما وجد  
منه المستفيد رضى ونذة ، فلا يغلو الذى يقول ان الوقت  
الضائع هو ذلك الوقت الذى يصرفه أبناءنا وبناتنا  
المتروكون في غير مواضع الآثار

لئن قام عدد علمائنا الاثريين في انهم لا يظهرون حبهم  
لنشر معلوماتهم الاثرية بالمحاضرات ، فما هو عذر الشبان  
في هجر دور الآثار التي ان لم يجدوا من يعلمهم فيها ،  
ويوضح لهم جمالها ، ولم يستطيعوا ان يستفيدوا مما  
كتبه العلماء من وصفها ، فلا أقل من أن يدركوا جمالها  
ويحصلوا لذة رؤية الجميل .. انه لا تتم وطنية المرء الا  
اذا عرف أمته قديمها وحديثها ، فان من جهل قديمها فهو  
مدع في حبها ، لأن من جهل شيئا عاداه



## آملنا

آملنا في المستقبل هو الخير ويطمعنا في ذلك ان مصر هي ، أول ما سقط من دول الشرق وهي كذلك أول ما نهض الى الاخذ بالتربية والتعاليم الحديثة، وتنفيذ النظم البيروقراطية على طريقة اقرب الى العدل والرفق، فأصبحت بذلك أغنى الامم الشرقية ثروة وعلماً واشدها رابطة جنسية ، وقد كانت ولا تزال أوغلا رسوخا في الصفات المدنية .. كل ذلك يشجعنا على الاعتقاد بأننا سائرون الى الامام ، وانه لا ينقصنا لحل مسائلنا المصرية حلاً يتفق مع مصلحتنا من جميع الوجوه الا العمل الجاد والوقت الكافى

لدينا كل وسائل العمل لمصلحتنا ، فلا يعوزنا الذكاء ولا الوطنية ولا الاستعداد ، ولكن يعوزنا شيوع الاعتقاد بأن مصر لا يمكنها أن تتقدم اذا كانت تجبن عن الاخذ بمنفعتها وتتواكل في ذلك على اوهام وخيالات يسميها بعضهم الاتحاد العربى ويسميها آخرون الجامعة الاسلامية .. فقد اعدرنا العقل وابان لنا أن مصر لا تنجو من خطر التأخر والفوضى الا بقواها الذاتية ، وأعدرتنا الحوادث اذ أندرنا بأن الاتكال على غير المصريين فى تحقيق آمال المصريين ضرب من اللعب بالمصالح ، وحال من أحوال

(\*) الجريدة في ٢ مارس سنة ١٩١٢ العدد ١٨١٥

## العجز والقنوط

لم يأت لنا الماضي بمثل واحد يدلنا على أن أمة من الأمم  
العالم ساعدت مصر وحمتها من المصائب التي كان يجريها  
عليها طمع الأقوياء في ثروتها ، وفي مركزها الجغرافي  
النادر المثال . . كذلك لم يأت لنا الماضي - في غير  
مقتضيات الموازنة الاوربية - أن أمة تنظر من سماء قوتها  
الى أمة ضعيفة تأخذها بها الرحمة فتطمعها وتسقيها وتدفع  
عنها مغارمها لوجه الله تعالى

ولكن الذي نعرفه من الماضي أن العالم في حال حرب  
مستمرة يصلى نارها الاحياء على السواء والغلبة فيها  
للاقوى . . والاسرائيل الرق للضعيف

ومن الخطأ أن يكون مقياس الضعف والقوة في الأمة  
هو مقدار عدد النفوس أو الثروة . . انما مقياس عظمة  
الأمة هو صفاتها العامة الضرورية للنجاح في الزمان الذي  
تعيش فيه . كان عدد أهل أثينا في أوقات مجدها هو  
بعينه عددها عند سقوطها ، ولم يتغير فيها الا الصفات  
التي هي ملاك القوة في الأمم . ولسنا في حاجة الى  
استحضار التاريخ القديم فان الحاضر المشاهد في النسبة  
بين عدد النفوس في الأمم المستعمرة وبين عدد النفوس في  
مستعمراتها لا يدع للشك مجالا في أن الكثرة والشراء ليسا  
هما العلة الاولى في عظمة الأمة وقوتها . ولكن القوة  
والعظمة في عدد الرجال المهذبين أو الصفات السامية  
والعقول المنتجة

لكل زمان ، ولكل مدنية ، خواص في الاخلاق والميول  
تكون هي علل النجاح . ولقد دلتنا الامثلة على أن الأمة  
التي لا تسير في تيار عصرها ، بل تقف جامدة على قدميها  
لا ينتظرها العالم في سيره الى الامام ، بل يتركها منقطعة

لا تتجدد فيها قوى الحياة ، ولا تستطيع أن تأخذ بخواص  
النجاح فى الزمن الجديد ، فتقع فيما يشبه الفناء وذلك  
حظ الضعيف

وقد رأينا - نحن انفسنا - أن كل ما وقعنا فيه من شر  
الدل وفقد الاستقلال من عدة قرون ، انما كان سببه تفريط  
المصريين فى الاستمساك بالصفات التى كانت يومئذ  
ضرورية لبقائهم أحرارا . وها نحن أولاء أصبحنا بالتربية  
الجديدة والافكار الجديدة نسمع فى قلوبنا ديب الطمع  
فى استقلالنا ببلادنا ، وتأخذنا الغيرة من الشعوب التى  
شيت فى هذا الزمان الحاضر ورفعت رأسها بين الأمم ،  
ولم تكن من الشعب المصرى ولا قلامة ظفر . . فمن الطبيعى  
أن يكون نهوضنا متناسبا مع اطماننا ، وأن يكون أول ما  
يجب علينا أن نتحرى فى انفسنا صفات الضعف نتخلص  
منها ونحل محلها صفات القوة أو اسباب الرقى

اننا مهما كان مقدار حبنا للصفات التى ورثناها من  
الماضى ، يستحيل علينا أن نظن أن علة تأخرنا هى شئ  
آخر غير تلك الصفات

ومن المستحيل أن يكون الضعف والقوة كلاهما معلولا  
لسبب واحد فى آن واحد باعتبار واحد . . فرقنا أو قوتنا  
رهينة بنفى أسباب الضعف عنا ، مهما كانت هذه الاسباب  
أو تلك الصفات داخلة فى مشخصاتنا وممزجة بعادات  
وأخلاقنا

سيقولون هل تريدوننا على أن ننزل عن افكار آبائنا  
فى تكييف المصالح المصرية ، انترك عاداتنا فى حب الاتكال  
على غيرنا والتباهى بجيراننا واعتبارنا فى نظر انفسنا أقل  
الشعوب مما يجرى على السنتنا فى الأمثلة وفى المجالس ،  
وما يظهر على حالنا من معاملة غيرنا ، وتأخذ بصفات التمددين

الجديد .. هذا التمدن المادى تمدن المنافع والمبالغة فى حب انكسب واستخدام العقل انبشرى والعلوم المختلفة فى تحصيل اللذائذ الشخصية والاطماع الاستعمارية .. انكم تريدوننا على أن نغير وفى التغيير نزول عن الشخصية وفناء للامة

نعم .. فاننا جربنا أفكار سلفنا الصالح فى هذا الماضى التريب ، فما كانت النتيجة الا ما نحن فيه .. فلم يبق الا أن ننزل عن الافكار والصفات التى كانت سببا فى تأخرنا ، ونأخذ فى التغيير والتطور حتى نستطيع المزاحمة فى معترك هذه الحياة المدنية ، اوبعبارة أخرى حتى يرجع الينا ما فقدناه من صفات القوة أو من قوة الاخلاق محافظين دائما على عقائدنا الدينية الاولى التى كان عليها علماء الدين الاولون ، قانعين من مشخصاتنا الحالية بما يكفل التمييز بيننا وبين الامم الاخرى .. تلك المشخصات التى لم يثبت لنا انها كانت سببا فى تأخرنا ، ولن تكون مثل لفتنا الدينية وعاداتنا فى حب الضيافة والمراعاة وأريحية الجود وبقية الصفات التى امتزنا بها فى حسن العشرة والعادات البريئة التى لها طابع يميزها عما عداها كعاداتنا فى شهر الصوم وكيفية احتفالنا بالاعیاد والموائد العلنية فى المآتم والافراح الخ الخ !!

ولكن الذى يجب علينا ان نساعد المدنية الحاضرة على نفيه عنا هو الصفات التى تولدت من نقص الاعتقاد بمصريتنا ، أى بأن لنا وجودا خاصا ومنافع خاصة يجب علينا تحصيلها بصرف النظر عما اذا كان هذا السعى يأتلف مع أفكارنا القديمة أو يختاف عنها ، وأن نتشبت بحقوق الشعب المصرى واحترامه .. فلا نسمح للخواص منا ان يسبوه بإظهار اليأس منه واتقنوط من رقيه ، ولا لعوامنا ان يجرى على أسنتهم تفضيل غيره عليه .. وإن نحارب

الجهود على الماضى فى امساك المرأة المصرية على اتباع  
 المعروف فى الماضى القريب ، بل نسهل لها العمل هى  
 أيضا لمصلحتها ومصلحة المجموع وأن نأخذ أسباب القوة  
 عن التمدن الجديد ، طائعين لا كارهين ، والزمان وحده  
 كفىل بأن يصبغ الواردات الاوربية بصبغتنا المصرية ..  
 لا شىء من ذلك يأتى بالنتيجة التى يخاف عقلاؤنا منها ،  
 نتيجة أننا نفنى فى غيرنا أبدا .. ولكن قديما يفنى فى  
 حاضرننا وحاضرننا يفنى فى مستقبلنا كما هى سنة التطور  
 فى الوجود

أقدم كل هذه المقدمات لأقرر أن آمالنا من المستقبل  
 شعب جديد ، يكون أقدر منا بصفاته على تحقيق أطماعنا  
 القومية

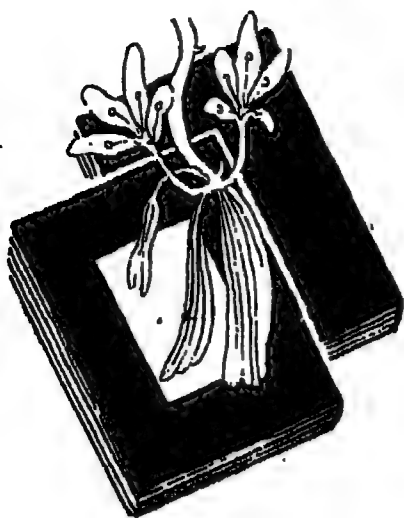
وعلى هذا الجيل الحاضر ، أو الشعب الحاضر ، أن  
 يسهل للجيل الآتى سبل القوة وأسباب التطور ليحقق  
 صبغتنا القومية وهى مصر للمصريين





الفصل التاسع

## نظرات في الأدب



## الدِّينُ وعالم الأدب والأخلاق

لا يزال المعنى المدلول عليه بالأدب معنى عاما شائعا غير محدود الجهات حدا واضحا في الأذهان ، بل ان هذا المعنى تأخذ منه النفس صورة لا تزال مبهمة حتى يأتيها المثل الجزئي فيحددها تحديدا ما ..

فاذا قرأت قطعة من الشعر في الغزل أو في الوصف أو في الانتقاد ، قلت أن هذه القطعة من الأدب . كذلك اذا وقفت على مقالة من النثر في غير موضوع العلوم الدراسية البحتة ، روعي في كتابتها الفصاحة والبلاغة وقواعد اللغة الصحيحة ، قلت انها قطعة من الأدب . فاذا وقع لك كتاب في التاريخ أو في الارشاد مهما كان مساسه باللاهوت ، فذلك من الأدب أيضا

يتعلم المرء فروع الطب فيصير طبيبا ، وعلوم الهندسة أو الحقوق فيصير بذلك مهندسا أو مشرعا .. أعرف ذلك ولكني لا أعرف بالضبط بم يصير المرء أديبا ، الا أني أعرف أن الاديب يجب عليه أن يكون قد قرأ كثيرا مما كتب في التاريخ والنقد والشعر ، وما وقع الاجماع على بلاغته من كتب السير أو القصص ، وما وضعه الكتاب

---

(\*) الجريدة في ٤ من مارس سنة ١٩١٢ العدد ١٥١٣ وقد كتب هذا البحث بمناسبة صدور كتاب مصطفى صادق الرافعي : « تاريخ آداب العرب »



والشعراء السالفون والحاضرون وبلغ الشهرة العامة  
وأطرافا من نكات محاورات الأدباء الأقدمين ٠٠ الخ  
من اجتمع له ذلك قلة أو كثرة ، فهو اديب مع مراعاة  
البيئة التي هو فيها أو التي سمته أديبا ، ولو كان هذا  
الاديب لايعرف نظام المجموعة الشمسية من الفلك ولا  
قاعدة عكس مربع البعد في علم الطبيعة ، ولا مساحات  
المستويات الهندسية العادية ، ولا شيئا من أوليات العلوم  
نعم ٠٠ الذي قرأ بامعان ما نسميه عادة كتب الادب ،  
واستظهر بعض القصائد ، واستطاع أن يقول عن فكرة  
بعضها لاحد الكتاب انها فكرة ساقطة ، أو عن تركيب  
لغوى انه تركيب سمج ٠٠ الخ ، هذا هو الاديب . لذلك  
نجد المزاحمة على لقب « اديب » أكثر من المزاحمة على أى  
لقب من الألقاب العلمية الأخرى كالطبيب والمهندس  
والمحامى ٠٠ الخ

بل تكاد تكون المزاحمة عليه عامة حتى بين العوام ،  
لانه ليس للاديب شهادة بعينها ولا كمية معينة من الكتب  
يقرأها ، ولا شرط ظاهر لحسن البيان غير مراعاة قواعد  
الأنحو البسيطة ٠٠ بل مع عدم مراعاة تلك القواعد في  
بعض الأحيان . وعلى هذا ليس لجماعة الأدباء حدود خاصة ،  
بل قد يكون الطبيب أديبا ، والمهندس أديبا ، والفيلسوف  
أديبا

من أجل ذلك ترى التفاوت بين الاديب والاديب  
كالتفاوت بين السماء والارض ٠٠ أى الأدباء أشمل احاطة  
بضروب الفصاحة وأسرار البلاغة ، وعلماء بأطراف العلوم  
المختلفة ، وأوسع حافظة للمعاني ، وأقدر على نقد الأساليب  
وأشد ذكاء ، وأدق نظرا ، وأرق عاطفة ، وأصح ذوقا .  
وأكثرهم استحقاقا للقب الاديب وان لم يكن خط قطعة

واحدة طول حياته .. فالاديب فى عرف الادباء ليس هو  
المعنى بذلك اللقب الذى نجعله فى مراسلاتنا اليومية  
قاطرة تجر وراءها الفاظ التفخيم وعنوانات الشرف فتقول  
( حضرة الاديب الفاضل المحترم .. ) خطابا لذلك الذى  
لم يقرأ من موضوعات الاولين الا الابجدية وتوابعها  
ولكن اسرافنا فى التلقيب بالاديب ، وتصدقنا بعضنا  
على بعض به ، وتحاشينا أن يلقب بالطبيب أو بالمهندس  
من لم يكن فى الحقيقة طبيبا أو مهندسا .. ذلك الاسراف  
دليل آخر على أن ماهية الاديب فى أذهاننا غير مستقرة  
وصورتها غير محدودة بحدود تميزها عما عداها ، الا أن  
يكون المقصود بالاديب هو الرجل المهذب الطاهر الاخلاق .  
وهذا المعنى غير ملحوظ ، لان لفظ الاديب يقرن عادة  
بالفاضل ، ولا يستعمل الا للقارئ دون الاميين

### الادب فى عرف الجماهير

قد يكون الانسان فى بعض الازمنة اديبا اذا حفظ  
شيئا من المواليا أو المواويل الحمر والازجال وجعلها أقيسة  
له يزن على منوالها ، وان لم يكن ليعرف مما ذكرنا عن  
الادب شيئا .. حتى لاتد يطلق على ذلك الذى يرتجل  
كلما مقفى أغلبه فارغ خال من المعانى التامة اتى من  
شأنها أن ترتاح لها النفس ، ومن ذلك البيان الذى يسحر  
النفس وان من البيان لسحرا ، من أولئك المرتزقة بالدف  
وضروب الكلام فى الموائد والاسواق . فان هؤلاء كانوا  
يسمون أيضا أدباء ، ولعل هذه التسمية قد جاءت من أنه  
لم يكن يوجد غيرهم أكثر استحقاقا منهم لهذا اللقب ، كما  
كان يسمى بعض المشعوذين ومدعى الطب ، أطباء وحكماء  
وكما سمي بعض البنائين مهندسين معماريين .. لان الظاهر  
أن الاسماء لا تعطل فى هذا الوجود ، فان لم تجد مسمى

تلبسه ، لبست أقرب المعانى اليه واكثرها له مشابهة ،  
ومن أولئك الادباء أميون من البدو يرتجلون ضربا من  
الشعر ذا وزن خاص من غير ان يتكلفوا مراعاة الاعراب ولا  
قواعد اللغة ، يودعونه خيالاتهم وتشبهاتهم التى من  
انحطاطها لا تخرج عن كونها مقدمات شعرية تلد اسماءها  
من البدو ، كما قال احدهم :

جملها تحت الى ميسور بها  
ويثور • فنار وولع فى باهور  
جملها وبن يحبك بخط  
وهى فوقه عين الشهبان  
تركى شارب ومليط  
يطير مخ جاين السيسان  
الله عليم انه مشسلط  
مرض لا فى لى لى زمان  
هوى بى مولى الشال يفتل  
يسحب كيف رياح الجان  
أو كقول بعضهم فى وصف معركة :

جبك سسوقها دار رنه  
وفرس الردى به غارت  
وان رايت قرعات الحصنة  
مقات هوروهسا وبارت  
وكقول الآخر فى وصف تلك المعركة ايضا :  
يوما ياهنا من غاب عنه  
والا حاضره وكاسب ثناه  
يوما فيه قرعات الحصنة  
كانايات بيت السبل جاء

وانما ذكرنا مثل هذه الامثلة ليعرف القارىء بعض  
التفاوت بين الادباء ، سواء اكان فى العصور المختلفة أو  
فى عصر واحد . فمن هؤلاء الادباء الاميين - الا شوقي  
وحافظ والمطران وحفنى بك والميلحنى والمهدى والمنفلوطى  
والرافعى . الخ الخ - كل اولئك ادباء فى عرف الجماهير  
وانما جاء ذلك من أن صورة علم الادب فى النفوس لم  
تأخذ حظها من الظهور ، ولم تستوف حدودا مرسومة كبقية  
طوائف المعلومات الانسانية الاخرى

اطلنا الشرح فيمن هو الاديب ، لاننا نحب أن نأخذ  
تعريفات الاشياء من الوجود الحسى لا من التصوير المجرد ،  
ولأن تعريف الادب فى لسان العرب هو ( ما يتأدب به  
الاديب من الناس ) فمن اللازم أن نتعرف من يسميه  
العرف أديبا حتى نستطيع أن نحدد ماهية الادب

### الادب فى اللغة

واذا جئنا الحديث الى الادب فى اللغة فاننا لا نجد مناصا  
من القول بأن ماهية الادب لغة ليست بأظهر منها اصطلاحا  
بل هى مثلها مترامية الاطراف قلقة فى ذاتها . . اذ يقول  
علماء الفقه ان الادب هو من مادة الادب وهو الدعاء ، ومنه  
قيل للصنيع يدعى اليه الناس مدعاة ومأدبة . وسمى الادب  
بذلك لانه يؤدب الناس الى المحامد وينهاهم عن المقابح .  
ولاشك فى أن هذا التعريف اللغوى لا يتمشى تماما مع ما  
نريده من الادب المسمى بالفرنسية *litterature* لان  
الذى يؤدب الناس ويدعوهم الى المحامد وينهاهم عن  
المقابح مباشرة ، انما هو علم الاخلاق . ولا يؤخذنى أصحابنا  
الادباء اذا قلت ان الادب ، ادب اللغة ، لم يكن من آثاره  
الدعوة الى تلك المحامد مباشرة ، بل قد يكون ذلك بالواسطة  
لان الادباء فى كل زمان لم يكن فى سلوكهم من التخرج ما

للاخلاقيين الذين قد لا يعرفون من قطع الادب شيئا كثيرا  
ولم يقرأوا خزانة الادب للبغدادي ، ولا الكامل للمبرد ،  
ولا الجهمرة ولا دواوين الشعراء وكلام الخطباء

اعلى أننا باطلاقنا الادب على هذه الماهية التي في انفسنا  
منها صورة ما ، اقرب تناسباً بين اللفظ والمعنى من  
الفرنسيين . . لان لفظ الادب عندهم مأخوذ من بعض  
لوازم معنى الادب وهو *lettre* حرف الهجاء ، أما عندنا  
فان من معانى الادب التعليم . . ادبه أى علمه بالاطلاق ،  
فالذى علينا هو أن نقيد هذا الاطلاق بالقيود التي نأخذها  
من اصطلاحنا ، فيما يتعلق بمعنى الادب

وعلى هذا يمكن رسم الادب بأنه مجموع الآثار الجميلة  
من النظم والنثر والتاريخ في الموضوعات العلمية الجافة  
في زمن بعينه أو في حياة أمة بعينها ، فالادب بالنسبة  
للموضوعات الكتابية أو الخطابية كالفنون الجميلة بالنسبة  
لموضوعاتها . . فكما أن سماعتك للموسيقى يحرك العواطف  
ويدعو الى الرضا ، ورؤيتك لرسم جميل أو صورة جميلة  
أو بيت جميل . . الخ تبعث في نفسك حركة مقبولة . .  
كذلك قراءتك قطعة من الشعر الجيد أو النثر البليغ أو  
قصة خيالية أو تاريخية ، تؤثر فيك ذلك التأثير

وكما ان موضوعات الفنون الجميلة هي الموسيقى والفناء  
والرسم والتصوير بجميع أنواعه . . كذلك موضوعات  
الادب أو الآداب هي القاطع من المنظوم والمنثور ولو كانت  
هجائية . ولا شك في أن قوام هذه الموضوعات هو اللغة  
من حيث فصاحة الكلمة وبلاغة المعنى وصحة التركيب  
ومتانة الارتباط وجمال الأسلوب . . فالبحث في الادب  
وفي تاريخ الادب ، يدعو حتما الى البحث في اللغة التي هي  
مادة نسجه ، فقد أحسن السيد مصطفى الرافعي إذ قدم

بين يدي بحثه في « تاريخ اداب العرب » بحثا مستفيضا  
في تاريخ اللغة العربية ونشأتها وتفرعها وما يتصل بذلك ،  
ثم اردفه ببحث في تاريخ الرواية ، وهذا هو ما افرده  
الجزء الاول الذي طبع من الكتاب ، وهو الذي بين يدينا  
الان

### تاريخ اداب العرب

قرانا هذا الجزء . . فاما نحوه فعليه طابع الباكورة في  
بابه ، يدل على ان المؤلف قد ملك موضوعه تماما . .  
واخذ بعد ذلك يتصرف فيه تصرفا حسنا . وليس من  
السهل ان تجتمع له الاغراض التي بسطها في هذا الجزء  
الاول الا بعد درس طويل وتعب ممل ، لم يتأخر هو عن  
وصفه في مقدمة كتابه . واما اسلوب الراقى في كتابته  
فانه سليم من الشوائب الاعجمية التي تقع لنا في كتاباتنا  
نحن العرب المتأخرين ، فكأنى وأنا اقرؤه اقرا من قلم  
المرد في استعماله المساواة والبأس المعاني الفاظا سابقة  
مفصلة عليها لا طويلة تتعثر فيها ولا قصيرة عن مداها تودى  
بعض اجزائها

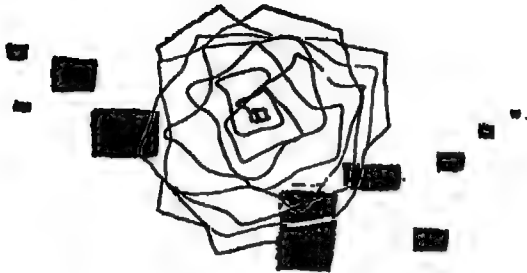
وان هذا الجزء ، بل هذه المقدمة ، تدل على ان المؤلف  
سيخرج لنا من تاريخ ادب العرب ما يجمع شملها بعد  
التثبت في كتب متعددة ، ويكون بذلك قد ادى للاثمة  
اعظم خدمة يؤديها اشد الادباء غيرة على الادب

نقول ذلك ونكرره لان الادب ليس كما يراه اهل العجلة  
في النظر الة مجردة لسمر الادباء ، وقصصا جميلة مضيفة  
للوقت الثمين . . بل الواقع ان الادب وتاريخ الادب ،  
مشخصان من اقوى مشخصات الامة يربطان ماضى اجيالها  
بحاضرها ويحددان ماهيتها ويميزانها عما عداها ، فتستمر

شخصيتها ، وتتسع بذلك دائرة انتسابه بين افرادها ،  
تقوى روابط التضامن بينهم . غير ما يكسب الباحث في  
الادب من رقة العاطفة وحسن الدوق والقدرة على جمال  
التعبير عما في نفسه من العواطف والافكار وحمل الناس  
على الاصغاء اليه وقبول مذاهبه قبولاً حسناً . فالادب  
فى كل زمان هو الصانع الوحيد لآلات شيوع المذاهب من  
الكتابة والخطابة

فمن الغفلة ان يغمط حقه بين المعلومات الانسانية  
الاخرى ، وفيه ماذكرنا من نفع الافراد والامم

لهذا النظر أيضا تكبر غرض الرافعى ونشكره على ما  
حققه من هذا الغرض ، ونحسن الظن من الآن بما  
سيأتى به من تحقيق غرضه الكامل ، ونقترح عليه أن  
يتحرى تاريخ العباقرة من الشعراء والكتاب السالفين ،  
ويطيل فيه بقدر الامكان وان كان ذلك يدخله فى غمار  
الكاتبين قبله فى تاريخ الادب . لان عمله لا يأتى بأكمل  
ما ينتظر منه من الفائدة ، الا اذا كمل من هذا الطرف  
أيضا ، وانه على ذلك بعد ما رأيناه من قلمه لتقدير



# فهرس

## صفحة

٨	تقديم بقلم طاهر الطناحى
	<b>الفصل الاول : الامة والحكومة</b>
٢٨	حقوق الامة وحقوق الحكومة
٣٤	الحق الصراح
٤٢	ماذا يجب على رجال الحكم ؟
٤٥	الجفاء بين الامة والحكومة اسبابه ونتائجه
٥٠	القول للدهى والقول للنحاسى
٥٥	مذهبنا ومذهبهم
٦٠	تقديمس الحكومة ينالى الكرامة والاستقلال
	<b>الفصل الثانى : نحن والاستعمار</b>
٦٤	دواكلنا وتوكلنا
٧١	السلوك السياسى
	<b>الفصل الثالث : الراى العام</b>
٩٤	الراى العام حق وقانون
١٠٠	الراى العام قوة
١٠٦	الاضطراب فى الراى العام
	<b>الفصل الرابع : الى الشبيبة</b>
١١٤	الى الاسام
١١٨	القلق الفكرى
١٢٣	فلننهم الاستقلال
	<b>الفصل الخامس : الحرية</b>
١٢٢	الحرية



## صفحة

١٣٨	..... الحرية السياسية
١٤٢	..... حرية الرأي

## الفصل السادس : المرأة والمجتمع

١٤٨	..... مجرد المرأة
١٦٠	..... المرأة مألحة الرجل
١٦٤	..... المرأة الفاضلة أنفع للامة من الرجل الفاضل
١٦٩	..... تعليم المرأة أساس الاسلاح الاجتماعى

## الفصل السابع : فى الاخلاق وتربية النفس

١٧٦	..... الحب
١٨٦	..... التفـاؤل بالخبر
١٩١	..... الرياء
١٩٦	..... الرجل السعيد
١٩٩	..... الرجل المريع

## الفصل الثامن : فى الحياة والجمال

٢٠٢	..... زهرة الربيع
٢٠٥	..... الانوار القديمة
٢١٠	..... انوار الجمال وجمال الانوار
٢١٧	..... امالنسا

## الفصل التاسع : نظرات فى الادب

٢٢٤	..... الاديب وعلم الادب والاخلاق
-----	----------------------------------



## وكلاء مجلات دار الهلال

اللاذقية : السيد نخلة سكاف

جدة : السيد هاشم بن علي نحاس - ص.ب 193

البحرين : السيد مؤيد أحمد المؤيد - ص.ب ٢١

Dr. Michel Tohmé,  
Rua Basilio Jafet No. 127,  
5" and Sai 54,  
SAO PAULO — BRASIL : البرازيل

Messrs Allie Mustapha & Sons  
P.O. Box 410,  
Freetown Sierra Leone : سيراليون

14, Ahmed Bin Mohammad Bin Sami,  
Almaktab Attijari Asahargi,  
P.O. Box 2205,  
SINGAPORE : سنغافورة

ARABIC PUBLICATIONS  
DISTRIBUTION BUREAU,  
7, Bishopsthorpe Road,  
London S. E. 28,  
ENGLAND : انجلترا

Mr. Mohamed Said Mansour  
Atlas Library Company,  
118 Nnamdi Azikiwe Street  
LAGOS NIGERIA : نيجيريا

## هذا الكتاب

كان أستاذ الجيل « أحمد  
لطفى السيد » رجل مبادئ ..  
آمن بها ، وعاش لها ، وجاهد  
طويلا في سبيلها . وقد أسس  
مدرسة فكرية تخرج فيها كثيرون  
من أسهموا في إرساء دعائم  
النهضة ، ومهدوا الطريق لاجتثاث  
نظريات كبتسرة في كثير  
من نواحي مجتمعاتنا العربي ...

وتمثل هذه المبادئ في كتاباته  
ومقالاته التي كانت تنشر في  
« الجريدة » فضلا عن خطبه التي  
كان يلقيها في النوادي والمحافل  
العامة ..

وهذا العدد من سلسلة « كتاب  
الهمال » الذي نسفه ونقدمه  
وعلى علم الأستاذ طاهر الطناحي ،  
نضم مجموعة مختارة من النصوص  
التي تصور مبادئه في السياسة  
والادب والاجتماع ، ونلقى ضوءا  
على جهاد ذلك الرجل العظيم في  
سبيل الحرية والاستقلال ، وفي  
سبيل رقي أمته ورفعته بلاده ..